الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم التاريخ

شعبة الثقافة الشعبية: الأنثروبولوجيا

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأنثروبولوجية موسومة بـ:

الحضرة الصوفية في الإسلام

(دراسة أنثربولوجية)

إعداد الطالب:

حمام محمد

تحت إشراف :

أ.د. أوشاطر مصطفى

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د. محمد سعيدي	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د. مصطفى أوشاطر	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
د.ة.ليندة عبد اللاوي	أستاذة محاضرة (أ)	جامعة تلمسان	عضوا
أ.د. لخضر حشلافي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجلفة	عضوا
د.أحمد بغداد بلية	أستاذ محاضر (أ)	م.ج. النعامة	عضوا
د.ة. فتيحة بلحاجي	أستاذة محاضرة (أ)	م.ج. مغنية	عضوا

السنة الجامعية: 2019-2020

كلمة شكر

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الاستاذ

الاستاذ الدكتور أوشاطر مصطفى

نظير كل التوجيهات والتصويبات التيأمدني بها طيلة البحث

في الدراسة

كما أتقدم بأسمى معاني الشكر إلى كل من ساهم

في انجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد ولو بالكلمة

الطيبة.

مقدمة

مقدمة :

تعتبر الحضرة من بين أعمال العبادة يقوم بها بعض المسلمين أفرادا وجماعات في معظم بلدان العالم الإسلامي، في الزوايا و المدارس القرآنية أو في بيوتهم حيث تعتمد على الأذكار وترديد أسماء الله الحسنى بتحسين لفظ الجلالة .

عرفت الشعوب الإسلامية عبر تاريخها الطويل الزوايا والخانقات، كأماكن للممارسة الحرة للعبادة دون قيد أو شرط، أو رقابة من مسئول ماعدا الشيخ، وهي بذلك تجسد مبدأ الحرية في التواصل اللغوي الشخصي بينهم وبين الله تعالى عن طريق الحضرة.

فالحضرة بالنسبة لهم هي المجال والفضاء الحر الذي يلقي به العبد أو المؤمن بكل اعترافاته أمام الله بالذنوب والخطايا التي ارتكبها، وهو يظن من خلال حبل الصراحة والإقرار بذنوبه انه يمارس اتصالا روحيا بينه وبين الله تعالى يشبه ذلك الاتصال المتجسد في الصلوات الخمس.

ومما هو مطلوب في الحضرة عدم الخروج عن جانب القداسة والتعظيم للمولى تعالى، بسب الظن الحسن بالله، إذ يجتمع المشاركون في جو من الخشوع والتركيز يشبه حال مقاتلي الشاولين الذين يطير بهم التقديس إلى إن يضربون بالحجر على رؤوسهم ، ولا يتحركون من أماكنهم ، نظرا للقداسة والإنقصال الروحي اتجاه ما يقدسونه . منذ ملايين السنين.

يمارس الحضرة مؤمنون مسلمون في أوقات متأخرة من الليل وفي المناسبات الدينية باللجوء إلى "الحس الروحاني" واللمس الإنساني، كلاهما يقومان على حركتين في حركة واحدة (حركة بالرقص وحركة بالاعتقاد).

ترتبط الجوانب الأنثروبولوجية الدينية، التي تتناول الحضرة ب الأنثروبولوجيا الاجتماعية حيث تتحول الحضرة إلى وسيلة اكتشاف لأسلحة دفاعية تحمي المجتمعات وتتعامل مع التقاليد والعادات بلطف وروية .

. تطورت الأنثروبولوجيا في نهاية القرن السابع عشر عندما تحول تفكير الإنسان إلى العادات التي تولد الخمول والنشاط في حياته أكثر مما أدى به إلى البحث عن الأشياء التي تبقي عاداته حية ، كالحضرة التي ربطت بالأخلاق الاجتماعية تكلم عنها فرديناند بواز مسميا إياها بالمعيار الأخلاقي في حالة استرجاعه في التعبير عن سلوك الفرد داخل الجماعة بهذا السلوك في شكل عملية لاشعورية.

إن الحضرة ظاهرة دينية وممارسها "رجل متدين"،وبهذا يكون البحث في "العلائق" وفق المنهج الأنثربولوجي الاثنوغرافي والاثنولوجي، مبني على توضيح العلائق بينهم وفقا للاصطلاحات والخصائص السوسيولوجية والعاطفية والذهنية ، وهي خصائص تمثل عند اكتشافها متغيرات جوهرية دينية إسلامية.

اولا: اشكالية البحث

يظن بعض الناس أن الحضرة بدعة ،دون تفكير عميق في أبعاد التحرك والإلقاء داخل الحضرة ثم سرعان ماتوسع جدل فقهي بين المؤيدين والرافضين الذين سموها بالشطحات ، ومما ورد في السنة النبوية "أن جعفر بن أبي طالب،رقص بين يدي رسول الله(ص) وقال له شبهت "خلقي وخلقي" واستمروا باستدلالهم بحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، وذكر "أن ابن عروة بن الزبير وجماعة من الصحابة، خرجوا يوم العيد، وقاموا يذكرون الله على إقدامهم، فقال بعضهم لبعض أما قال الله يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فقاموا يذكرونه بالرقص.

أصبح هذا الرقص غير المنهي عليه ، بمثابة اعتقاد راسخ لدى المؤمنين ،وزادوا عليه تحسينا كمضاعفة تكرير الذكر،اعتقادا منهم بأنهم سيبلغون النور الإلهي ويرتقون في المقامات ،إن هم ذكروا الله أكثر من مرة.،كان ذلك دأب كل الطرق الإسلامية على منهج تكرار ومضاعفة "الأذكار وأسماء الله الحسنى" فعند التجانيين يذكرون الله عشرة ألاف مرة وعند العلويين خمسمائة مرة.

يدرك المشارك في "الحضرة" انه مقبل على حالة لم يسبق لها مثيل في حياته، يظن انه سيرى اشياءا عظيمة بفعل تكرار الذكر.

ترتبط هاته الرؤية بنظام الأخيلة التي عايشها المشارك في" الحضرة "أو بحالة ترقي وجد عليها أو ربما جهل التعبير عنها لفقده اللغة التعبيرية..

مايقال في الحضرة يتعلق بالذكر الحكيم وبما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أحاديث صحيحة ، وهذا أمر لا نقاش فيه رغم اختلاف المذاهب الأربعة ، ولكن عندما تسقط "الأثنوغرافيا مبادئها على "الحضرة" دون شك سيقدم كل علم تفسيرا لها ومرد كل اختلاف ظاهرا أو خفيا هو" البحث عن معرفة الله "من أجل المغفرة ونيل القبول من التوبة ونظرا لكل الأطروحات السابقة، نجد أننا أمام سؤال جوهري يسأل عن ماهية الحضرة الصوفية في الإسلام؟الزاوية البوزيدية انموذجا.

اخترنا "نموذجا واحدا" خاصا (بالحضرة البوزيدية العلاوية الرحمانية)،من خلال الملاحظة بالمشاركة لكون الباحث كان متواصلا معها ،منذ سنوات بتقسيم الدراسة إلى ثلاث جوانب (الجانب المنهجي والنظري والتطبيقي).

تناولنا في الجانب المنهجي الإشكالية وتساؤلاتها، ثم تحدثنا عن أسباب اختيار الموضوع وأهداف الدراسة وأهميتها ثم تحديد المفاهيم والمصطلحات ومنهج الدراسة وأدواتها ثم مجتمع الدراسة والعينة.

أما في الجانب النظري ، فقد قمنا بتقسيمه إلى ستة فصول ومدخل تمت توسعته ليشمل بداية جري الإنسان في الأرض خوفا من القوة الطبيعية التي كانت تطارده ، وكيف واجهها باستعمال الأسطورة والعبثية في التغلب عليها، أما الفصل الأول تم تخصيصه للتصوف الإسلامي ونشأته . بالجزائر، أما الفصل الثاني خصص كدراسة اثنوغرافية قامت على أساس عرض الموقع الجغرافي للزاوية البوزيدية كما تعرضنا بإسهام إلى حياة مؤسس الزاوية وسيرة حياة الشيخ الحبيب البوزيدي من خلال مريديه وحفدته وعلى كتابات الزاوية بموافقة شخصية من الشيخ الحاج محمد دحاح ، بينما جاء الفصل الثالث في دراسة اثنولوجية تناولت مفهوم الحضرة ومرادفاتها ، مكوناتها ودعائمها والدوافع المختلفة التي تسبب فيها، بينما تعرضنا في الفصل الرابع إلى المناهج الإسلامية والغربية والحضرة عند المجتمعات الإسلامية بأخذ أراء مختلفة لمفكرين وزهاد كبار في العالم العربي كرابعة العدوية وطه عبدا لرحمان وابن تيمية وين سينا .والفصل الخامس تطرقنا فيه إلى التأثيرات المختلفة للحضرة على المجتمعات وعلى سياسات التخطيط لبناء الدولة المدنية الحديثة، أما الجانب التطبيقي في الدراسة استخدم لجمع المعلومات أدوات الاستبيان والمقالة والملاحظة بالمشاركة ، وضعنا خطة مقسمة إلى خمس محاور.

- **المحور الأول**: خصص للبيانات الشخصية وبها متغيرات السن والمستوى والمهنة والجهة للمشارك

- **المحور الثاني**: استقراء فهم المفهوم الدلالي للحضرة وما يمثله للمشارك..

- **المحور الثالث**: ركزنا فيه على "الحضرة" ومجرياتها والكيفية التي كانت تمارس بها.

- **المحور الرابع**: خصصناه لفئات المضمون الضمني للحلقة داخل الحضرة.

- **المحور الخامس**: جاء للتحدث عن" فئات كيف قيل " ثم واكبنا تفريغ البيانات في جداول بلغت 23 جدولا بسيطا و22 جدولا مركبا ثم قمنا بتحليلها جدولا بجدول.

وفي الأخير قدمنا استنتاجات عامة عدت بمثابة "إجابة عن التساؤلات الفرعية" للإشكالية ثم قدمنا خاتمة كإجابة لسؤال الإشكالية ثم طرحنا مجموعة من التوصيات التي ستكون ذات فاعلية بعد تزكية الدراسة من قبل لجنة المناقشة الموقرة .

ثالثا :أسباب اختيارا لموضوع: هناك مجموعة من "الأسباب الذاتية والموضوعية" كانت وراء اختيار الموضوع ويتعلق الأمر :

1- الأسباب الذاتية:

- اهتمامي الكبير بطقس "الحضرة " ولاسيما بتفسيرها ،لكون المتغيب في الحضرة أو المصروع أثناءإكتمال الحضرة تحدث له أشياء عجيبة.

- حبي للصوفية وبحثي المستمر في التصوف السني، الذي كلما خضت بحوره إلا وجدت مايقال عن الحضرة .

- شعوري بالسعادة والخفة الروحانية و الطمأنينة لما أشارك في الحضرة.

- رؤيتي الخاصة لكثير من الناس"المرضى"الذين شفاهم الله بمجرد خروجهم من الحضرة ومنهم من استرجع سمعه وبصره.

- محاولتي المستمرة للنفاذ إلى معرفة السر الأعظم، وكيف تتنزل البركة في مجالس الذكر.

2-**الأسباب الموضوعية**:ومن بين الأسباب الموضوعية.

- مناقشة دراسة تتناول متناقضات بين الفقهاء، مع تحصيل "معلومات" لمعرفة تفاصيل هاته "المتناقضات "بين مختلف الأفكار والتوجهات الإسلامية حول" الحضرة"
- معرفة الكيفية التي يتطهر بها قلب المشارك في الحضرة والكيفية التي تحول وجهه إلى نور مستضاء.
- إن هاته الدراسة تجمع في الأصل كثير من الأبحاث التي كنت أوضأن أشتغل عليها.
- إثراء المكتبة الوطنية ولاسيما قسم التاريخ بدراسة تناول البعدين الأنثربولوجي والديني للحضرة .

ثالثا: أهمية الدراسة:

تعود أهمية الدراسة في كون موضوع الحضرة صعب من الناحية الفقهية لذا وجب الخوض فيه، بكل شجاعة لمعرفة تاريخه، بالنسبة للأمة الإسلامية وتظهر أهميته في إبراز"الجوانب الانثربولوجية" المفسرة للنواحي و "الركائز والأسس التي تنبني عليها" الحضرة " حتى نتمكن من التدليل عليها من ناحية الممارسة البدنية ونفسرها علميا بعيدة عن الممارسات الأخرى الموصوفة بالدجل والخرافة .

رابعا: تحديد المصطلحات والمفاهيم:

الحضرة:

الحضرة لغة: ورد في معجم لسان العرب حضور كلمة الحضرة على أنها مشتقة من كلمة حضر يحضر تحضيرا وهي من الحضور أي من القيام بفعل يتحكم فيه الفرد أي بمعنى حضر حضورا يستعمل فيه الزمن المضارع.

الحضرة اصطلاحا: ورد في معجم العين للخليل ابن احمد الفراهيدي إن الحضرة إلى جانب واحد من الحضور فهي تحدد داخل صياغة الجملة الكلامية كقولنا القيام بإعداد العدة والتحضير.

يعرف محمد الود الحضرة على أنها طقس عبادي يقوم به المسلمون قصد تطهير ذواتهم من الخطايات والذنوب.

تشتق كلمة "الحضرة" من الحضور أي القيام بفعل متحكم فيه بمعنى حضر حضورا باستعمال الزمن المضارع ، فهو أقام حجة الحضور بالمادة والزمن،فنقول حضر محمد الشخص المدعو"محمد" هو الذي ملأ الحيز المنتظر.

مفهوم التصوف :

التصوف لغة : يعتبر التصوف سلوك قام به المسلمون الأوائل ، حيث ورد في تلبيس إبليس لابن الجوزي أن التصوف جاء من صفا من الكدر وامتلئ من الفكر وانقطع إلى الله من البشر واستوي عنده الذهب والمدر .

التصوف اصطلاحا : يعتبر التصوف أصل لصوفية صفاء الأسرار ونقاء البدن من الكدرات فالصوفي من صفت معاملته لله فصفت له من الله عز وجل كرامته قال أبو الفتح البستي

تنازع الناس في الصوف واختلفوا وظنه البعض مشتقا من الصوف

ولست أمنح هذا غير فتى صافى فصوفي حتى سمي الصوفي .

وقيل صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم وإقبالهم على الله تعالى ، وقيل أيضا نسبوا نسبة إلى الصفة التي كانت لفقراء المهاجرين على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

خامسا: منهج الدراسة وأدواتها:

يعد المنهج ،كآلية تؤدي للوصول إلى نتيجة، يحتوي على مجموعة من الخطوات العلمية المدروسة،وفق المنطق العلمي ومنهجيته البحثية، الدراسة تعتمد على الوصف والجمع التاريخي مما أدى إلى اختيار :

المنهج النقدي الانثروبولوجي :

إن المنهج الانثروبولوجي يقوم على تفسير السلوكيات الإنسانية وسط المجتمع وإيجاد التبريرات المنطقية والعقلية بين كل العناصر المكونة للظاهرة .وبهذا ركزنا على القراءتين الاثنوغرافيية والاتنولوجية وذلك يعرض مختلف الحركات والتنقلات والسلوكيات الخاصة بالفرد داخل محيط الحضرة الأسري وكذا الاجتماعي فهو يهتم بالإنسان أولا ثم المجتمع ثانيا لذلك ارتبط هذا المنهج ارتباطا طبيعيا بكل مايحيط بالإنسان من فلكلور أو ظواهر اجتماعية ، إذ أصبح الإنسان لا يكتفي بالمعرفة وكلما ازدادت معرفته يرى نفسه عارفا وعلى اطلاع كبير ..

سادسا: حدود الدراسة الرمانية:

اهتمت الدراسة بمجال زمني ، محدد سنة 2015 /2016 وهي السنة التي شهدت فيها الزاوية البوزيدية نشاطات كثيرة كان آخرها هو التجمع العام الذي تعقده الزاوية لموردين في نهاية كل سنة .

سابعا: حدود الدراسة المكانية:

ركزت الدراسة على الزاوية البوزيدية الكائن مقرها بمنطقة الخروبة قبالة البحر بمدينة مستغانم وزدنا في توسيع الدراسة مكانيا إلى دول كمصر والسودان والصحراء الجزائرية .

ثامنا: الحدود البشرية للدراسة :

قمنا بتحديد محيط الدراسة المشاركين في تفعيل نشاط الزاوية البوزيدية وهم من المريدين الذين يشاركون دوريا في نشاط الزاوية .

تاسعا: أدوات الدراسة:

اعتمدنا في "دراسة الحضرة الصوفية " في الإسلام على المنهج الوصفي باعتباره الوسيلة الهامة التي أدت بالباحث إلى استخدام "أداة الاستبيان" وهي أداة مهمة لتحصيل المعلومات المدعمة لتحليل الأفكار المشكلة للمحور ، وبشكل عام يقوم "الاستبيان" في صورة أسئلة ذات خيارات مفتوحة تكون أسئلتها مباشرة وغير مباشرة توجه للمستجوبين ،حددناها وفق مجموعة معينة وكل مجموعة تحتوي محور به فروع للإجابة على سؤال فرعي للإشكالية.كما اعتمدنا على توظيف المنهج الانتربولوجي بفرعيه الاثتوغرافي والاتنو لوجي، للوصول إلى تبرير النتائج المستخلصة في العلاقات تبريرا علميا.

وتتمثل المحاور في ما يلي:

المحور الأول: خصص للبيانات الشخصية كالسن والمستوى التعليمي والمهنة والحالة العائلية.

والمحور الثاني: كان حول مفهوم الحضرة عند المشاركين في الحضرة البوزيدية وشروط الدخول فيها.

المحور الثالث:تناولنا فيه إرهاصات الحضرة الإسلامية وكيفية ممارساتها بصفة جماعية.

المحور الرابع: تناولنا فيه التعبير اللغوية والفيزيولوجية عند المشاركين في الحضرة.

المحور الخامس: كان حول مواضيع التأثير على المشارك في الحضرة البوزيدية.

المحور السادس: كان حول علاقة المشاركين يبعضهم البعض أثناء"الحضرة" ولما أنهينا اختيار المحاور وضبط الأسئلة، وجهنا الاستمارة للتحكيم من قبل الأستاذ المشرف ثم تولينا توزيعها.

عاشرا : العينة:

تم اختيار 100 مفردة تمثل عدد المشاركين، في "الحضرة البوزيدية" لسنة 2015 التي شهدتها الزاوية بمشاركة عدد كبير ،حيث تم ضبط العينة على المدعوين للمشاركة في الحضرة بعد منتصف الليل وهو موعد الجمع العام، حيث صعب علينا إحصاءهم في البداية لكون الكثير منهم جاؤوا من ولايات كثيرة سرعان ما غادروا معا بالمساء أو بعد صلاة العشاء،وفي نفس الوقت يصل آخرون قبل موعد الحضرة بدقائق وآخرون أثنا ءإنطلاقها فلا الوقت كان يسمح لعرض الإستمارة عليهم قبل ا لبداية،إلا بعدما دلنا سماحة الشيح محمد دحام الخليفة العام للزاوية البوزيدية على قائمة أسمية بأسماء الأوفياء للحضرة،وعددهم لايصل حتى إلى النصف ، الشئ الذي جعلنا نوزع النصف المتبقي على المتواجدين بنصف ساعة قبل موعد الحضرة ، وقد أجابوا كلهم إجابات جيدة على محاور الاستمارة وأكد الباقون ملء الاستمارات بعد المشاركة فالعينة كانت عشوائية طبقية فرضتها الدراسة كانت غير ر متجانسة تتكون من فئات ومستويات مختلفة.

احدى عشر : صعوبات الدراسة:

صادفتنا صعوبات كثيرة في انجاز هذا الدراسة منها:

- توسيع مجال البحث إلى اكثر من طريقة صوفية في الجزائر.ومدارس قرآنية عددها 120 مدرسة وزاوية
- إثناء مقابلاتنا مع زعماء الطرق الصوفية في العالم لاحظنا الاختلاف الفقهي والمعلومات بخصوص الحضرة،.
- اختلط علينا الأمر لما ابلغنا برفضها من قبل المذاهب الأربعة، إذا ما استعمل المشاركون الصخب
- ظهر عند التقائنا بمشايخ في الأزهر الشريف الشيخ أبو العزائم رئيس الاتحاد العالمي للطرق الصوفية والدكتورعبدالمنعم رئيس الطريقة المنوفيية بمصر، والشيخ محمد هلال رئيس جامعة

الأزهر سابقا، ومن السودان الأستاذ يوسف إدريس، ومن الجزائر مولاي التهامي شيخ زاوية وقديم بادرا والشيخ مولاي عبدا لله الراني بتامنراست والشيخ محمد بن العربي الخليفة العامة للطريقة التي جانية والشيخ دحا محمد الشيخ الطريقة البوزيدية بمستغانم.بان الحضرة طقس عبادي لا مجال للشك فيه

- لما تابعت في مؤلفات الانتربولوجين "ليفي شتراوس" حول البنيوية الانتربولوجية ومؤلفات عبدا لله حامودي كرحلة الحج، تغير لدي الانطباع إلى ضرورة إيجاد موازنة تعطينا الحق في معالجة الحضرة من الناحية العلمية المحضة دون السقوط في الانطباعية ،التي ميزها النص المعتقد.

قلة المراجع في مصر والجزائر وحتى في السودان وماليزيا التي تتناول بحث "الحضرة" في الإسلام، إذ كل ما وقع في أيدينا هوعبارة عن أجوبة متفرقة لمشايخ يرفضون ويؤيدون بناءا على اجتهادات شخصية. ودراسات ميدانية حول بعض الزوايا ونشاطاتها في الغرب والشرق الجزائريين. بالإضافة إلى صعوبة الاتصال بالمشاركين في الحضرة بسبب إقامتهم في مناطق معزولة.

مدخل

1- بداية الخيال الأسطوري عند الإنسان

2- بداية التخوف من القوة الطبيعية

3- نشوء الظاهرة الدينية

4- بداية الاعتقاد الراسخ

سيتم التركيز في المدخل على بداية نشأة التفكير الإنساني في ما حوله منذ تواجده على الأرض لتأدية وظيفته من خلال ماحدث في تطوراته الذهنية والإبداعية فيما يخص علاقاته بالمحيط وإحقاقه التجمع الروحي على الطوطميات، كتجمع الانشوميا في غابات الموزمبيق ،والمانا بالبرازيل والحضرات الصوفية في المجتمع الإسلامي وذلك من خلال مايلي:

1- بداية الخيال الأسطوري:

خلق الله الإنسان على وجه الأرض بمشيئة ثم أخبر أنه سيدخله محل الخلافة فيها وهذا من باب التكريم حيث فصله وزاد فصاله، وقوامه بمنحه العقل والرؤية الممتدة والقامة المنتصبة حتى سيطر بها ، مجيبا على أغلب تساؤلات تراءت له في الطبيعة التي أعلن ضدها الخصام ، مما دعى إلى تجنيد كل ما لديه دفعة واحدة ،غير مدرك بأنه سيعاقب نفسه برميها إلى الهلاك دون وعي منه، لأنه لم يحمل في رصيده المعرفي إلا أشياء بسيطة.

وفي بدايته كان سمعه وبصره هو قمة عقله، ثم أنتبه بعد ذلك إلى ما يخرج من هذا العقل من تصرفات تشكل أدوات بنائية قيمية على حدما وصفه عبدا لرحمان عزي[1] في نظرية الحتمية القيمة، يزيد في قمة إثباته ضد جنون الطبيعة كما كان يبدو له.

أنطلق ينفذ ما تمليه الفكرة التي تسكنه دوما في صور أشكال متعددة ، تحملها الذاكرة قبل أن يفهمها في شكل خطاب كان يملى عليه داخليا ،من قبل العقل الباطني الشئ الذي كان يدور في رأسه من تنظيم غير مدرك له وليس له مبرر، دون رد تلك الفكرة التي ظلت تسكنه.

[1] – عبد الرحمن عزي ، نظرية الحتمية القيمية ، دار هومة ، الجزائر ، 2007 ، ص 10 .

وبطبيعته العجيلة أصبح يدمر ما يجد أمامه لتنفيذ فكرة الرغبة الجانحة التي تسكنه، والتي كانت تقلقه غير مدرك لماهية القلق ،ومن هنا استشهد الإنثربولوجيون بنظام الحاجة والرغبة دون أدنى إحساس بالندم، لأنه كان في بدايات تواجده في النصف الجنوبي لقارة إفريقيا[1] حسب ما أكدته الحفريات المكتشفة في تنزانيا والتي قال بشأنها **Leaky**[2] أنه يقدر عمرها بنحو **1.750.000** سنة[3] .

كان يكد لتحصيل أهمها ،وبالرغم من تباعد التقديرات الجغرافية لتواجده أو حساب تصرفاته في الأماكن التي أكتشف فيها تواجده لاحقا في الصين أو ما يعرف بإنسان "جاوة" الذي ذكر أنه صنع أدوات مجربة صغيرة مدببة داخل كهوف بها بقايا فحمية .

إن الإنسان الأول كان يجاري ما يجده في الطبيعة وكأني به صادقها ووقع معها اتفاقا معنويا غير أن التقلبات المناخية سرعان ما جعلته لا يثق في الطبيعة، لذلك كان موقفه منها في حالة فرار وتهديم قبل أن يدركه الموت الفار منه دوما..

رأى شيلد[4]أنه تلك الفترة كانت بداية مؤانسته لألسنة النار، حيث تابعها إلى أن ظهرت "السلالة التياندرية" لاحقا في العالم حسب ما أكدته البقايا المكشفة في "سوانسكومب بلندن "و"فونشفاد بفرنسا" و"ستابنهايم بألمانيا".

ومن بعدها جاء الإنسان الحديث الذي تناقلت إليه مظاهر أجداده إذ لم يتردد في استعمال شضايا الصخور للصيد وأكل اللحوم دون تميز، تعود إلى الحضارتين "الموسيترية واللفلواطية" منذ نحو 30 إلى 35 ألف سنة، رافقها التعب المضني لرحلة إنسان التياندري ولولا

[1]– عبد الياسيف محمد ، الإعلام في العالم ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1975 ، ص 144.

[2] – عبد الرحمن عزي : الإعلام وتفكك البنيات القيمية في المنطقة العربية: قراءة معرفية في الرواسب الثقافية، الدار المتوسطية للنشر، تونس، الطبعة الأولى، 2009، ص6.

[3]–عبد الفتاح محمد وهبة، الجغرافية التاريخية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1980، ص 85 .

[4]- child، v man makeshimself، london، 1951، p 26

ضيق مساحة الدراسة لعرجنا في ذكر تطوراته العقلية في ميدان التهور،لأن صفة الدراسة تحوم حول معرفة توالد فن "التعبير عن الخوف من القوة" التي كان يبحث عن مصدرها خاصة لما يجن عليه الليل وعندما يفر من بريق الرعد والبرق، ولا أنيس له سوى النار والمطاردة اليومية والخوف من الليل والنهار.

ولعل ما يؤكد هذا التناهي المستمر لرغبته في العيش هو اكتشاف بقايا ما صنعه من مواد عضوية نباتية وحيوانية والمعروفة بأكوام الأصداف والتي تعود إلى العصر الحجري المتوسط، هي في حقيقة الأمر مخلفاته التي تركها في الكهوف أو المغارات دون أن يهتدي إلى ردمها لأن صفة الاستمرار في الهرب من الطبيعة كانت دابة وانشغاله اليومي ، فلا الوقت ولاحسابه كان يشغله بقدر خوفه الدائم من شيء يلاحقه ويشدد على خنقه خاصة لم تشرق الشمس وتتبدل أحوال المناخ .

وطرحنا لهذه الكيفية هو للدخول في نقطة موصلة إلى تطور التفكير في مقاومة الطبيعة والاستسلام لأننا اعتمدنا مواكبة بحساب فتور القوة الفعلية عند الإنسان الأول حتى نجعل من صيغة البحث مسترسلة منطقيا ومنهجيا.

ونقصد بذلك البحث عن كافة العوامل المتسببة في تنشيط الحركة الذاتية للكائن البشري في أزمانه القديمة، حيث يظهر من ذلك أنه كان يريد أن يعبر عن أشياء دفينة ظلت لصيقة وربما لم يتوصل إلى الإجابة عنها ونقلت عنه العلوم اللاحقة أشياء خاطئة لم يكن ليتصورها على الإطلاق في حياته ولمعرفة ذلك تجدر الإشارة إلى رؤية الزاوية التاريخية لتواجد البشري.

إذ يتأكد بمالا يدعوا إلى الشك ، تغير الظروف البيئية المحيطة بالإنسان رافقتها تطورات بيولوجية وحضارية ،أدت إلى توليد منطلقات جديدة في رؤية الإنسان لما كان يلاحظه أمامه قبل أن يهتدي إلى معرفة ضخامة الفعل الطبيعي والتواجد التضاريسي .

من هنا أدرك أن عليه أن يوظف كل ما لديه من معلومات تثاقفية تناقلها إما تقليدا دون تفكير ليعالج به نقطة مرضية في واقعه الواسع وبالتجربة وسأتخطى عصورا لجليد المعروفة بالليستوسين[1] مرورا إلى العصور المتبقية،لكي نبحث في تأثير الظروف الطبيعية على تكوين الخلقة البشرية البيولوجية سواء ما عرف عند الإنثروبولوجيين بتنوع السلالات، ولعل ذلك يقودنا إلى تفسير توارد العامل البيولوجي وعلاقته بالمناخ ومن ذلك ما يسمى بالانتخاب الطبيعي الذي أدى إلى تنوير صفات أثرت فيها البيئة ومن بينها "صفة اللون" فقد عرف البشري القديم تواجد الأبيض والأشقر والعيون الزرقاء في المناطق الباردة الكثيرة الغيوم واللون الأسود في المناطق المشمسة والأسود القاتم في المناطق الكاشفة بالحرارة واللون الأصفر وما يصاحبه من شعر مجعد في إفريقية وآسيا .

سرعان ما بدأ يتلاءم مع وضع بيئته ومؤانستها بالشكل الذي وجد عليه إلى درجة أنه وصل إلى تطوير مجالات حياته مستبدلا أدوات تقليدية المستعملة في الأكل والصيد بأدوات جديدة غير مجهدة معطيا في ذلك برهانا ،أنه باستطاعته إن يطور أكثر من قدراته لبلوغ العوالم الحية التي كانت تضايفه من خلال خوفه المستمر ورغبته في الافتراس عندما يلتقي بشيء متحرك أصغر منه .

حاول بقدراته العقلية أن يخضع التذكر والتفكير في المحسوسات إلى حتمية اكتمال سيادته على الأرض بصورة كاملة وعلى كل المناحي التي وصلت إلى خاطره، وحتى نجعل من هذه الدراسة ذات وحدة ترابطية بين عناصر تكون الموضوع،فإنه يجب لفت النظر إلى أن الإنسان أصبح يشاهد مظاهر غريبة لم يفهمها ولا احكم الفهم عليها لغرابتها إذ فر من لذة الغوص فيها إلى أزمان لاحقة أنتجت الإنسان العاقل.

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد من التعجب، بل سخر أدواته المكتشفة لإخضاع العلم إلى مناجاة عقله الباطن وأعني به الصوت الداخلي الذي كان يكلمه منذ إدراكه، حتى لم عجز عن تفسير وتبرير المحدث من الخوارق رمى المنشفة على طاولة الميتافيزيقيا أو الشادية (نسبة إلى الشاذ)

ومن بين العقبات التي صادفها محاولات إيجاد تفسير للملفوظات "القوة، الزمن، والضوء، الموت." التي إقترنت بممارسة الأسطورة التي لانفصد منها عرض لتاريخها القديم ،لأن هذا ليس من متطلبات الدراسة وإنما نركز على ممارسة العقل البشري للتفكير الخارق الذي أنجب الخوف والفشل من الغد والموت .

تعد الأسطورة بمثابة نقلة معرفية غير محددة الأزمان تحدث في العرف البشري كل مئة سنة، وقد شكل ما ورد فيها من معارف مادة علمية نقلت الخبرات الإنسانية لملايين السنين عاشها الإنسان القديم وسط محيط متغير على الدوام صنعت فيه صناعات متعددة لها علاقة بمعايشه الإنسان في العهود الغابرة.

أدرك الإنسان حقيقة وجوده اليومي الذي وجده مليئا بالأسرار والخوارق المستحيلة التحقيق بالنظر إلى قدراته وطاقاته المتوفرة لديه في تلك الأثناء أدرك إدراكا بأنه مقاومة بعض الظواهر الطبيعية كالنجاة من الغرق ومقاومة الافتراس الحيواني ، تكون لديه شقين متناقضين "انتصار صعب وعويص على الطبيعة" و"عجز كبير على مقاومة الغامض والآتي".

أدى به إلى التفكير على طريقتين طريقة جعلته يفسح المجال لإبداعه في المقاومة وطريقة يحاول بها فك أسرارا لظواهر التي تعايشه يوميا غير آبه بها ، فظن أنها تنافسه على سيادة المحيط الذي يحيا مما قوى له ملكة التفسير لأن الإدراك وحده بالمخاطر لم يعد يفي بغرض التشبع لديه رغم أنه أنتج معدات وأدوات كثيرة وافقت أزمانه ، يستعملها في كثير من نزلاته ضد الظواهر المعقدة، وهنا أريد أن أشير أن ما توارى عنه شكل أيضا نقطة استفهام خاصة لما يرى إلى اختفاء الليل وحلول النهار أو إختفاءالقمروراء السحب،سهل له أيضا إمكانية بحث جديدة، فهو معروف بالتجديد وعدم الفشل في المحاولة، يكررها إلى مالا نهاية حتى يصل إلى تحقيق شبه ما يريد وتلك هي سنوات تحسب تباعا لتحقيق الإنجاز على المعتل والمتخفي الصعب وأصبح بالإمكان إدراك أن

كل الخوارق هي الجانب المظلم في العقول البشرية[1]وسنضرب مثالا عن حقيقة هذه الأهمية التي جعلت البشري يستعمل تخمين واهي لمقاربة ما يظن أنه حادث، في أسطورة الخلق والتكوين في الأسطورة السومرية، لكي نبني من وراءها معالم تقوقعه في محاولة الإجابة عن ضعفه.

تقول الأسطورة العراقية إن المياه الممثلة بالإلهة (نمو) هي المسئولة عن خلق الإنسان في كون وجدت قبله والأرض ممثلة بالإلهة (كي) كما ترجمها **kram**اعتبروا أن "نمو" هي التي خلقت جميع عناصر الكون بالتوالد[2] بدأ بإنجاب الأرض والسماء مولود الأول (النيل) الذي يمثل الجو الفاصل بين الأرض والسماء ثم ولد العمر (ن) الذي أنجبه "النيل" وبعد ذلك أنجب القمر الشمس أوتوا، لو أطلعنا على معاني التجسيم غير المنطقي المبني على أوهام الشعور بشغل الحيز الفارغ في حياته، عندما نظر البشري إلى السماء نقل إليها فضاء يعكس منطلقات حياته وسلوك النفسية المتعددة التي يحيا بعنف ألطف ،فوجدنا شوقه إلى الإحساس بالاكتشاف أو بأن كل الأسئلة التي يرحب في مساءلتها يجد بها إجابات، قلت سابقا لم نظر إلى السماء أحتار في بعدها عن الأرض وفيما ترسل من مطر وصحو وفي الأرض وما فيها، من كلأ وجبل وما بينهما من هواء فصاغ من عقله حكايات وجدت في السماء من أجل أن تثبت لها نظائر على الأرض[3].

أخترق عقله كل حدود الأمكنة بتصوير آلهة في السماء، يتعايشون ويستنسخون أمثالهم في القوة وسنعود إلى مسار القوة بالتفصيل في المبحث الموالي بكون القوة والأسطورة ملازمتين تطرحان شأن الإنسان في البحث عن ذلك الشيء الذي هو أكبر منه قال أحد العلماء عندما يتثاءب الإنسان يستعمل يديه ورأسه وعينيه ناظرا إلى السماء ويواصل التمدد ظنا منه سيبلغ عنانها وهذا حسب القائل رمزا للبحث عن طول أبيه آدم فهو دائم الاحتياج في فضائه إلى من هو أقوى وقد

[1]– مصطفى أوشاطر، الأسطورة رسالة دكتوراه ،جامعة تلمسان غير منشورة سنة

[2]– محمد الززار، مجلة الفكر العدد ، 4 افريل 2012، الكويت

[3]– رمضان مهلهل، معجم المعتقدات والخرافات، أزمنة للنشر، القاهرة، 2007، ص 300

أعطى هذه المهنة إلى رجل من العامة[1] أتفق مع أقرانه في القبيلة على أنه الأقوى وفق ما ذكر جون جاك روسو في العقد الاجتماعي.عكست السلطة الممنوحة للرجل الأقوى عدة إمتيازات شابها تحري في التصرفات بحجة رضا الغير.

لهذا يبدو أن أمر ممارسة الأسطورة ،كصناعة لنصوص قبل تفسير صياغتها أنها كانت بمثابة اكتشاف علاج لكثير من الأمراض أبسطها "مرض عدم نوم الصبي" قبل أن يتحول هذا المرض إلى عادة عادية، حيث كانت الجدة تحكى للطفل نصوص خارقة تعكس تحقيق المستحيل كالمشي على سطوح البحار والطيران من أجل النوم[2]،مما أدت به إلى تحقيق بنية اجتماعية ذات طابع سكوني قاضية بعلاج الكثير من الأشياء التي كانت تثير نظام العائلة عكس ماذهبت إليه مارغريت ميد بقولها كل جيل يجد نفسه في لحظة معينة في علاقة تبعية وتسلط بالجيل الذي يتقدمه أو الجيل الذي يليه.

وهروبا من الموت الذي ظن البشري أنه يلاحقه لم يجد بدا إلا بإتباع الخارقة أو ما أصطلح على تسميته بالسحر اجتماعيا ، إذ صار تحقيق بعض العلاجات التي مكنت له من الراحة بمثابة قدرة إيمانية حجبت عنه المتخفي وراء الصبر، وأذعنت البنية الاجتماعية في تشهير أمر السحر كعلاج رادع، ومنهم حواشيه من الأسرة البسيطة أو المركبة بل صار العلاج معتقد فيه ،من يتسبب فيه بمثابة المسند القوي فيظل المسحور في وعكة صحية منه يغذيها التساند الاجتماعي لمن حوله خاصة إذا تماثل للشفاء يصير أشهر من نار على حطب .

[1]- أسطورة رومانية سمعتها بمصر ، بائع كتب قديمة بتاريخ 2016/06/24 ، قبالة جامع الزيتونة .

[2]- جونمارك،مارغريتتبدو في سنالرشدساموا..دارالنشرالعبيكان،رقم تسلسلي عالمي: 9960-40-528-1،سنة 1970 ص56

***انتربولوجية أمريكية رائدة في الاثنوغرافيات**

فبعدما كان إنسانا ميتا تملكه الخوف الذي قال عنه كانون أنه نشاط مفيد ولكن إذا كان الشخص لا يملك أي جواب فطري على وضع غريب فإن نشاط العصب السم باتي يختل نظامه وقد يسبب في نقص الدم ولما يتعافى المريض بعد اقتناعه أصبح حيا مجتمعيا[1].

[1]- خان محمد عبد المجيد، الخرافات والأساطير عند العرب، دار الحداثة، بيروت، 1982، ص 140

2- القوة الطبيعية

بعدما تعرفنا على ممارسة الخيال الأسطوري أثناء إنتاجه لها كنصوص سنحاول في هذا المطلب التكلم عن القوة التي استعملها لتحريك تلك النصوص.

تعرف القوة عند القدماء أنها القدرة الخفية المنبعثة من الكون لإحياء الأشياء وتحريكها، وهي عند الفراعنة تلك الروح الخفية الموجودة في كل شيء[1]موجود على الأرض أو في السماء يظهر في الصور الجنائزية[1]لتي اشتهرت عند الفراعنة وبناء صوت الجسد يعيدون تحنيطه لإرجاع قوته للحياة مرة أخرى أو ما يعرف حياة ما وراء البعث لو نظرنا قليلا إلى التعريفات السابقة للقوة نستنتج أن البشري قام بحركة إنتاج وبناء لتصور حياة أخرى بعد فناء الجسد خاصة وأنه كان يعايش يوميا مظاهر اعتلاك هذا الجسد البشري، إما هوانا غير مفهوم أو بفعل عناصر الطبيعة التي ظل فارا منها لأنه لم تتكون لديه ثقافة معرفية بخصوصها الأمر الذي جعله لا يتردد في اللجوء إلى القوة، فهو لم يستوعب أبدا فكرة انقراضه بسهولة لهذا فضل الهرب والاختفاء المستمرين من أي شيء يحس بأنه ذوي قوة حتى لو كانت مستعملة في جسده.

يتجسد استعمال القوة في نطاق نص (الخارقة) فالخارقة هي شيئية عادية تعود البشري على مساعدتها يوميا في كل المناطق والاتجاهات المحددة لمساراته، لكن عندما يوظف لها قوة مضاعفة تتحول إلى خارجية، لهذا فإن أمر الخرافية أستعمل قديما في الأسطورة وقد ثارت به المعابد وهو ما ظهر بصورة شبه كاملة عند المصريين القدماء عن فيضان النيل المتميز بقوة السلامة المركبة حيث نسبوا ذلك إلى دموع الإلهة إيزيس التي تبكي زوجها أوزيري*.

[1]- محمد عبد الله الشرقاوي، حضارية الأديان، دار الجبل، 1990، القاهرة، ص 93

أ–القوة عند المتصوفة:

ذكرت الباحثة آمنة بلعلي[1]، الكرامة برزت في شكل رؤيا خرافية قوليه أو فعلية وضعها الله بعد حصول المعرفة في أوليائه وعند حدوث المعرفة والفتح وفقا لما يراه أصحاب الأحوال بأن المعرفة هي ذلك العلم الذي يعبر عن معاني الأشياء وهم أكثر درجة من أصحاب المنهج النبوي والعاملين على الظاهرة الجينالوجية،لكون هذه الأخيرة تتناول تفاصيل رمزية عليها لكن العرفانية قد تقرنها بالتواجد الإلهي لحصرها، فلا تكون المعرفة عرفانية إلا إذا صبغتها قوة الإهية يمدها لعباده الصالحين أصحاب المعايا،إذن كيف تكونت القوة عند هؤلاء؟.

كما أشرنا سابقا في التعريف الخاص بالقوة ، أنها شيئية يمدها الله تعالى لتدعيم الكائن كفعل ونص يظهر إن الأفعال تبقى عادية إذا لم يتزود الفرد بالعرفانية، فالمؤمن بصلاته السطحية يبقى دهرا لا يرى إلا ما يراه ويحيا غير أن المتسم بمعرفة الله في الأحوال والشهود يدرك أشياءا كثيرة لأن هذا الأخير يكون قد أحاط بعين الشيء.

وأكد الفيلسوف ابن سينا[2]، العارف خازن من خزان الله فهو يتناول عن الله ويمسك لله وبذا تكون العرفانية هي مصدر القوة الروحية والجسمية عند الصالحين من أمة محمد(ص) ولاسيما المكتفون بعلم الله والمسلمون بالرضا للقدر خيره وشره فالعارف كما ذكره ابن عجيبة هو الذي يثبت الأشياء لله.

نخلص أن القوة المستجمعة في كيان المتصوفة هي إرادة تبحث لبلوغ العرفانية ومنها تحصيل (الشيئية الخرافية) التي توصله إلى الشعور والتميز ولأنه سيكون في مقام رفيع بالنظر إلى ما قدمت يداه من أعمال رضائي قطع نفسه عنها في الوقت الذي توصله إلى الشعور بالتميز ولأنه سيكون في مقام رفيع بالنظر إلى ما قدمت يداه من أعمال رضائية قطع نفسه عنها في الوقت الذي كان

[1]– امنة بلعلي، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، دار الامل، 2009، الجزائر، ص 299

[2]–محمد جمال الدين قاسمي، موعظة المؤمنين، دار الثقافة، بيروت، 1981، ص 160

نظرائه لا يستطيعون ملازمة ما فيها صبرا وبالمقارنة بين سلوكات الضان بالله ظن السوء والمؤمن بالله نجد أن المؤمن بيقين يرى أنه متميز وذا قرب يصعده إلى أعلي درجات التصور من الإقتراب لأنه في ظنه فعل ما يريده الله من محاسن بعادية .

يستمر في عطائه بتطهير نفسه من كل ما يغضب الله منصورا في خفاياه أنه إن عصى مولاه سيعيده إلى سيرته الأولى، وإن دل هذا الأمر على كثر العبادة يسقط المرء في حالات العجب والكبرياء، إن إهتم بالعدد لأن حقيقة العرفانية كما ذكرنا هي معرفة الله وليس إكثار تردفي الآيات دون تدبرها، إما الظان بالله ظن السوء فهو يصل بنفسه إلى كمال العجب والرياء مستهزئا بما يراه ويسمح جازما بالفصل أنه لا يبلغه مما سمع من وعيد، فحدث له كما حدث لإبليس عندما طلب منه المولى تعالى السجود فعصا أمر ربه وغوى، لهذا أورثت هذه السلوكات عند طريق الإملاء من الشيطان ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت(38)].

ب –القوة عند العوام:

تقترن القوة بمفهوم الخوف فالإنسان يعيش حالة من التوتر من خلال إحساسه بالانقراض والموت وهذه ليست تأويلية حديثة بقدر ما هي قديمة عند الشعوب .

إشتهر "الماجليموزمون"[1]و"الناطقين" الذين تتمحور قوتهم في صناعة أدوات المقاومة لقتل الحيوانات باستخدام العظام وقرون الحيوانات، قبل أن يتم استئناس الحيوانات لديهم، مثل هذه الرحلة التاريخية أوصلت الشعوب إلى تعويض مفهوم القوة بالإكثار من أدوات القتل والقنص وتعليه إحجامهم نظروا إلى القوة من حيث هي عدد ، وهذا ربما يعود إلى إكثارهم في التوالد

[1]– عبد الفتاح محمد وهبة، الجغرافية التاريخية بين النظرية والتطبيق، دار النهضة العربية، مرجع سابق، ص 114.

وتكوين الأسر المركبة ،قلت ربما عندما نظروا إلى الكثرة أدركوا أنها قوة وهو نفس المثال الذي يظهر جليا عند تجمع جاموس الأبقار لمهاجمة الأسود في غابات السفانا .

لو حاولنا من جهة أخرى اختبار القوة عند هؤلاء من العوام نجد أنهم يعملون على تكوينهم من خلال (العد التكراري للمحاولات)،فهم ليبنون جسرا حتى يعيدون محاولات بنائه العشرات من المرات ما جعلنا نقارنه بمباشرة القوة التي أتصف بها البناءون للأهرامات المصرية.

إن القوة عند العوام تظهر من خلال إعادة المحاولة للوصول إلى نتيجة عملت بها مختلف المدارس اليونانية عندما أرادت أن تفرق بين الفنون الدرامية والتراجيدية والكثير من العوام المتثقفون وصلوا إلى تحقيق خرافية عندما أكثروا المحاولة فدخلوا في عالم العلم ومنه إلى المعرفة التي اشرنا إليها عند المتصوفة.

وفي آخرهذا العنصر نشير أن استعمال (القوة) كمفهوم ظل يشكل مصطلحا معقدا عند القدماء والمحدثين اقترن بمجال الخارقة أو حدود التصور وهو ما نريد أن نبنيه في مدخل دراستنا لكي يظهر توارث مفهوم الارتقاء إلى الأعلى وتحضير القلوب في الحضرة النورانية لله رب العالمين .

ج–ممارسة الإنسان العبث:

أردنا في محور ممارسة العبث التحدث عن الاستعمالات غير العقلانية للإنسان على مر الأزمان،والتي كانت وراء إخفاء وحجب الكثير من المعارف التي ربما كانت ستنير طريق الفكر إلى أحسن مما نحن فيه الآن، وقبل ذلك يمكن أخذ تعريف العبث حسب المدرسة اليونانية القديمة[1]، بقولها إن العبثية هي خطأ العقل الإنساني وإيمانها بالأخطاء المتكررة يجعلنا نبقى الكثير عن التصورات حول مرض العقل ووهمه كما تكلم عنه الكثير من المحدثين والفلاسفة أمثال هابد خر وماركس .

[1]– شاتلي فرانسوا، ايديولوجية الانسان، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 2002، ص 110 .

ومما لا مجال فيه للشك أن الإنسان في تاريخه الطويل أستعمل أفكارا ظن أنها سليمة وهي كانت مرتبطة بالأنانية والحقد ناتجة عن شعور بالتسلط وتوسع في الملكية الفردية ،لأنه ثبت تاريخيا أن الإنسان البدائي كان وفيا لعشيرته يعيث فسادا خارج حدود مجتمعه، وهو الأمر الذي يظهر في الغارات والغزوات التي كانوا يقومون بها ضد جيرانهم حتى أوجد عقله قواعد منظمة للحروب .

ضمن ما نحاول تصنيفه "بالعبثية العقلية" هذا إذا أمنا فعلا أنهم كانوا يعبثون أم يمارسون دورة العقلانية في نظرنا لا ترتقي أسس تنظيم الأسوأ إلى ما يلائم الأنا الذاتية للجماعة لأن البشري عندما قدم تصوره للأخر حول إمكانية التعايش في أمن كان قبلها قد فكر في حدود الأمن والسكينة الأولى، فهو لم ينفع في تقديم مشاريع التواصل الاجتماعي منذ أن حاور نفسه وبعد مئات السنين حاورا لآخر مكتسبا تجربة حوارية وحيدة كما يكون في نفس الإطار قد قدم نماذج عبثية حازت على قبول الأخر.

ولا يعني أن الآخر وافقه على تلك العبثية بل ربما كانت تمثل خارقيه كاجتماع الناس في العصور القديمة لعبادة الأصنام ورموز الطبيعة وتضاريسها، لهذا وجد الأنبياء والرسل مجابهة فورية لاستقبال أفكار الكشف عن عبادة الأوثان من قبل الغير متوهمون أنهم إن تقبلوا سيعيشون عبثية بهيمية وكأنهم هم العقلاء هكذا ظنوا ولاذوا عن ذلك بكل أصناف العبث كتصديقهم تنبؤات الأمامية أو تقسيم السماء إلى أقاليم ألاهية وزاد عبثهم بعبادة البقر والجنس الإيروسي أو التطهير الغنوسي،ولم يكن دفاعهم عن هذه المنطلقات إلا لأنهم أدركوا في تأمل ميتافيزيقي للحياة والمادة والله ولعل من أشد الأسئلة التي كانت تخيفه هو علاقة الروح بالجسد؟.

وعند الموات أين تذهب الروح، ؟هل تبقى رهينة الأسرة ؟أم أن لها مكانا خارجيا من شدة ذهوله أعطى لعقله حرية مشايعة في أن يختلق أجوبة سواء كانت عادية أو غير عادية المهم لتحقيق إجابة يراها وافية .

مثل هذا الطرح التساؤلي فتح المجال أكثر لكي يمارس العبثية وفقط لمدركات رأى أنها صحيحة أو حقيقية بمعيار تصديق العين وإدراك الحس، يمكن القول أن العبثية قادت الإنسان البدائي لأنه نال المعاني التي ليست هي في ذاتها مادية وكأنه بات أسيرا للمجاز في حياته وبهذا يكون قد ساهم بدون ما يشعر في تدجين مفهوم الوهمية التي تمكزت على مجموعة من الأسقام الاجتماعية منها النفورون التفكير الروحي المبني على رسالة.

إن هذا السبب وغيره جعلنا نقتحم مبحثنا في الفصل اللاحق، للحديث عن الأديان ورسائلها المختلفة من أجل إفهام القارئ الحقيقة المثلى التي تؤكد معرفة البشر لحقائق أفعالهم ...

3- الدين:

إن إقحام إنثروبولوجية الدين هو ماتطلب إدراج رسالات الأديان لمعرفة السلوكات البشرية القديمة وما موقف الله تعالى منها؟ ، وهو موقف أجاب عنه القرآن الكريم في الكثير من الآيات .

إذا نظرنا إلى العهود السحيقة التي عاشها البشري ، نجد أنها كانت مليئة بسلوكيات وأعمال لا يمكن تطبيقها لأن ذلك موضوع مستقل عن دراستنا حول الحضرة في الإسلام ،وإنما يمكن الإشارة إليها من باب إحصاء السلوكات وعلى الرغم مما قيل عند القدماء إلى أن ذلك أعطانا لمحة عن مختلف الأفعال الإنسانية وركزت عليها حسب نسيم الكتاب المقدس .

عرض سفرا التكوين (**Generis**) قصص خلق العالم1م خلق الإنسان والطوفان وإبراهيم وأبنائه الأسباط ثم أكمل سفر الخروج الجانب الرحلاتي وقصص موسى مع فرعون عبر البحر ومن بعدها قصة الفتية في أرض سيناء بينما إحتوى سفر الخروج،على مجموعة من الإرشادات التعبدية ووسائل متفرقة في صد الحروب والإقتصاد بينما حتم سفر التثنية طقوس تقديم الذبائح في المعابد.

عند تشخيص ما أضيف واخترع في شكل أسطورة على منشورات العهد القديم المترجمة في فترة اليونانية المعروفة بالترجمة السبعينية التي تمت في الإسكندرية في عهد بطليموس فيلا دلف سنة **282ق م** ،نجد حكايات عكست عبثية الناس وسوء تصرفهم إتجاه الله والطبيعة .

هي تسمية اطلقت من قبل النصارى وقسمت دائرة المعارف البريطانية اسفار العهد القديم الى (3) مجموعات هي التوراة واسفار الأنبياء.

أضيفت أشياء منقحة على إسفار النصارى الكاثوليك والأرثوذوكسي وهي أسفار بصاروخ والنقابين الأول والثاني[1]، بينما البروتستانت ثبت تقديسهم للأصل العبري ولذا يمكن إحصاء 27 سفرا من العهد الجديد زادت هي الأخرى في تصوير عبثية الإنسان حتى مطلع القرن الخامس

الميلادي أين كثر التصحيف في الكتب السماوية، كما ذكرت طائفة الأورثوذوكسية قولهم أنه لو كانت المسيحية صادقة فلا يوجد ما تخشاه من التساؤلات البريئة ،ولهذا فإنه لا يمنع الدراسات النقدية والتاريخية للكتاب المقدس على الرغم من أنها تعتبر الكنيسة صاحبة الشرعية في تفسير الكتاب المقدس ،وقوله ولازمت حقيقة الإلهام بعضا من النصوص عند طوائف العهد الجديد نذكر مثلا اعتقاد الأرثوذكس بأن الكتاب المقدس هوالتعبيرالأسمى عن وحي الله وأنه على المسيحيين أن يكونوا دائما أهل الكتاب.

ومن الترقي الروحي الذي ورد عند المسيحيين ما تذكره أسفارهم بقولها « **توبوا إلى الله لأنه قد اقترب ملكوت السموات** »**[متى 2:3]** وحبهم فإنه يجب تغيير المستقبل تمهيدا لعودة المسيح، بينما تجاوزت الغنوسطية حدود العقل واعتبرت أن الجسد مقبرة للروح وأن الزواج شر يؤدي إلى العبودية وأن الولادة أشر أي أنها تعني دخول كائن روحاني إلى مستوى مادي منحط مما يعني اصطفاء العقلية البشرية على التماثل الروحي فمثلا ركزت الأناجيل الغنوسية على عملية دق المسامير في جسد نبينا عيسى عليه السلام ،إنما هو جسد ليس هو مؤقت وترك خلافا أجوفا على الصليب، يؤدي بنا إلى استحداث فكرة في غاية الأهمية تتمحور حول فكرة روحانية هي سكن الإنسان في الله أو ما يعرف بنظرية الحلول، حلول الخالق في المخلوق بقولهم في العهد الجديد ليكون الجميع واحدا كما أنك أنت أيها الأب في وأنا فيك،ليكونوا هم أيضا واحدا فينا ليؤمن العالم أنك سألتني وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحدا أنا فيهم وأنت ليكونوا مكملين إلى واحد وليعلم العالم أنك أرسلتني وأحببتهم كما أحببتني[1].

نخلص في أخر هذه النقطة أن العقلية البشرية عند الإنسان العاقل مارست كل أنواع العبث في الحياة ومارست الكنيسة طقوسها للتمكين من مصلحة ذاتية غذتها الأنانية البشرية في التحكم في القوة لأنها رأت أن القوة ستعيش في العوالم الصغيرة ،ولكي يتم التحكم فيها يجب إحكام

[1]– محمد عبد الله، مقاربة الأديان، دار الجبل، 1990، ص 27

السيطرة على أرواح الناس من خلال توجيههم إلى ماتراه الكنيسة مناسبا وبالتالي فهي قد غيبت العقل الإنساني في بدايته واعتبرت أن أية محاولة تسمو بالإنسان هي جرم يجب أن يكلفه نزع الحياة منه، فهل كانت بنفس الصفة عند أهل الحضارات القديمة؟ ، وسوف نحاول أن نتعرف على إشكالية استغلال القوة أو الترقي إلى الملكوت من خلال طقوس مختلفة لهم لدى الأمم القديمة .

الحضارات القديمة:

تتسلسل الحضارات بتسلل المناهج التاريخية،ولكونها تشمل العديد من الحضارات إكتفينا بالحضارات الشهيرة على سبيل النقل.

1- الحضارة المصرية:

قامت الحضارة المصرية القديمة،على مبدأ إتحاد القوة بين أهالي مصر العليا المعروفة بالفيوم ومصر السفلى في ناحية الشمال ، حيث وحدهم الملك"ناركن" مؤسس عاصمة (منف) وأدمج تاجين فوق رأسه وهو ما عرف باسم الفرعون، أين نسي الناس الإله وروس وأصبحوا يعتقدون في الفرعون ،وكان هذا أول تمزيق لمفهوم القوة بين الطبيعة التضاريسية والجغرافية الإنسانية ،إذ كان لزاما استحداث وظيفة (لأتي) وزير يشكل عيون الملك، إلا أنه رغم تفوقهم في كثير من ميادين الكتابة والبناء زاد تخوفهم من القادم ظل يلزمهم، فقد ألهوا الحيوانات والنباتات كالأفعى والتمساح، خوفا من القوة المتخفية التي تسكنهم واتخذوا أشكالا متعددة صقر أو ثور وعجل إلى أن وحدوا ربهم في إله واحد هو الإله أتوت (الشمس) وبعد ثورة توت عنخ أمون أعيدت الإلهة القديمة إلى الواجهة وآمنوا بالحياة بعد الممات واتخذوا لها طقوسا مثل التحنيط وإبداع كتاب ألموتي في قبورهم الفارة ليتعرفوا على توجيهات الحساب.نخلص في الأخير أن العقل البشري الفرعوني كان عقلا ميتافيزيقيا ممارسا لكافة أنواع الطقوس الحركية وهو ما جسدته حركة الفنون وبعض الآلات الموسيقية التي بينت جسمانية العقل المصري منذ القدم آمنت بالبعث مرة أخرى بعد الموت .

2- حضارة ما بين النهرين:

أقيمت هذه الحضارة على طريق صحراوي ببحيرة نهر الدجل والفرات، تحول إلى سهل خصيب وهو المعروف بالعراق شمالا وبسوريا غربا وتعاقبت عليه خمس دويلات ويعود السومريون في الأصل كونهم إيرانيون ينتمون إلى الأناضول ، استوطنوا بلاد النهرين لمدة طويلة لا تزيد عن ربع قرن وجاء بعدهم الأكاديون وهم قبائل لمدة طويلة لا تزيد عن ربع قرن ومن ثم الأكاديون وهم قبائل ساعية عرفوا بالقوة على يد زعيمهم"مسرحون الأكادي" الذي قادهم إلى غزوات وصلت حتى إلى البحر الأبيض المتوسط ،ثم توالى بعدهم البابليون وهم فلول مهاجرة سجلت إنجازاتها من خلال حمو رابي (1710 ق م إلى 1670 ق م)[1].

قام التفكير الفعلي على نحو سليم بوضع وصاية للملوك للرأفة بالرعية ثم جاء الأشوريون في مدينة أشور تقوى فيها الفكر العقلي والروحي إلى درجة الخروج عن العقلانية بتعظيم الإلهة وآخر من أستوطن في بلاد ما بين النهرين هم الكلدانيون قبائل سامية نزحت من سوريا حققت انتصارات فكرية في عهد نبوخذ نصر.

ورغم أنها ارتبطت بالانتصارات العسكرية إلا أنها شهدت جهلا فكريا يتمثل في عبادة الشمس الحارقة وقوة المياه أو الطوفان وجعلوا الإلهة في صورة بشر وعبدوا بذلك القوة فوضعوا للسماء إله هو (آنو) والنيل إله الأرض وآيا إله المياه الجوفية.

نستخلص أن السومريين اعتقدوا في الخلود وأن الروح ستذهب إلى أرجاء لا ترجع منها أبدا بينما عند المصريين تذهب إلى عالم آخر مثالي لذلك لا تستغرب تواجد طقوس حركية تمثلت في رسمهم للأسود والثيران واللبوءة .

[1]- لبيب عبد الستار، الحضارات- دار المشرق- بيروت، 2003، ص 13

3-الحضارة الفارسية:

يقصد بالحضارة الفارسية، بلاد إيران وهم من أصول آريه هند أوروبية أسسها فورش بعدما تآمر على المتدين سنة 555 ق م ، ولم يمكث ملكه طويلا بسبب موته وخلقه فيما بعد ولذا أصيب بالجنون والخرم في الطريق بعدما آل إليه الحكم إلا أنه لم يدم طويلا حتى أعاد الميديون الكر على المملكة فكثرت الحروب وتعددت بعدما رفض حلفائهم الإغريق مدهم بالمساعدة اقتبسوا من حضارات الجوار اعتقاد تواجد الأرواح وعبدوا النار والهواء والشمس وأصبحوا روحانيين وفق تعاليم الديانة المردية حيث يتجمعون حول النار ويقومون بحركات يحتسون مشروبا يدعى (هونا) فيغيبون في عالم النشوة والأرواح عندهم أصناف صالحة وشريرة ومن هذه الأرضية جاء "زرداشت"بوصايا على غرار "حمو رابي" داعيا إلى عبادة إله واحد هو" أهورمزدا" إما الإلهة الأخرى كلها أرواح للخير والشر وطلب من الإنسان أن يصلح نفسه لأنه سأل أمام الإله (أدهور مردا)[1].

نستخلص أن الحضارة الفارسية لم تقدم للإنسان المسافر روحيا، سوى حقيقة واحدة وهي حسابه من قبل الإله (لاهورمرد)، فها هو إسكندر موري يقف على قمة التأخر العقلي قائلا: «تلبث الروح (3) أيام فوق رأس الميت نتلوا الصلاة (ألغانا) وتدعو للسعادة وتنعم بسلام عالم الإحياء وفي نهاية الليلة الثالثة تهب نسمة عطرة ويليها ظهور ضمير أو دين الميت عذراء في سنها الخامس عشر نبيلة القامة بضمة الذراعين لاعب بجمال كل الجميلات، ولدى سؤالها تجيب أنها الشاب البهي الفكر والعبارات الجميلة والأعمال والنبات في تقمص ضميرك، لقد أحبتني بعظمة جمالي جعلتني محببة ومن شهية جعلتني أشهى هكذا أكرم .... هورمزدا».

[1]- عبد الفتاح محمد وهبة، الجغرفية التاريخية، دار النهضة، مرجع سابق، ص 180

4-الحضارة الفينيقية:

يعود الفينيقيون إلى قبائل كنعانية وفدت من شبه الجزيرة العربية، واستقرت على ساحل المتوسط قبل الألف الأولى قبل الميلاد، تعرض الفينيقيون إلى غزوات سلبتهم ممتلكاتهم من قبل ملوك مصر إلى غاية 1200 ق م[1]،أين قدمت قبائل الفل سطو وصدت الفراعنة عنهم، ومما ميز التفكير الروحاني هو نقل طقوس عبادة النار ومظاهر الطبيعة على غرار جيرانهم الدانيين، فالجبل عندهم هو بيت الإله وقديسواسكيليبوس وبنوا فوق مرتفعه معبدا واقتبسوا عن المصريين الحياة الأخرى ولعل ما يجعلهم جهلة هو قيامهم بحرق الأطفال دون ستة شهور عندما يحل بالمدينة خطر، وأحيانا بالطفل عندما ينجز عمل ما كبناء سور.

نخلص أنه رغم تقدم الحضارة الفينيقية في شتى العلوم من الطب والأدب والفنون على غرار اهتدائهم إلى اكتشاف الحروف الأبجدية إلا أن تأثرهم بالطقوس الدينية جعل منهم أمما متأخرة روحيا وهو ما يترجمه طقس ذبح الأطفال والدوران حول النار.

5-الحضارة الإغريقية:

هي الحضارة التي عرفتها بلاد اليونان في أسيا الصغرى واتسمت بالجهل في الروحانيات[2] وعدم ضبطها لمعايير العبادة فكل بيت كان له إله نار لا تنطفئ ،ومما يعكس جهلهم وجود آلهة صغار وأخرى للكبار حتى صارت مدينتهم كلها آلهة وأحبطت بها أساطير عرفت (بالميثولوجيا) كالتي ذكرها هوميروس في الملحمة وهزيود في النص تناولت قصصا عن خلق الكون وهروب الإلهة إلى العالم وقد حاولوا عن طريق الأسطورة تفسير ما عجزوا عنه في الواقع ويمكن الإشارة إلى المرحلة الروحية التي مرت بها الديانة الإغريقية وهي طقوس للتخلص من سلطان الجسد عبارة عن مجسمات في شكل مسرحيات ترمز إلى الزواج بين الإله ونفس وديمتري إله الأرض فتولد من هذا الزواج سنبلة لإله الخصب.

[1]- لبيب عبد الستار، الحضارات، دار المشرق، مرجع سابق، ص 196

[2]- أبو عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، دار البحث العربية، بيروت، 1982، ص 220

نستخلص أن طقوس الارتقاء التي مارسها الإغريق، هي نوع من البحث حيث يدخل المتعبدون إلى الكهوف المظلمة دلالة على الحجم ثم يدخلون غرفا بها أنوار وتماثيل فيبركون في نشوة تمثل إتحادهم مع الإله- ومن عجيب إحضار الروح قبل الذهاب إلى أي معركة يتوجهون إلى الهيكل وسط المدينة حيث توكل به امرأة عجوز تستنشق غبار كريه وهي جاثمة على كرسي مثلث ثم تسقط في غيبوبة وتبدأ في التحدث ظنا أنه ينزل عليها الوحي، فتنطق بألفاظ معقدة غير مفهومة بحيث يجد فيها كل سائل ما يريد.

6-الحضارة الرومانية:

ترتبط هذه الحضارة بمدينة روما، نزحت قبائل "الإثروسيكيون" من آسيا الصغرى في القرن التاسع ق.م أسسوا مملكة وتحالفوا مع القرطاجيين لمنافسة الإغريق ،وواصلوا تزويد المدينة العالمية برواسب حضارتها إلا أنها من الناحية الروحية لم تكن أكثر شأنا من سابقاتها، حيث فسحوا الإلهة كل مظاهر الحياة واعتقدوا راسخين في نبوءات الكهنة فلا يمر الجنود إلى المعارك حتى يقومون باستشارة الكهنة، حيث كانوا يقيمون المذابح على جدران المنازل في هستيريا من النشوة، ولم يستظل الأمر حتى عادوا إلى التراخي في الجانب العبادي بعد ظهور توجهات وكتابات سقراط وفلاسفة عصره.

نستخلص إلى أن الطقوس المختلفة للتقرب إلى الإله كانت واردة في العقلية الرومانية حيث كان الرومان إذا أحسوا بأن الإلهة غاضبة يغمد أعضاء مجلس الشيوخ إلى إقامة مراسم لإرضائهم.

7-الحضارة العربية في الإسلام:

قبل الإسلام كان العرب كجيرانهم يعبدون الأوثان واتخذوا من مظاهر الطبيعة منحوتات لهم ترافقهم ويطوفون حول أصنامهم وعددها 300 صنم أشهرها سواع - يعوق- هبل- وانتشرت في بلادهم الديانة المسيحية في قبائل بني أسد وتغلب بسبب تواجد الأحباش وروما إلى حوارهم مما

سهل عوامل التأثر وتقدمت المسيحية في بحران العرب في اليمن والحجاز وكنانة والصابئة والمجوس بلاد العرب بتأثير من الفرس[1].

نخلص أن عقلية الإنسان العربية كانت لا تقل شأنا عن ما جاوره من الأجناس، فكأنه كان ينقل ما سمع ولاحظ وشاهد في البلاد البعيدة التي كان يقصدها للتجارة، أثناء رحلتي الشتاء والصيف، وبهذا كان عقله على العموم مسطحا لا يرقى إلى مظاهر البعث والتفكر في ملكوت الله، ومع ذلك سجل التاريخ تواجد (4) أربعة، رجال عبدوا الله وتفكروا في ملكوته ويتعلق الأمر بعثمان بن ويرث وشيبة بن ربيعة وزيد بن عمرين وهو أول من أقسم بأن ليأكل مما يذبح لغير الله وقال عنه رسول صلى الله عليه وسلم سيبعث يوم القيامة وحده ومن أولاده سعد بن زيد وعاتقة بنت زيد تزوجت من عبدا لله بن أبي بكر وعمر بن الخطاب وورقة بن نوفل إلى أن جاء الإسلام برسالة القرآن على يد محمد بن عبد الله القرشي نشر تعاليم الإسلام في العقائد والأركان محولا هو وصحابته نمطية العبادة إلى عبادة رب الكون لا إله إلا هو، ومن الخلفاء الراشدين سنوا ونظموا معالم الدولة الإسلامية التي اتسعت لاحقا لتتعدى الأمصار كلها في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين ،صارت دولة بأسمى معاني التحضر ولو يتسع مجال الدراسة لخضنا في أنوارها الوهاجة التي أضاءت درب الإنسانية قاطبة.

في الأخير أعاد البشري تفكيره الثاقب في رب السموات والأرض وكيف سيخلص نفسه من الذنوب .

[1]– ابن العبري، جركورنوس، مختصر تاريخ الدول، تحقيق أنطوان لصالحي، نشره دار الرائد، بيروت، ط2، ص 220 .

4- فلسفة الاعتقاد

أردنا أن يكون هذا المطلب وفيرا بتشخيصات أنثربولوجية علمية تتناول ما يسميه علماء الفلسفة بالعلم اليقيني وذلك عمل مقصود من الباحث ، لكي يوصل خيط الإدراك بموضوع الحضرة مع فلسفة الاعتقاد، الديني فيما يعايش المشارك فيها أو القارئ في نفحاتها، من أشياء مصورة في شكل قصص وغرائب ليس من السهل إدراكها ونشرع في أكبر الآيات الموحية لهذا الاعتقاد.

أ- الإيمان بالله:

إن التفكير مهما علت قوته بين قاصر أو قوي أمام إدراك إجابة مستعصية تتمثل المقدرة على تقبل عبادة رب الكون مجسدا في قوة مالكه وليس لها شبيه، ما نسميه تفكير يدخل في خانة الإيمان ،والإيمان هو تأمين وضع اليد على الفكرة الموجود في محيط التكلم وما من مخلوق إلا ووجد كلمة الله Dieu أو God في سياقه العرفي هي كائنة بدلالات مختلفة حسب مظاهر الألسنية العامة، وكما ذكرنا سابقا فإن الهدف من هذا المبحث هو نفسه ما ذكره ليفي شتراوس.

يحول المنهج الإنثروبولوجي كونه يهدف إلى إقامة معرفة بالصيغ العقلية الكلية الكامنة وراء تعاقب الظواهر[1] مهما تنوعت الصيغ فإن في تنوعها دلالات وقراءات لا متناهية تشكل كل قراءة لوحدها علما مقتضبا لم يتحر عن كل قراءة من معارف يعجز العقل والبيان عن محاولة رفضها بصورة تنمو فيها هذه الدلالات جماعيا، كما لا يمكن تصديق أي صور من الشرح التي تخرج عن قطاع الآية القرآنية التي فصلت أيما تفصيل في عدم التفكير في ذات الله، وأننا نتعجب في بعض الأحيان كيف يطغى أسلوب تصديق ما يكتب أو يقال دفعة واحدة دون الرجوع إلى فك الروابط بين أمهات العلاقات لهذا ذهب البعض إلى وضع مجسمات أختلط عليهم أمر الرؤية والمنام

[1]- بن مزيان شرقي وآخرون، من مناهج النقد الفلسفي، دار الغرب، الجزائر، 2007، ص 102.

والأخيلة التي شوشت على سابقاتها وإحاطتها بهالة من التقيد حتى أدخل بعضا من قواعد السحر والدجل لإثبات تلك الرؤى.

ومن بين أخطر هذه الرؤى هو رؤية الله جل جلاله وهو الذي أثبت استحالة رؤية البشري لها، وإذا قال موسى :﴿قال ربِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَلَنتَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ ﴾[الأعراف 143].إن استحالة الرؤية لله أمر مدرك ومؤمن به لوجود النصوص والأحاديث المفسرة قال ﷺ: «تفكروا في كل شيء إلا ذات الله فإنها فوق العرش»،وبالتاليفإنإدخال سيطرة قوة لا مثيل لها في الصنع هي صيغة وجدها العقل أمامه لما نظر إلى الكون ولما تمعن في جوهره أدرك دون محالة أن الله فوق كل شيء وزادته الآية الكريمة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ ﴾توضيحا فهو منزه عن الشيئية جل جلاله، لكن لا يمكن أن لا يعي البشري الذي أرشده رسول الرحمة إليه هو نوره الفياض، ورحمته المهداة إلى الناس أجمعين ممثلا في رسالة الإسلام وسنة الرسول (ﷺ) خير من سبقنا ومن الأمم وكيف عاثت عنأ مرر بها لما لم تؤمن بوجوده، وكان إثبات التواجد له حقيقة وضعها المولى تعالى أمام الناس بالبراهين والآيات لكي يؤمنوا بوحدانيته، ما جعلنا نطرح سؤالا هنا له علاقة بنية الإنسان في الإيمان هل هو غاض الطرف عن ذلك؟ أم أنه لم يصل إلى إثبات ذلك؟ كلا السؤالين تم إلحاقهما بالمسار العقلي، لو ترك الله الإنسان على هوى نفسه وغرورها وشرورها دون خلق العقل بغرفتيه الجوهرية والقلبية ما اهتدى وما عرف؟

ولهذا ترى أمر الإثبات ليس ناتجا وإنما هو واضح من خلال الطلب فالله بقوته وعظمته أو ما نسميه بالدلائل موجود في الإنسان (أنظر إلى العظام) وفي محيطه (أنظر كيف خلق الله الأرض...) وما طلبه المولى لتحقيق هذا الإيمان هو التدبر لا غير باستعمال العقل، كما فعل الصديق أبو بكر عندما قيل له إن صاحبك يدعي أنه أُسري به قال أو قالها محمد (ﷺ) قالوا

نعم فإن قالها فقد صدق كانوا مثله 10 نفر، عقلوا فتدبروا فبشروا بالجنة، لقد استعملوا عقولهم لإثبات إيمانهم فلما أدركوا ذلك عرفوا ربهم، فكيف آمنوا بكل ذلك في عصر لم ينظر إلى التكنولوجية المادية وارتقوا كان الرمل وخشاش الأرض يملآن فضاءهما وليست بورصات أو إنترنت أو تجارة بائرة.

استعملوا الفعل وساروا على ما جبل عليه، إني ما ضربت هذا المثل إنما لكي أثبت استعمال العقل في مكانه الذي خلقه الله عليه لدى السلف الصالح، أما ما لحق فقد أصبح الإنسان مقرب إليه حتى تذرف عيناه من خشية الله.

ب–الإيمان بالبعث:

لما أدرك الإنسان تواجد الله في حياته من خلال استعمال العقل المؤدي إلى معرفة الظواهر الكونية كدلائل قدرته وخاصة لما نظر إلى مراحل تكونه في حياته، أزداد يقينا لما علم خبر السابقين وأين آلوا؟.

هذا الرجوع في حد ذاته اكتشفه الإنسان لما رأى في الاندثار وزوال الأشياء أستعمل العقل استعمالا ربانيا كما أشرنا إليه في باب الإيمان بالله عرف أنه دون محالة راجع إلى ربه فيخبره المولى عما فعل في حياته الدنيا التي قال له الله شأنها متاع الغرور وأن هناك حياة أخرى برز فيه دون شك هو داخلها لكن لمن اتبع وآمن بربه في الحياة الدنيا ولو في آخر عمره فتح الله له باب التوبة ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ ﴾ **[النساء : 18]**، من خلال هذه التقديم جعل الله الرجوع إليه لحاكمية قدرية مقيمة للحج التي تقحم الإنسان العاجل بهوى نفسه لذلك وضع الله تعالى لهم عذابا أخرويا وهو ما يقودنا للتحدث عنه لتفسير مصلحة المشارك في الحضرة ولعل بكاءه وصياحه مرده إلى ما تلقى في حياته من نذير قال ابن لوزير في آرائه ضد المتكلمين إن الله أستوجب عذاب المستحقين

حجتين حجة ظاهرة وهي العمل وحجة خفية وهي الباعثة على الجزاء ولو رأينا إلى الحجة الأولى فهي تدخل في باب الإنصاف والعدل والمقدرة بالجزاء فكل عمل صالح يجازى عنه رب العزة وهذا جزاء العمل بينما ما هو على الجزاء فالله أمد الإنسان باستواء طرق العبادة على لسان 120 ألف رسول ونبي فكان من البشر أشقياء فحق الله أن يقيم الحجة عليهم كما حق على الله أن يكافئ السعداء بالمن والمغفرة

- **الاعتقاد الصوفي:**

يقوم الاعتقاد عند الصوفية على ممارسة تجربة العيادة باستعمال مظاهر الزهد ومجاهدة النفس مجاهدة كتتمثل في منعها من ممارسة اللذات الموجودة بالحياة وعلى الرغم مما قيل عن كل الملذات،فهي تمثل إمتاع الدنيا عندما ينظر إليها الصوفي لا يدرك إلا فناءها حتى تصير أمام عينيه كأنها عادية وعند الآخرين هي الحياة كلها بل ويسعون إلى تسخير الجهد والصحة والمال[1].

استنادا بكل سلوكات الأنبياء والرسل فالصوفيون يريدون معرفة الله وليس العلم به كإبن عربي والتستري الذي ذهب إلى توظيف العقل الممنوح، فقد حكم الأوائل منهم على أن كل المخلوقات هي من صنع الإله فهم يعتقدون أن الحضور للمشاهدة من أجل المعرفة وليس العلم به أو مناقشة الكيفية التي جاء عليها فإن ذلك يدخل من باب التمسك المطلق الذي أعرض عنه كلهم وفقا لما نصت عليه الآية: ﴿**قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ**﴾ [إبراهيم: 10] وقد ذكرت الكثير من الآيات قرائن تدل على وجوب معرفة الله ﴿ **وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ** ﴾ [الأنعام : 75].

[1]- رزق الحجر، ابن الوزير ومنهجه الكلامي، op4، الجزائر، 1983، ص 343.

الاعتقاد البراسيكولوجي:

يقوم علم البراسيكولوجيا على ما وراء النفس البشرية يدرس جوهرها وأعماقها التي لا تبدو للخاصة وأطلق عليه تسمية (علم الخارقة) وسماه العالم الغربي علي الوردي علم القدرات ما فوق الإدراك الحسي وعند الأوروبيينتسمى الصاي[1]وبهذا يكون هذا العلم مرتبط في جوهره بالروحانيات يتميز بها الصالحون من كرامات وإستدراجات حيث يمتلك الإنسان تيارات مشعة كهرومغناطيسية غير متطورة ولو استطاع أن يفك الجفرة (céder)[2]سيصبح بالإمكان معرفة المعلومات في الكواكب كما أنه اهتدى أن لكل إنسان فضاء خاص بالفضاء الذي نحيا فيه حيث يشبع دماغه ويرسل جسمه ذبذبات إلكتروماكنتكت ومعها أشعة "ألفا وغاما" وكلما حدث اتحاد يُحدث توافقا في التماثل ويمكن الاتصال عن بعد بين عنصريين أثنين عن طريق تقوية الأجهزة البيولوجية ، من هذا المنظور نشير إلى التشارك في الجماعة الراغبة في الحضرة باعتباره آلية تجعل التوافق بالشعور والاتصال على نفس وصلة المتلقي والمشاركة فيها بصورة جماعية فوق إدراك الحس فهم يشرعون في الارتقاء كأنهم يتدرجون إلى الأعلى وقائمين في نفس الوقت، حيث يغيبون عن نفوسهم[3]، وربما كان الإنسان القديم يفعل هذا ولا يشعر.

كان هذا لتفسير الحديث الذي أطبق على الحضرة كطقس براسيكولوجي لدى الكثير من العلماء الذين رأوا فيها معلما من معالم الارتقاء الإشعاعي لأقسام المادة المشبهة بالظل.

[1]– ظهرت أولى الاهتمامات البراسيكولوجية إلى جمعيتين أمريكية وبريطانيا سنة 1883/1882 وتأسس أول مخبر البراسيكولوجية في جامعة دسوك 1943 على يد جوزيف ربي وزوجته.

[2]– الحضرة: هي قراءة كل ما هو مكتوب في لوح الإنسان من الولادة إلى الوفا (يمحو الله ما يشاء .... وعنده أم الكتاب)

[3]– الشيخ عبد القادر شطي ، مبادئ التصوف ، مطبعة الفنون البيانية ، الجلفة ، 1998 ، ص 140 .

الفصل الأول:

تاريخ التصوف ونشأة الطرقية في الجزائر

- ❖ - تعريف التصوف
- ❖ - نشأة التصوف
- ❖ - تعريف الطرقية
- ❖ - نشأة الطرقية في الجزائر
- ❖ - الاتصال الطرقي وخصائصه

1-تعريف التصوف :

سار فقهاء العرب من النحاتة[1] على درب الاشتقاق، فنظروا إلى المصطلح من مصدره وكذلك فعلوا مع (ملفوظ التصوف) ، فقارنوه بلبس الصوف ،مرة مفسرين طبيعة ذلك لطالب الآخرة ومرة بورود التسمية عند الأوائل[2] ولاسيما عند خدمة الكعبة من آل أبو معز بن مر بن أدمن طابخة[3]،لم يجتمع تعريف منطقي على إنصاف العبد الزاهد الراغب في عبادة ربه ، بلبس الصوف فهو لا يكون كذلك أثناء فصل الشتاء بكونه يحقق الدفء والمتصوفون نبذوا عنهم الدفء من باب الإيثار، فلا يكون المتصوف لباسا للصوف وبهذا نعتقد عن هذا الاعتقاد في لباس الصوف ليزول مع آخر شفرة من القرن المقبل إتباعا لقوله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام ﴾[آل عمران : 19]،والإسلام من قواعده وأركانه (الشهادتين،الصلاة والزكاة والحج) ففي كل ركن قد نمارس فيه العبادة حتى ذروتها وهذا دأب العابد المترقب لحلاله ورضائه، ولست أريد أن أضيف أقوال الفيروزبادي[4]، أو معروف الكرخي[5]أو التجنيد البغدادي[6] على اعتبار أنها متفرقة بقدر ما أردنا أن نبين حقيقة العلاقة بين الإنسان وربه وأصل التسميات ،في هذه العلاقة وضعه الله تعالى في صفتين (المؤمن والمسلم) ووضع المسلم في ترتيبه داخل محكم تنزيله قبل المؤمن ،فالصوفي المسلم مهما كان تواجده وإن وجدت مظاهر ممارسة السلوك العبادي المعروفة بالتصوف فهذا لا يعني انتماؤها لغير المسلمين .

---

[1]- أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط3 ، ج 1 ، ص 110 .

[2]- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 4 ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 1993 ، ص 10 .

[3]- أبو بكر شيباني الموصلي ، أدب المريدين في التصوف ، لجنة إحياء التراث ، 1999 ، ص 140 .

[4]- معجم الفيرزآبادي ، دار النهظة العربية ، بيروت ، ص 104 .

[5]-أحمد بوكاري ، الزاوية الشرقاوية ، مطبعة النحل الجديدة ، الدار البيضاء ، 1990 ، ص 30 .

[6]- إيمان عبد الفتاح ، التصوف والفلسفة ، مكتبة مدبولي ، 1999 ، ص 30.

ظهر ."التصوف السني" [1]الذي يعتمد سيرة الرسول ﷺ وسيرة أصحابه وأتباعه كنوع أول من القرنين الثاني والثالث الهجريين، وهنا كنوع آخر من قوم تخصصوا في معارف فلسفية ، نهانا الدين في التفكير فيها، ومنها – ذات الله– سموا بأهل الكلام وضعوا لهم أسسا تشبه "مناهج البحث منهم من يرى أن أصول العلوم أربعة " الإلهي الرياضي و المنطقي و الطبيعي[2]، يركبون معرفتهم بعدد الحروف و يظنون أن كل حرف هو مفتاح للعلوم قد ربط "محي الدين بن عربي"[3] ذلك بالمقامات والإحلال ، يصف محمد بن عجيبة[4] التصوف في صورة مفادها أنه إشتق إما من الصفاء لأن مداره على التصفية أو من الصفة، لأنها تصاف بالكماليات أو من صفة المسجد النبوي لأنهم مشبهون بأهل الصفة في التوجه والانقطاع ، أو من الصوف لأن جل لباسهم الصوف تقللا من الدنيا وزهدا فيها،اختاروا ذلك لأنه كان لباس الأنبياء عليهم السلام، وهذا الاشتقاق أنسب إليه لغة وأظهر نسبة، لأن لباس الصوف حكم ظاهر على الظاهر ونسبتهم إليه أمر باطن والحكم بالظاهر أوقف وأقرب يقال: تصوف إذا لبس الصوف، كما يقال: تقمص إذا لبس القميص والنسبة إليه صوفي قال سهيل : الصوفي من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر وانقطع إلى الله من البشر واستوي عنده الذهب والمدر، أي لا رغبة له في شيء دون مولاه على غرار ما قيل في نسق الكلام الجميل عن التصوف الذي يعتري السلوك ويزهد بالنفس للعبادة والشعوربالآخرين، و ليس بالتفضيل عنهم لأن بني البشر سواسية عند الله كأسنان المشط، لافرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى ،فإذا كان موضوع التقوى هوالمفرق بين البشر، فذلك ماذا هب إليه رجالات القوم[5] الذين عذبوا النفس الأمارة بالسوء ، أختلف الناس في ممارسة طرق العبادة أسس الشيوخ طرقا ومناهج متعددة خاصة بكل شيخ ،وهو ما عرف بالطرفية .

---

[1]سبنسر ترمنجهام، الفرق الصوفية في الاسلام دار النهضة العربية بيروت ص120

[2]– محمد علي السد ، الجغرافيا الطبيعية ، دار الأشهبي ، بيروت ، سنة 2000 ، ص 160 .

[3]– بن شهرة المهدي ، الطرق الصوفية في اجلزائر ، دار الأدب ، 2004 ، ص 45 .

[4]– الخريدة ، مطبعة الأشهبي ، بيروت ، 2004 .

[5]– سميح عاطف الزين ، الصوفية في نظر الإسلام ، دار الكتبة اللبناني ، ط 3 ، 1985 ، ص 20 .

إذن خلاصة التصوف كرياضة سلوكية روحية فردية [1]كان قبل أن تنشأ الطرقية ولما صارت تلك المناهج متغذية بالعوارف الربانية والسبوحات الفيضية أسس الشيوخ طرقا للتعبد قدمت مافي وسعها لإفهام مقاصد الدين والتبحر فيه .

-التصوف اصطلاحا :

قال المؤرخ الألماني رين[2] أن 99% من المسلمين متصوفون إما بممارسة العبادات جميعها أو واحدة منهما أو بالفعل والكتابة ، يبدأ التدين من العبد المؤمن المتيقن بالله أي الذي يعتقد في المولى عز وجل اعتقادا راسخا لا يمكن أن يذود عنه ، فإذا ما أعتقد راسخا بذلك تتكون له آيات تسمى (شهود)[3] من كثرة اعتقاده بالله ، حتى يظنه أنه جالس معه،وهذا التمكن إنما تقره البصيرة فهو لا يمكن أن يضع له صفات ولا مجسمات لكون اعتقاده بالله منزه عن كل تشبه أو تمثيل .

فإذا اكتملت صورة الاعتقاد بالله ، يتملك المؤمن به " أشياء " أشبه بحالات نفسية إلا أن النفس هي التي وجدت عندها ذلك – التحرك بين الاعتقاد وما يخرج منه– ،يجتهد عندئذ المؤمن في تركيب تلك الأشياء و يضعها تحت تصرف العلم .

لو انطلقنا من " المعان " التي أشار إليها القشيري في الرسالة على أن له معان كثيرة حيث حصر المعاني على قوم دون آخرين وهذا ما يدمغه قوله تعالى : ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للمؤمنين**﴾[سورة الأنبياء: 107] فالصوفي هو المؤمن بربه إلى درجة أنه يشعر به في دنياه

[1]–عبد الرحمن بدوي ، تاريخ التصوف الإسلامي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط 2 ، 1978 ، ص 40 .

[2]– الشيخ مولاي التوهامي غيثاوي ، الشعاع المنير ، دار هومة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2001 ، ص 08 .

[3]– عبد الله سراج الطويسي ن اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، 1980 ، ص 40.

وفي ساعاته ولعل ألشبلي[1] رحمه الله عليه كان موفقا عندما قال : « الصوفي منقطع عن الخلق متصل بالحق »،والانقطاع عن الخلق والزهد والانزواء لعبادة الله تعالى .

قال الغزالي إن التصوف لا يمكن الوصول إليه بالتعليم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات ، وهذا لا يعني أنه تم الاهتداء إلى تعريف موحد للتصوف ،قال أبو بكر الكتاني :«التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الصفاء »[2]،ولما تطورت هيكلة الأخلاق بإضافة صفات الفقر والزهد إلى الأخلاق قال السهر وردي[3] التصوف غير الفقر والزهد غير الفقر والتصوف غير الزهد والتصوف ملفوظ جامع لصفات هي في الأصل خلقية كمعاني الفقر والزهد،ثم لما بدأ التطور الإنساني يظهر أمامه مجال العبادة أصبح الفرد يشعر بدنو أجله ،وسع أساليب عبادته فأصبحت على أوجه متعددة فغادر ملذات الدنيا وأصبح متطلعا إلى ربه، مترفعا عن كل شيء.

[1]– عبد الحليم محمود ، قضية التصوف المنقض من الظلام ، دار المعارف ، ط 03 ، بيروت ، 1988 ، ص 44 .

[2] –عدة بن تونس ، الروضة السنة في المرآة العلوية ، و عبد القادر الشطي في التصوف وسننة ن مطبعة الفنون البيانية ، الجلفة، 1998 ، ص 80 .

[3]– عبد الله حمودي ، الشيخ والمريد ، دار توبقال ، ط 03 ، 2003 ، ص 20 .

- نشأة التصوف (التصوف في الحضارات القديمة):

استعملت الشعوب القديمة طرقا كثيرة للتعبير عن سخطها أو قبولها لتلك التخيلات التي تسكنهم ويشعرون من خلالها أنها غيرت أحوالهم من الاستقرار إلى الاضطراب، ولا جرم أن المصادر التاريخية القديمة[1]ذكرت عجائب كثيرة في محاولاتهم للهروب أو ترويض تلك التخيلات.

سوف نتعرف في هذا العنصر على مفهوم الحضرة الرياضية عند الأوروبيين من خلال الممارسات المختلفة لشعوبهم تتعلق بسلوكياتهم المتعددة لمواجهة ظروف الحياة القاهرة التي تبقى في الأول والأخير من بين نقاط التجمع التي توحدت عندها كل السلوكيات .

- **التصوف عند الفراعنة :**

ارتبطت التجمع الروحي عند الفراعنة بفكرة الخوف من القوى التي كانت تسكن الحيوان والكون فاتخذوها هدفا للوصول إلى تقمصها، وطوطما جعل المصريين القدماء يعتقدون دينيا بالآلهة ومثالهم في ذلك تأليه الحيوانات مخافة من القوة التي تسكنها ودل على ذلك تلك النقوش الصخرية التي تظهر الحيوانات كالأفاعي والتماسيح[2]،واحتفظوا برؤوس الحيوانات على أجساد بشرية رغبة في وضع القوة في الدرجة الأولى وهو ما ترجمه كتاب الموتى[3] كان أغنياء المجتمعات القديمة يضعون كتاب الموتى على أجساد موتاهم ليستعينوا به في مواجهة الحساب.

إذن التجمع عند الفراعنة هي وصول الفراعنة وصول تعبدي إلى الاعتراف بالقوة الطبيعية النفسية.

---

[1]- اوشوم ثلينجيت ، التقرير السنوي السادس والعشرون لمكتب الاثنولوجيا الأمريكية 1958 ، مكتب الدراسات الأمريكية، لبنان ، 1968 .

[2]-كريل ، حول صناعة البرونز ، وزخرفته ، سلسلة الآثار ، مجلد 01 ، ج 01 ، 1935 ، بيكين .

[3]- الكونت اوغستين ،كتاب الموتى ، وصايا الحمار الذهبي ، مطبعة الفن البدائي ، فرانكفورت ، ألمانيا ، 1960 .

- **التصوف عند الصينيين :**

ذُكر قديما[1]عند الصينيين رجل عاش في زمن الحكيم كونفوشيوس أسمه (لاوتسه) خرج رافضا لحياة البشر في قومه ،ولما ذاق ذرعا هاجر من بلده وفي خرجته وجد رجلا أودعه كتابا بخمس معالم للخروج عن الشهوات .

- ✓ تطهير النفس من كل الشهوات ونعني بها تهيئة بالنقاء والتصفية.
- ✓ الفتح أو ظهور الطمأنينة بالفرح ببلوغ الفضيلة .
- ✓ الاتصال بالروح عند طريق التحرر من القوانين الطبيعية .

أجزم الباحثون ومنهم الدكتور فروخ[2]،أن هناك تشابها بين الصينيين والمسلمين في تقدير معارج الدخول لإدراك موجودات الخالق ، واتفقوا على تسميتها بالطرقية تكاد تكون في ذات الفصيلة (Motaw) والمعروف عندهم في الرياضيات القتالية..

- **التصوف عند الهنود :**

تسمى رياضة السنو[3] كل رياضة ترتبط بتحضير النفس عند الهنود القدامى تتعلق بقضية تجويع النفس وتذوقها للفقر، وهو ما أصطلح عليه الباحثون بعقائد البراهمة والبوذية، تجدر الإشارة إلى أن الروح الكلي هي سمو لروح بسيطة تصير (براهما) هي الذات المتحكمة في الكون[4]،وهو ما يفسر أن الوجود شيء واحد ولذلك سمو النفس عندهم (لبراهما) فلا يمكن إخفاء تحضير النفس

[1]– فرانس بواز ، التاريخ التشكيلي القديم دراسة في التماثيل الخشبية القرن 18 ، مطبعة كادوفيو ، 1935 ، بيكين ، ص 100 .

[2]– عمر فروخ ، تاريخ الشعوب ، مطبعة الأوس الذهبي ، بيروت ، 1980 ، ص 100 .

[3]– الرياضات القتالية الصينية والهندية ، مقالة رياضية للباحث الفرنسي إيدولا ، 1985 ، عدد 20 ، من مجلة الرياضة العالمية ، باريس .

[4]– براهمة ، البوذية معتقدات وثنية ، مقالة بحثية ، مجلة روسيا ، 1967 ، عدد 20 ، روسيا .

عند طائفة "اليوجا"[1] التي هي في الأصل طائفة يعذبون أجسادهم للوصول إلى لحظة السكينة ولا يتم ذلك بالنسبة لهم إلا بترويض النفس وقهرها بالنظافة والتأمل وتكرير ملفوظ (أرم) الذي يعني هو، كما ذكر ذلك وأكده الباحث محمد البهي النيبالي[2]،وبنفس الكيفية يسمو البوذي الغائي بعدما ترك العرش وقهر نفسه فصار مذهبا أتخذه أتباعه ،يقوم على الاعتكاف والتخلي عن الملذات وامتهان الفقر ولبس الخرقة وتحليق الشعر.

ولا يقتصرا الأمر عند هذه الطائفة فحسب بل تحدث أساليب تحضر النفس لبلوغ الذات المتمكنة عندهم إلى طوائف أخرى (كالجوكية).

- **التصوف عند اليونان :**

قام التصوف بسمو النفس عند اليونانيين على فكرة الاتصال بالملأ الأعلى وهذه الفكرة تأثر بها فلاسفة المسلمين كالفارابي وابن سينا والغزالي ،إذ تقوم على تجريد النفس من ملذات الدنيا وأمراضها لكي تتمكن من الرجوع إلى وضعها الذي كانت عليه من قبل، وهو إيصالها بالجسد مع الله في الملأ الأعلى، وهي نظرية فيثاغورسية أشار إليها فيثاغورث وحررتها الأفلاطونية[3]،التي قامت على أساس تطهير النفس من الأمراض عن طريق القضاء على الشهوة ،ومنها جاءت نظرية الفيض التي تعتبر العقل هو أول الفيض، بالتالي فأساس المعرفة عندهم، قام على ما يقذف في قلب المؤمن بعد أن يكون قد تخلص من الأمراض والكدورات.

[1]– اليوجا ، فن رياضي قديم يعتمد على الروح في التناظر والتقابل بينها وبين المادة ، يستعلون فيها السحر وغالبا ما تتم في مناخات ساخنة جدا أو باردة .

[2]– محمد البهلي النيبال ، البوذية في العالم ،دراسة سوسيلوجية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1978 ، ص 200.

[3]– أفلاطون ، المدينة الفاضلة ، دار الأشهبي ، بيروت ، 1978 ، ص 122 .

- **التصوف عند الفرس :**

اعتقد الفرس قديما بتواجد الأرواح التي سماها المصلح "زارداشت" بالتوحيد وترجع أصول هذا الاعتقاد إلى القرن السادس قبل الميلاد، حيث ترفعوا إلى عالم الروح بدلا من المادة إذ صار لديهم إله النور، بديلا للأنصاب والطقوس والهياكل ،يسكرون تحت تأثير مشروب (هوما)[1]وإذا ما حاولوا تحضير النفس للسمو يتبع ما قاله زارادشت في شأن الترقي حيث بدأ بهجوم على القوة المقدسة، أعتبر الإله " أهورامازاد " ألاها واحد والإلهة الأخرى ما هي إلا أرواح للخير والشر، ويبدأ الترقي عنده لمقاومة الشر واجتثاثه بإتلاف الجسد الميت فوق الأبراج حتى لا ينجس الأرض.

- **التصوف عند اليهود :**

أكد المستشرق جواد سير[2] أن صوفية المسلمين تأثروا باليهود ووضح الشهرستاني[2]في (الملل والنحل) عنصرا مهما يبين ما نريده في الدراسة، حيث قال: « وجدوا التوراة مليء بالمشابهات مثل الصورة والمشافهة والتكلم جهرا مع الله والنزول في طور سيناء انتقالا والاستواء على العرش استقرارا وجواز الرؤيا متبعين حوار موسى مع الله »، ولما كان فيهم عاديا وعظم شأنه في بعد اتخذوا من كلامه مع الله طريقة قلدوها في اقو الهم حتى صار بالنسبة لهم أي إنسان نقي يستطيع أن يكلم الله.

[1]- مجلة النهضة ، المدرسة الحرة للدراسات العليا في نيويورك ، مجلد 2 ، 1944 ، ص 168 .إطلعت عليه في مكتبة المدبولي ، القاهرة .

[2]- أبو بكر أحمد الشهرستاني ، الملل والنحل ن دار المعرفة ، بيروت ن ط 06 ، 1997 ، ص 121 .

3-مفهوم الطرقية :

تعتبر الطريفة ذلك النهج الذي ينتهجه المتعبد الطامع في رضا الله و التبحر في معرفته عن قرب ،يرجع الباحثون بداية الطرقية إلى زمن (أبي بكر الصديق) ذي المزايا الصوفية العظيمة ،لأنه جمع بين عناصر الشريعة الإسلامية" الكتاب والسنة "وعامل الناس باستعمال القواعد القرآنية بأحكام السنة ، قال عنه العارفون انه أول من سن الطريق ، بالنظر إلى ما كان به من شأن وهذا قول لا نظنه يعزل الخلفاء الراشدين عن منطق التصوف السني ،فلو قسنا طرق العيش لكل واحد منهم يشكل كل خليفة طريقة قائمة بذاتها .

أن الطريقة هي "منهج سلوك"يحتوي على أساليب يتخذها المريد للتقرب إلى شيخه ومن خلاله إلى الله سبحانه وتعالى ،وتكون تلك الأساليب المتعلقة بالتفكير والتعليم والقراءة المعاملة بكل ماله علاقة بالعبادات، ومن أصعب تلك الأساليب أسلوب الدخول في المقام الرباني (الأحوال) والتحقيق بالحق فهو في هذه الحالة "نظام حكم متماسك تتعرض صلاحياته في بعض الأنظمة إلى الاختراق".

يقول الشيخ مولاي التهامي غيثاوي[1]: « إن طريق الصوفية هي طريق يوصل إلى الله تعالى ،مثلما أن الشريعة موصلة إلى الله والطريقة أخص من الشريعة لأنها تشمل على أحكام الشريعة ،بالإضافة إلى الأعمال القلبية والرياضيات والعقائد المختصة بأعضائها » ،ولعل الأسلوب المعرفي الوحيد الذي وحد بين الطرق الصوفية هو المقامات وعددها سبعة وهي : " التوبة ، الورع ، الزهد، الفقر، الصبر، التوكل ، الرضا"ولكل مقام "حال"والأحوال النفسية عشرة وهي : المراقبة ، القرب ، المحبة ، الخوف، الرجاء الشوق ، الأنس ، الاطمئنان ، المشاهدة اليقين[2] .

[1] – مولاي توهامي غيثاوي ، البدر المنير ، دار هومة للنشر ، 2004 ، ص 114 .

[2] –ابن العربي برادة علي حرازم ، جوهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التيجاني ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997 ، ص 155 .

نخلص أن المتصوفين الأوائل اعتمدوا طرقا لازالت تعد ابتكارا إبداعيا لعلماء أجلاء توصلوا إليه نتيجة لأخلاقهم العظيمة وتطليقهم لملذات الدنيا حتى شكلوا بالنسبة لمريدهم شخصيات كارزماتية لا تقهر سرعان ما تذكرهم " بالخليفة " .

4-نشأة التصوف الطرقي في الجزائر:

قال ضابط فرنسي ومؤرخ يدعى رين: « تأتي هذه الحركة من تعدد الطرق الصوفية التي وجدت من أول هذا القرن وعظم شأنها في جميع الأنحاء وصار لها تأثيرا شديد في قلوب الناس ولهم رسل ومريدون،يطوفون البلاد الإسلامية وغيرا الإسلامية كمبشرين وحجاج ويصلون بهذه الكيفية بين الأقطار من مكة إلى جغبوب إلى قسنطينية وبغداد وإلى فأس وتمبكتو من القاهرة إلى الخرطوم إلى زنجبار ثم كلكتا وجاوة ،.

فعلا نجد أنه أصاب بالإشارة إلى تطور النهضة الإسلامية بفعل الطرق الصوفية[1] التي بدأت منهجا وصار لها أتباعا في كل بقاع الدنيا ،في الجزائر لم يستقر بعد الكتاب على تحديد تاريخ معين لنشأة الطرقية ،كمنهج عقدي صوفي ورغم محاولتنا التطرق إلى التسلسل لم نتمكن من تحديد التاريخ الفعلي "لبداية التصوف الطرقي بالجزائر" إبتداءامن القرن الثامن عشر (18)إلى غاية منتصف القرن التاسع عشر(19) رغم أن المؤرخ أمبارك أميلي يذكر الزاوية كمنطلق أولي لبداية التصوف .

دخلت الطرقية إلى الجزائر منذ القرن الخامس الهجري بإقليم توات وجيء بها إما تأثرا بماحمله القوم من بحور المعرفة من سجلماسة[2]،وخاصة عند حدوث ذلك الصراع المرير بين قبائل فرع زناتة

[1]-ركنة للشرح كان بعض فقهاء توات يبنون الزوايا ويتخذونها أماكن للخلوة، والتعبد بجانب تخصيص جزء منها للتدريس منهم أبو الأنوار عبدالكريم التنلا تيزاوية بتيديكلت توفي بزاويته 1168 هو الشيخ عمر بن عبد القادر التنلاتي إستقر بزاوية تينلانقادما من القرويين، وعبد الرحمان الأموي التنيلاني أسس زاوية يقصر المهدية توفي بها سنة 1211هـ، وإشتهر عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي كما ورد في جوهر المعاني والشيخ محمد بن عبد الله الأدراري صاحب مقولة أنا عينت واتمنلميش ربمائيما تعطشا .

[2]- محمد بن علي الهوزي ، تاريخ سجلماسة ، دار مليانة للنشر ، 2004 ، ص 19.

وحلول قبائل الصحاري في التاريخ القديم الذي ذكره أبن خلدون و" الأب دي فيلاري[1] " إلى جانب قبائل بني هلال داخل محيط توات،يذكر الباحث محمود فرج أنه نتيجة لهذا الصراع ظهر فصيلين مستقلين متناحرين (سفيان) و(أحمد) إستنجدا الفصيلان بمن سواهم من الجيران وفي خضم هذا التطاحن جاء إلى المحيط التواتي قبائل عرب عرفوا بالمعاقيل[2]،وأغلب الظن أنهم "سحاري" واردة إلى واحات وفقارات الصحراء ،فاستغلوا ضعف بني مرين فنفذوا إلى قصور توات.

عندما كانت تمنطيط هي بؤرة المشيحة والحالات الخلواتية في عمق الصحراء وكأن سكون الصحراء وهواءها والرهبة المكانية المشعة بطيف التفكير في مثالج الكون، ساعد على تنامي ظاهرة التعلق بالبارع سبحانه وتعالى إلى درجة الإحساس بأنهم على خط واحد يصلهم إلى الحضرة الإلهية ،فمهما قدمت المصادر تاريخية من أحداث منقولة فإن أهالي توات عمروا تلك الأصقاع وعاشوا في سلام آمن جعلهم يتقربون أكثر إلى الله تعالى من خلال تعليم القرآن والإطلاع على أمهات المخطوطات التي كانت تزخربهافاس أيام زمانها وممادل على انتشارالمشايخ وذيوع صلاتهم"رسالة السلطان برنو" التي بعث بها إلى مشايخ توات عام 1440 يبين أن قوافل التجارة المنطلقة من توات لم تعد تقصد أسواق بلاده.

إن وصول هذه الرسالة إنما يؤكد تماسك المنطقة التواتية بفضل مشايخها ،وهو مؤشرنعتقد أنه ساهم في إخراج الطرقية إلى العلن وخاصة في الفترة الممتدة من القرن التاسع إلى الثاني عشر هجري

[1]– دي فيلاري أبو عبد الرحمن مبشر عمل في ناحية الجلفة منذ 1962 إلى غاية 2003 ، ألف كتاب بعنوان الجلفة أحقاب مخطوطة متواجدة بالمتحف البلدي لبلدية الجلفة تحتوي على مروريات شفوية جمعها المبشر عبد الرحمن عن تاريخ القبائل التي مرت عبر جبل الزهراز الغربي و الشرقي .

[2]– مولاي التوهامي غيثاوي ، تاريخ الساورة ، دار هومة للنشر ، الجزائر ، 2004 ، ص 200 .

،كما لايجب إن نهمل زحفه أخرى للمتصوفة في غرب الجزائر قدوما من فأس ومن الشرق قدوما من الجزيرة العربية [1].

ومن أبرز علماء الجزائر هما شيخا القرن التاسع عشر الهجري عبد الرحمن الثعالبي ومحمد بن يوسف السنوسي[2]، ممتدين من الطريقة الشاذلية، ويرى سعدا لله[3]أن التصوف الحقيقي ظهر ببلاد القبائل ببجاية والمناطق المحيطة، وكانت بجاية مركز إشعاع طرقي صوفي لعدة قرون من الزمن بواسطة رجالات التصوف الكبار من أمثال أبي مدين، أبو زكريا الزواوي،أبو زكريا السطيفي،يحي العبدلي، أحمد زروق...

ساهم قدوم قبائل المعاقيل إلى الجنوب في دخول الطرقية إلى الجزائر بسبب العوامل التالية:

1- العامل الأول : هو اعتماد مبدأ " الرباطة " لمقاومة العدو كما دأب عليه الأمير عبد القادر و بوعمامة ، سي بوزيان ، فاطمة لالانسومر،خصوصا وأن الأراضي الجزائرية عرفت نزوحا إستعماريا ابتدءا من القرن الثالث و الرابع ميلاديين من قبل البرتغاليين والإسبانيين و الفرنسيين .

2- العامل الثاني : هو إنفراد الزوايا المؤسسة في أطراف الجبال بالعمل التعبوي خاصة لما انتشرت الطرق الصوفية "كالدرقاوية ، الشاذلية ، القادرية " ، من اجل أفهام المستعمر بأنها تعمل على تعليم الأولاد كتاب الله وكان دأب أولئك العلماء الفارين بدينهم إلى أعالي الجبال وإلى الصحراء.

لعب توافد العلماء على الصحراء دورا كبيرا في نشر الطرقيةخصوصا وأنها المكان الخصب الذي جمع الكثير من العلماء الوافدين من بلاد المغرب ومالي و النيجر .

---

[1]- تحفة الأنكاد في تاريخ الأنجاد ، مؤلف مجهول مخطوطة يدوية موجودة بخزانة بني عباس بشار إطلعت عليها سنة 2009 .

[2]- محمد امبارك الميلي، تاريخ الجزائر الثقافي ، ديوان المطبوعات الجامعة ، 1984 ، ص 134 .

[3]- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر في القرن 18 ، ديوان المطبوعات الجامعة ، 1990 ، ص 200 .

3- العامل الثالث : يتمثل في انتشار المخطوطات الدينية التي نقلت العلوم وأصبحت هي المرجع الأوحد بين الزوايا ،كمتن أبي محمد بن عاشر الفاسي ومتن أبن خليل و البردى و الشاذلي والموساوية وهذا العامل في اعتقادنا هو الذي دعم العمل الطرقي في الجزائر ونشره عند القوم [1].

[1] – تمنطيط مدينة باقليم توات به 360 فقارة فيها 360 قصرا يستضاف فيها الضيف سنة (كل يوم)كان بها 360 صانع يهودي اخرجهم عبد الكريم بن المغيلي ،وقع مع عبدالله العضوني حول إخراجهم مواقع ذكرها ابن خلدون ،اول من قام فيها " اللمثون " اولاد الملك يوسف بن تجفنت حين دمرت مدينتهم بالاندلس على يد العبيدين وجاء ما ملكهم التمرة بن تومرت صاحب الغزالي اول قصر بنوه هو قصر تليوت " لمزود " وبه مسجد عتيق وزادوا معه قصر الغالي يوسف ومعه مسجد يسمى تزنكيت ويكنون باولاد يعقوب ولهم فقارة يقال لها " يهنو "واولاد يعقوب + اولاد محمد بالفتح ، اولاد اسلام بتيممون واخرهم اولاد اسماعيل.

5-خصائص الاتصال الطرقي :

يتميز الاتصال الطرقي بمجموعة من الخصائص جعلت منه اتصالا روحيا فعالا ، في تفسير الرسالة الدينية تفسيرا اجتماعيا من خلال تسيير الحضرة وتتمثل في مايلي:

- التقشف والزهد : تميزت الحركة الصوفية من خلال الطرق بالتقشف في الحياة لبلوغ درجة اللقاء الروحي بالحضرة الإلهية من خلال تعذيب النفس وكبح جماحها، مما يعني أن الطرقي عندما يجاهد نفسه بهدف المحاضرة ،فإنما يقوم بمهمة المتصل والمستقبل في آن واحد ، ومن جهة ثانية بلقاء مع المريدين قبل أن ينزوي إلى خانقته فهو يتصل بمريديه اتصالا مغلقا أي أن هناك جمهور محدود من المريدين فهو في هذه الحالة ينقل إليهم رسائل اتصاله الشخصي للإتعاظ بها .
- قوة محتوى الخطاب : يرتكز محتوى الرسائل على تفاصيل التعلق بمحبة الله والذود عن مايغضبه أويسيئ إليه من انتهاك للحرمات ،وبالتالي يمكن القول أن محتوى رسائل الاتصال كانت تقوم على وجوب محاربة المستعمر بكل الطرق المشروعة التي أتبعها الرسول "صلعم" في قتاله ضد الكفار،وهو ماحصل عندما أعلنت الحاجة الزهراء المرأة الصالحة بورقلة[1] تحث الناس في خطاباتها على أن بن عبدالله مبعوث من الله ليحرر البلاد من الكافرين ، بايع أهل الحضر الولي الصالح محمد بن عبدالله الشريف على القتال ، ومر بهم من الرويسات إلى مشارف الأغواط ، محدثا هزائم عديدة في صفوف الكفار في معركة الرق في الفاتح من أكتوبر1852 ،حيث قتل 20رجلا من الفرنسيين وغنم 20 ألف 200رأس من الغنم وألف من الجمال1، فكان نداؤها رسالة مفهومة، وعاها السكان بأن المهاجمين كفرة ، فنظرا لقوة الخطاب الاتصالي لتلك المرأة جعل الناس يلتفون حولها،لقد حملت رسائل الاتصال الدينية أفكارا في عمومها تدعو إلى تحكيم شرع الله

[1]- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ المقاومة الجزائرية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1988 ، ص 44 .

والأمير عبدالقادربنفسه أدرك ذلك قائلا (والله لوجاءني ابني بما يخالف شرع الله لمات) تلاها على مسمع من بايعوه حين ذاك .

ظلت الطرقية تركز في اتصالها على صفتين الجهاد واحترام تعاليم الشرع وهو نفس الأمر الذي سارت عليه الطرق الأخرى سواء تعلق الأمر بطرق كالقادرية أو الرحماينة أوالشاذلية أوالتيجانية،وهناك طرقا خاضت منهج الوطنية الحقة وأخرى باعت ضميرها وسميت بالطرق المادية وهي طرق قديمة منذ مطلع الحكم الأموي ، مستغلة بعدها الدولي ذريعة للانتشار والتوسع .

- انتشار تدوين وتأليف المخطوطات.

شكلت المخطوطات متكأ عامرا على المعرفة الباطنية واللدنية لجمهرة من العلماء الذين عمروا الزوايا والمصليات المنتشرة في أصقاء الصحراء والبوادي والعواصر العلمية حيث خرجت عناوين مجسدة للوطنية وحب الوطن، لان الظرف كان مناسبا لاستظهار الوعي الوطني وحب الوطن ، وهو شأن كل الطرق والزوايا التي عاشت ولا زالت في الجزائر، ولاسيما لما تصاعدت الأعمال الوحشية للمستعمر في مرحلة بيجو وشانقرلي وسانت أرنو وفالي ومونتنياك ، صرح مونتنياك في إحدى رسائله "أننا نحتفظ بالبعض كالنساء كرهائن ونبادل بالبعض الأخر منهن للحصول على الخيل والبقية للبيع بالمزايدة لأفراد الجيش "[1] ويضيف في رسالة أخرى هكذا "ياصديقي ينبغي أن نحارب العرب ينبغي إن نقتل كل الرجال ابتداء من سن 15 سنة وان نأخذ جميع النساء والأطفال وأن نضعهم في السفن ونبعث بهم إلى جزر الماركيز و غيرها" .. ينبغي إن نقضي على كل من لايركع أمامنا كالكلب أمام هذا التغطرس قاد شيوخ الزوايا والطرق في خطابهم الديني للأمة الجزائرية حربا على العدو الفرنسي محفزة القبائل على القتال

[1]- مذكرات سانتارنو ولافارج ، دار فوكيس ، باريس ، 1960 ، ص 80.

ومنهم قبائل الزعاطشة تحت إمرة الشيخ بوزيان وثورة بوعمامة وثورة عين التركي بقيادة يعقوب بن الحاج[1] .

إن الاتصال الطرقي نوع من الاتصال الديني يكون فيه الشيخ هو محور الرسالة الإعلامية الموجهة للمرسل سواء كان مواطنا أو مريدا أو شيخ زاوية ، فرسالة الاتصال ألطرقي هي رسالة موثقة ومسندة ومرتبطه بقواعد التثبيت التي أجري عليها العرف البشري وذات منهج عالي وعلمي يهدف إلى تركيز الإشعاع الثقافي والتنوير الفكري للمجتمع ، بأصول الدين ، من أجل تربية دينية صالحة يتلقاها المريد والسامع من الشيوخ الضالعين ،ومنهم صالحي منطقة توات كسيدي أحمد بن موسى ومحمد بن عومر وعبدا لله السباعي ومحمد بالكبير ومولاي التهامي ، وسيدي الحبيب البوزيدي .

- **أرواحية الاتصال بين الشيخ والمريد:**

يسمى هذا النوع من الاتصال بـ (سند التلقين) فهو يتم بين محور نسميه "مرسل أول " الذي يلقي بالرسالة إلى المريدين ، ومتلقي ،ومما ورد في صحة التلقين تناول الشيوخ الأوراد وحفظوها لمريديهم بالتلقين ، ذكر الإمام عبدا لوهاب الشعراني[2] مجموعة من القوم تلقوا أورادهم الطرقية نقلا بالأسانيد فقد لقن سيدنا علي رضي الله عنه وأرضاه عن الحسن البصري والحسن البصري لقن حبيب العجمي وحبيب العجمي لقن داوود الطائي وداود الطائي لقن معروفا الكرخي ومعروفا الكرخي لقن السري السقطي وأخذ عبدالوهاب الشعراني نفسه عن علي الخواص وعلي الخواص لقنه إبراهيم متبولي . ومما يعرف عن هذا اللون الاتصالي التزامه بمايلي :

[1]- يحي بوعزيز، تاريخ المقاومة الجزائرية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1984 ، ص 100 .

[2]- عبد الوهاب الشعراني ، المنن الكبرى ن مطبعة بوراق ، القاهرة ، 1964 ، ترجمه ودققه محمد علي الحواس السامرائي ، العراق ، 2001 .

الآداب : قيل إن كل عبادة خلت من الأدب فهي قليلة الجدوى ، وكما ومعلوم فان مقصود القوم هو التقرب من الحضرة الإلهية ، خاصة كما قال تعالى في حديث قدسي " إنا جليس من ذكرني " والمراد بالمجالسة انكشاف الحجب للعبد انه بين يدي الله تعالى .

السلوك : إن المريد يلقن الإصرار على ذكرا لله حتى يصرف كل شيء عنه ماعدا ذكرا لله وقيل إن الذكر مرسوم الولاية أي مرسوم من الله تعالى للعبد بالولاية كمراسيم ملوك الدنيا بالوظائف، ففي نظر هذا الاتصال الدوام على ذكرا لله فمن أعطي المرسوم أعطي الولاية ، فقد أعطي مقام الحفظ إلى سيدي محمد الحبيب البوزيدي و محمد بلكبير، ولآلة تركية ، وذكر لنا في إدرار إن سيدي بلكبير كان يلقي دروسه من الضحى إلى الظهيرة أي مايعادل أربع ساعات دون أن يستعمل ورقة أو كتاب، وكذلك فعل سيدي الحبيب البوزيدية في بردانة وقيراط إذ يجلس مع مريديه يتدارسون القران، من الظهر إلى صلاة العصر وبعد المغرب يخصص وقته لقراءة وترتيل القران مع مريديه أو بعض من متون المديح وفي ليلة الخميس يقرأ فيها الهمزة والبردى.

الفصل الثاني:
الدراسة الاثنوغرافية للزاوية البوزيدية

1- موقع الزاوية البوزيدية وجغرافيتها

2- مولد مؤسس الزاوية البوزيدية نشأته 1824م / 1239هـ

3- السياحة العلمية:للشيخ البوزيدي

4- العودة إلى مستغانم سنة 1894م / 1309هـ

5- سلوك و أخلاق سيدي الحبيب البوزيدي

6- تقاليد وعادات المشاركين في الحضرة البوزيدية

تعتبر الدراسة الإثنوغرافية تلك الدراسة الوصفية لأسلوب الحضرة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون والمأثورات التي تتميز بها الجماعة من خلال فترة زمنية.

1- الموقع الجغرافي للزاوية البوزيدية:

تقع الزاوية البوزيدية بمنطقة الخروبة غرب مدينة مستغانم على ضفاف البحر. بمحاذاة الطريق الوطني وهران العاصمة.

2- مولد مؤسس الزاوية البوزيدية نشأته 1824م / 1239هـ

ولد سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي بجنوب مدينة مستغانم ، بقرية البساتين المعروفة بجنان "تكارلي" سنة 1824م / 1239هـ .تلقى مبادئ التربية الأولى في أسرة متدينة تعلم منطلقات أولية في التعليم الابتدائي من سيده الحبيب ثم سافر إلى مدينة قيراط بضواحي مستغانم طلبا لتحسين المسالك العلمية تتلمذ هنالك على يد العارف بالله الشيخ سيدي الشارف بن تكّوك أخذ عنه علوم وتعلم القرآن دراية.

3- السياحة العلمية:

تنقل عليه رحمة الله بين القرى أحبه الناس لما سمعوا عن سياحته وطلبه للعلوم، فكان تقيا ورعا تنقل مرة مع والده إلى سوق المدينة، يسأل أباه عن سر تلك الأصوات المنبعثة من السوق وهي ضوضاء ما ألفها رجل تقي، أدرك لتوه أنها غوغاء المدينة وطلب الدنيا، فلم تدرك قريحته حين ذاك بأن الدنيا متاع الغرور، ألقت سلطات المستعمر الفرنسي عليه القبض بتهمة الوشاية وتبليغ الإخبار لرجال الأمير عبدا لقادر

سجن بضعة أيام تحت التعذيب و عمره لم يتجاوز العشرين، ولما حرج من السجن توجه إلى تلمسان حيث نزل بضريح أبي مدين شعيب الأندلسي[1]بالعباد .

وقد نقل سيدي أحمد ابن عليوة رضي الله عنه ذلك عنه حيث قال: إن سبب سياحتي إلى المغرب كانت ببركات أبي مدين شعيب وبإذنه وذلك أني بت ليلة في ضريحه بعد أن تلوت شيئاً من القرآن وإذا به رضي الله عنه قد أتاني هو ورجل من أجدادي (سيدي بوزيد بن علي الغوث دفين آفلو) فسلما علي ثم قال لي: "اذهب إلى المغرب إنني سرحتك ! "، قلت له: "إن المغرب كثير السموم والحيات (حدساً و معنى) وإنني لا أقدر أسكنه"، فأخذ يمسح على جسدي بيده المباركة وقال لي: "أذهب لا تخف إننا حفظناك مما يطرأ عليك !"، فاستيقظت مرعوباً ومن ضريحه توجهت إلى المغرب.

رمته الهجرة إلى أن لقي سيدي محمد بن قدور الوكيلي بزاويته بجبل كركر، أوضح الله له البصيرة وزوده بمفاتيح العلم حتى بلغ أشده وأصبحيشكل ركيزة من ركائز العلمي اللدني، فاتبعه قوم كثيرون جاؤوا من كل ولايات الوطن عندما سمعوا بتفرده،جعله هذا الأمرالإلهي يفني عمره بأربعين سنة مرت كأنها لم تمر وهو غارق في تعليم الناس بأمور دينهم.

4-إدارة أمور زاوية شيخه 1884م / 1299هـ

حفظ الناس مقولة "أخذ البوزيدي القربة برباطها ! " التي قالها سيدي ألوكيلي قبل وفاته أنها بمثابة الإجازة والإذن بإمارة وعمارة الزاوية من قبل سيدي البوزيدي وسرح مريديه من أمثال سيدي عبد القادر بن عدة البوعبدلي دفين غليزان وسيدي محمد بن مسعود من الغزوات

[1]- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر وثورتها المباركة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007

وسيدي محمد الهبري دفين آحفير، ثم كلف من بعد ذلك سيدي محمد البوزيدي بأن يخلفه في مقامه و يشرف على زاويته و تربية أبنائه الصغار[1] .

عمل سيدي محمد البوزيدي بوصية شيخه، كان يفرش لمريديه الحشيش الأخضر الغليظ ويقول لهم: "أجلسوا، هذا سندس و إستبرق ! "، وبقي يدير الزاوية بتفان وإخلاص حتى أدخلت المكائد باتهام الشيخ وصل الأمر إلى التحريض بقتله، فوهب دمه للفراق بدلا من الفتنة اختار الرحيل وترك أمر الزاوية لأبناء ألوكيلي، وقال"هذه علامة الإذن و الانصراف حيث شاء الله و الحمد لله قد وفيت بما كلّفني به شيخي في تصدير أبنائه و الآن علمت علم اليقين أنهم قد بلغوا سن رشدهم فلا خوف عليهم ."

5- اختيار الاستقرار بوردانة و ظهور أمره بها

سار ليلا من الزاوية حتى لايعلم بأمره أحد إلى إن وصل إلى قرية "وردانة" بإقليم الناطور،ولما توسموا فيه خيرا سألوه عن مهنته قال لهم بأنه معلم صبيان، فتوددوا إليه مليا سائلين فظله المتسامي على وجه الكريم إن يمكث عندهم لكي يعلم أولادهم وسهلوا له أمر المبيت بالمسجد العتيف،ولكنهم انذروه ظهور جني بالمسجد قد يتربص لهم فأجاب: "و ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله، أنا و هذا الظالم تجري علينا جميعا مقادير الله ."، والى إن جاء الصباح جاءه ضعاف القلوب يهزؤون تعتريهم قشعريرة رؤية جسد الشيخ وقد نكل بها الجني ، وما إن رأوه في صورة أحسن مما سبق تعجبوا سألوه نجيا عن أمر الجني قال لهم: "لقد طهر الله هذا المسجد منه" و أشار إلى حفنة من الرماد و قال: "أدفنوها ! "، ثم استأذنهم بالانصراف ، فتناولوا أمرهم بينهم وقرروا مجتمعين بالتوسل إلى الشيخ من اجل إن يبقى معهم وحين ذاك تقدم محمد بن يحي الورداني وهو كبيرهم وعرض عليه أبنته فاطمة الوردانية

[1]- مقال منشور عن الزاوية البوزيدية، موقع الزاوية البوزيدية، تاريخ الدخول 2019/10/24

فتزوجها سيدي محمد البوزيدي،ولقب بسيدي محمد البوزيدي بسيدي حمو الشيخ تيمنا باسم محمد.

منحوه الوقار لما علموا بأمر الجني الذي أمات خلق كثير بالمسجد العتيق، هرعت جموع شمال المغرب لكي يطلبوا منه النزول بين ظهرانيهم فأمرهم بالرجوع إلى زاويتهم قائلا لهم: "إنني لست من الماكثين هنا، بل أنا عازم على الرحيل إلى وطني".

6-عودته إلى أرض الوطن حوالي 1894م / 1309هـ

عاد إلى مسقط رأسه مستغانم، و سكن ببيت أمام مسجد سيدي يعقوب ، حيث التقى بتلميذه سيدي الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي و سيدي بن عودة بن سليمان الذي كان أول من اتصل به حين تفرس فيه الإمامة و الدلالة على الله بالإرشاد .

7-كراماته وشيوع حبره:

مما روي عن كرامته في كتابات الزاوية1 نزل على مست غانم ضيف من تونس و كان أهالي مست غانم يحتفلون برجال الخير و العلم و الصلاح و يلتفون حولهم حتى صارت مستغانم ورفع النداء من المنادي أن "سيدي محمد ظافر المدني الصفا قصي نازل بزاوية سيدي الحرَّاق بن كريتلي الموجودة بتجديت قرب ضريح سيدي السنوسي، فهلم للاجتماع و الانتفاع ."

أثناء حفل الاستقبال بزاوية سيدي الحرَّاق بن كريتلي كان من أهل الخير و الصلاح انفق أمواله في المشاريع الخيرية و كانت مأدبة الضيافة للضيف التونسي و للحاضرين من الأهالي على نفقته، فتغيب سيدي الحرَّاق عن الجمع بعض اللحظات ليأمر ببعض الخدمات للضيوف، فناداه سيدي محمد المدني الصفا قصي بأعلى صوته: "يا سيدي الحرَّاق" 3 مرات، فرَّد عليه سيدي محمد البوزيدي الذي كان من الحاضرين في مؤخرة المجلس: "لا يكون الحرَّاق حرَّاقاً في طريقتنا حتى يحرق الكون من عرشه إلى فرشه ! "،فتعجب سيدي محمد المدني الصفا قصي من هذا الكلام و سأل

من الرجل؟ فأجابه من كانوا بحاشيته من العلماء أن هذا يسمى بالبوزيدي الدرَّار أي أنه يعلم القرآن للدراري (الصبيان)، فأجاب سيدي محمد المدني: "بل هذا معلم للكبار فائتوني به"، فتقدم سيدي محمد البوزيدي و جلس بقربه و تناقشا في علم القوم .

و لما تبين في غاية الوضوح أمر الشيخ سيدي محمد البوزيدي للشيخ محمد المدني الصفا قصي، قام هذا الأخير خاطباً في الناس إعجاباً بأمر الشيخ البوزيدي ثم قال: "أيها الإخوان، غداً إن شاء الله يكتب كل أحد منكم في ورقة كل ما خطر بباله و يكتب أسمه و يأتي بها إلي"، فكلف سيدي البوزيدي تلميذه سيدي أحمد العلوي أن يكتب في ورقة ما يخطر بباله، فلما كان الغد، حضر الناس و معهم الأوراق و وضعوها أمام الشيخ المدني، فأطلع عليها فوقف عند ورقة مكتوب عليها :إن شئت بنظرة تسقي الأنام وإن شئت بلمحة تمحي العالم أمسكها بقبضة يده وقال: "خذوا هذه الأوراق و احرقوها بالنار" ثم قال: "من كتب هذه الورقة؟" قالوا له: "هو مريد ذلك الرجل الذي تكلم بالأمس"، فتعجب من أمر أهالي مستغانم ثم بادر بالكلام جهرا بعد أن حمد الله و أثنى عليه و صلى على رسوله الكريم قائلاً: "يا أهالي مستغانم، كيف غفلتم عن رجل إمام عصره و واحد في زمانه، فو الله الذي لا إله إلا هو لو علمت أن رجل مثل هذا (و أشار باحترام إليه) موجود في هذه المدينة لا أدخلها و إن كان لا بد من دخولها فبإذنه...ثم ختم كلامه بقوله: يا أهل مستغانم، إن كان مرادكم الله فبلدتكم عامرة و أنا فلا تنتظروني بعد هذا اليوم ! "، فذهب سيدي محمد المدني و لم يرجع إلى مستغانم منذ ذلك الوقت .

ففي هذه الليلة و وسط هذا الجمع الغفير ظهر من جديد أمر الشيخ سيدي محمد البوزيدي وتعلق به وتتلمذ عليه بعض الأفراد من أبرز وأخير وأطهر عائلات مستغانم، فشعر الشيخ البوزيدي بالوجوب عليه بالإرشاد على الله بمن تعلق به إيمانا و اعتقادا فأحيى من جديد الطريقة الدرقاوية وكثر تابعيه .

وخاصة العارفين من كبار الشيوخ من أمثال سيدي محمد بن يلس التلمساني شيخ الطريقة الدرقاوية بتلمسان وسيدي العربي الشوار من تلمسان كذلك و شيوخ آخرين من شتى نواحي البلاد الغربية وشمال المغرب وأشعت الدعوة البوزيدية بأنوارها الشرق الأوسط و القائمة طويلة وفتح الله على الكثير منهم وبفضلهم انضم إلى الطريقة الدرقاوية كثير من العروش و القبائل أمثال بني زروال وأولاد أحمد والسلاطنية والسدايرية وآل العتبي وجمع غفير من الخلائق أفرادا وجماعات .

***سلوكه وأخلاقه :**

كان الشيخ البوزيدي معروفا و موصوفا بالزهد، أتاه يوما مريده الفقير إلى الله تعالى سيدي أحمد بن إسماعيل و قال لشيخه: "إن الحاكم للإدارة الفرنسية يطلب منك الحضور عنده"، فرد عليه الشيخ البوزيدي: "مالي والحاكم الفرنسي وما حاجته عندي؟"، فرد عليه: "مقابلة ودية واستطلاعية على حالك فقط"، فجمع الشيخ قوته و أنفاسه و ذهب بشق الأنفس و لما وصل إلى مبنى الإدارة و بعد دردشة قصيرة، قدم الحاكم للشيخ هدية تتمثل في –برنوسين– موضوعين في ظرف، و عند خروجه من المبنى، مشى خطوات فرأى رجلا شبه عاري فأخذ برنسا وستره به، ثم خطى خطوات قليلة و ظهر له رجلا آخر في حالة الأول فكساه الشيخ البرنس الثاني ورجع إلى زاويته، ثم جاء بعد ذلك مستخدم الإدارة الفرنسية ليطلع ما فعل الشيخ بالبرنسين فوجده على هيئته المعتادة، فسأل الفقراء و أخبروه ما فعل الشيخ مع الرجلين العاريين وما قاله رضي الله عنه في ذلك: "جاء البرنسان من الله و عادا إليه والله لا يضَّيع أجر المحسنين ."!

كان الشيخ البوزيدي لا يملك سوى عباءة أو جبة واحدة فقط، و جاءه ذات يوم فقراء من مريديه، فخرج إليهم مرتديا ثوب زوجته، فتحيروا و تعجبوا و سألوه، فقال لهم: "غسلت جبتي وليس لي ما ألبسه إلا ما ترون"، فلام الفقراء أنفسهم بالغفلة عن أبيهم الروحي و هم يلبسون أفخر الثياب و لكونهم خصوصا من كبار الأغنياء و الأثرياء بمدينة مستغانم، فتسارعوا كلهم

ورجعوا من حينهم إلى شيخهم كل منهم حامل افخر الثياب و ما أخذ الشيخ إلا ثوب واحد وأمرهم بأن يتصدقوا بالبقية على ذويهم و أهاليهم المحرومين .

كان الشيخ البوزيدي ذات يوم مدعوا إلى حفل زفاف، فأجاب الدعوة و حضر المأدبة، وجاء إلى العرس شيخ من شيوخ التبرك مع تلامذته، و قبل أن يدخل، أخبروه بأن الشيخ البوزيدي حاضر، فأقسم بالله أن لا يدخل المنزل هو و تلامذته حتى يخرج منه الشيخ البوزيدي، فاستشار صاحب العرس زوجته فأجابته: "سأصنع طعاما للشيخ البوزيدي يتغذى به هو أهله، فاصرفه بهذه الكيفية الجميلة"، فلما أحضر صاحب العرس طبق طعام من كسكسي إلى الشيخ البوزيدي تقبله القبول الحسن ودعا للعريسين بالمودة وحسن المعاشرة على الدوام و لصاحب العرس بالخير والبركة وانصرف، ثم لم يقصد الشيخ البوزيدي منزله ليطعم بهذا الطعام أهله، بل أطلعه الله تعالى على سوء المعاشرة و العداوة التي كانت بين صاحب العرس و أخت له لم يدعها للحضور إلى العرس لتفرح بزواج ابن أخيها، فذهب إليها الشيخ البوزيدي و خرج إليه زوجها فقدم له الطبق و قال له: "إن صهرك، أخا زوجتك يعتذر لكما عن هذا النسيان و يدعوكما فورا إلى العرس، فلما سمعت زوجة الرجل كلام الشيخ البوزيدي غمرتها الفرحة و السرور و زغردت و ذهبت لتشارك في هذه الفرحة، ثم تساءل أهل الوليمة عمن دعاها، و ما عرفوا ذلك إلا من خلال الطبق الذي قدموه للشيخ البوزيدي حيث عاد إليهم مملوءا بالحلوة فعلموا بذلك صاحب الفعل الحسن و مصلح ذات البين .

كان الشيخ البوزيدي يمشي ذات يوم بشارع معظم المحلات التي توجد به يملكها يهود، فسقط أمامه يهودي على الأرض و كان متقدما في السن، فأسرع إليه الشيخ البوزيدي و ساعده على القيام و هو يمسح عن ثيابه الغبار و وضع على رأسه قبعته مرددا كلمة: "لا بأس عليك، لا بأس عليك"، فإذا التجار اليهود يندهشون من هذه المعاملة الحسنة من طرف رجل حامل لواء

الشريعة المحمدية، و منذ ذلك اليوم، كلما مرَّ عليهم الشيخ البوزيدي حيوه بأسمى التحية و التقدير والاحترام .

ذات يوم قال أحد مشايخ البركة للشيخ البوزيدي: "رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم في المنام، و قال لي إن البوزيدي من أصحاب النار، فرد عليه الشيخ البوزيدي بكل رحابة صدر وبوجه طلق و بالابتسام و البشاشة: "سيدي، أصحيح رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بأنني من أصحاب النار؟ جازاك الله خيراً، فقد كنت أظن أن أمثالي ليسوا مذكورين عند رسول الله صلى الله عليه و سلم و لا يعبأ بهم و لكن الحمد لله على كوني مذكورا عند رسول الله صلى الله عليه و سلم و أنه مهتم بذكري و أمري فهو الشفيع المتشفع في العصاة و المذنبين أمثالي، جازاك الله عني خيرا و السلام عليكم ."

من بين فقراء سيدي الشيخ البوزيدي، سيدي مصطفى بن كريتلي الذي كان عضوا في مجلس الأمة زمن الإستعمار الفرنسي، فتهيأ ذات يوم في زيِّه الرسمي لاستقبال الوالي العام الفرنسي الذي كان في زيارة تفقدية لمدينة مستغانم، فأتاه شيخه سيدي البوزيدي و قال له: "أحمل عني هذه الحاويتين" و هي أمعاء الضأن بكبدهما و رئتهما و قلبهما، فحملهما و الدم يتقاطر منهما والذباب يتطاير حولهما و سيدي مصطفى على قدر جلاله و عظمته في مجتمعه يتجول به الشيخ البوزيدي على تلك الحالة في أكبر شوارع مستغانم آنذاك، فلما وصلا إلى المطمر أو باب المجاهر الذي يفصل الحي الأوربي عن الحي الشعبي للسكان المحليين المسلمين، أوقفه الشيخ .

وقال له: "يكفيك يا بني، شكرا لك وأبشر لقد شفاك الله تعالى وعافاك من علة الكبرياء والعجب بالنفس و الاعتزاز و بالسلطة و الجاه، فنعم العبد لله أنت، إن الله تعالى جمع لبعض أنبياءه بين النبوة و الملك و لبعض أولياءه بين الولاية والملك فما زادهم ذلك إلا افتقارا إلى الله تعالى و انكسارا له، مستمطرين رحمته وعافيته فيما بقي من أجلهم و عمرهم حتى يلقوه و هم أفقر الناس إليه سبحانه عز و جل، فتلك نعمة عظمى يتفضل الله بها على الذين أهلهم إلى

حضرة محبته و وداده التي لا يدخلها متكبر و أرضيت يا ولدي مولاك عز و جل و فزت بسعادة الدارين، حفظك الله و رعاك بعين رعايته فيما بقي من أجلك ."

وروي انه في يوم من الأيام قدم على الشيخ البوزيدي مريد من البادية لزيارته و هو متشوق للأكل اللذيذ الذي سيأكله في ضيافة شيخه، فنهض به الشيخ البوزيدي من المقام الأسفل إلى المقام الأسمى إذ أتاه بصحن فيه فول و قال له: "تقدم يا ولدي وكل ! " ثم أشار إلى بطنه واستطرد قائلاً: "ما هذا إلا مصران ذو رائحة كريهة فملأه بما وجدت وانهض في طلب الله تعالى بذكره ونهارا فلعل رحمة الله تشملك فتجذبك من سباتك وغفلتك إلى يقظة المعرفة ومشاهدة أنوار ربك ببصيرتك،فإذا انجلى ليلك منك طلع نهارك وأشرقت شمس هدايتك فلا تأفل ولا تؤول ولا تزول أبدا حتى تلقى الله و هو راضي عنك ."

وقد كان يوما يتحدث إلى مريديه عن النفس وخداعها وأن لا يطمئن لها المريد إذا رأى فيها علامات الركون و التطوع إلى الطاعة إذ مكرها يفوق مكر الشيطان بأكثر من سبعين مكرا فلذا قال لهم ضاربا المثل بنفسه: "لا زالت تحدثني نفسي حديث الشباب و أنا قد بلغت ثمانين عاما وإني لأرى الشيطان يحتال لمخادعتي كما يحتال السارق بالليل على صاحب الدار ."

وقعت للشيخ البوزيدي واقعة مؤلمة في مصيبة و رزية أبنه الذي قتل خطأ في احتفال المولد النبوي الشريف رميا بالرصاص في إحدى حلقات طلق البارود فلما حضر سيدي الشيخ محمد بن الحبيب البوزيدي إلى مصرع ابنه ورأى ابنه ملقى على الأرض ودمه ينزف قال له أحد الحاضرين: "سيدي تعالى لأريك قاتل ابنك"، فرد عليه لشيخ بهذه العبارة: "اذهب يا كلوفي فإن قاتل ابني أعرفه وهو الذي حكم على كل نفس الموت!" و حمل ابنه ميتا وأقيمت له جنازة ولم يرفع أي شكوى ضد قاتل ابنه ودفنه محتسبا بقول الله تعالى: "وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا أ وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون .

9-تقاليد وعادات المشاركين في الحضرة البوزيدية.

لم تكن الرحلة الصوفية إلى الزاوية العلوية بمستغانم الأولى من نوعها، بل كانت ما قبلها رحلات، إلى زاوية سيدي محمد بلكبير وزاوية أوقديم بإدرار وزاوية مولاي الحسان بأزغمير وزاوية الشيخ المسعودبورقلة وزاوية الشيخ المشرح بالمنيعة وزاوية عين الحمام بتابلاط والزاوية الجيلالية[1] بالجلفة وزاوية أولاد نايل وزاوية لالة تركية بالرشيقة والزاوية القاسمية بالهامل وزاوية بيض الغول وعين أغلال ببويرة الأحداب.

فهذه الرحلة لم ترتبط بعمل مهني إعلامي أو إستطلاعي، بقدر ما كانت "رحلة سبوحية" صوفية (عملية هروب نحو الراحة والسكينة) لإزالة اللغط الذي كان يضرب نفسي ، حتى أنني لما أصل إلى حدود ولاية أدرار ، بعد أن أقطع في رحلة شاقة من الجلفة إلى غرداية أحس بذلك الإحساس الرباني، وكأني مندمج في روحانية مكة المكرمة ، فالكثير ممن أعرفهم وقد سبقوني إلى تلك المضارب الروحانية يسمون رحلاتهم (بالحج إلى إدرار) وهو ما يذكرني بتاريخ "هجرة قافلتي الشتاء والصيف"، اللتان انطلقتا من المشرية إلى قصر أمغار التحتاني تحفهما سبوحات تلك الأرجاء ، رغم كثرة الهوام وقطاع الطرق، كما ذكر ذلك محمود فرج في "تاريخ الساوره[2] ."

وقد أجد الأمر شبيها بذلك "الغنى الروحاني" الذي جعل منطقة (تاقدمت ، تاورارة، وتديلكيليت) مناطق عبور نحو البحث عن "الطمأنينة الروحانية."

وفعلا لما نادى عليا الشيخ شي "محمد بن دحاح البوزيدي" ، بالهاتف يدعوني بحضور الجمع العام للشيخ سيدي محمد الحبيب البوزيدي من أجل (إلقاء محاضرة حول الزاهدة رابعة العدودية) أحسست إني مشدود لروحها ، دون أن يتحرك لساني من شقه ، ليقول للشيخ أن

[1]-تقع الزاوية الجيلالية بمنطقة الجلفة، درس بها احد اعلام الجلفة واقطابها وهو الشيخ سي عطية مسعودي وهي اليوم مهجورة.

[2]-محمد فرج، تاريخ الساورة، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية 1988ث.

الوقت لايساعدني أواني مريض، وقتها كنت في محضرا لتحضير مع طلبتي في "الماستر" لإعداد خطوات رسائل التخرج الخاصة بهم...كانت "محاضرة" ماثلة في الذهن، كنت قد ألقيتها (بالزاوية الشعلالية بالسوقر)، وكان وقتها سيدي محمد بن دحاح البوزيدي حاضرا مستمعا ولم أدري إلا وأنا أتذكر تلك الإيحائيان التي انتابتني وأنا أصل "بروحانيات رابعة" العدودية[1]، لم يكن قد إستوى لدي ذوق إلقاء المحاضرة أمام الشيوخ ، ولم أحس أنني فعلا قد قدمت عرضا روحانيا ، جعلني أتقرب إلى مئات القلوب الماطرة، بحب آيات التصوف الروحاني عند رابعة أدركت أن هذا الطهر، أكتشف شيئا ما بداخلي، أنا العبد الضعيف، يريد أن يتسلل من جسد إداري خريج المدرسة الوطنية للإدارة ، اعتبرته إنسانا آخرا بعيدا عن عالم هو أحوج إليه.

ذلك الإنسان الذي أعلنت أمامه الشهادة الأكاديمية، عجز أن يتكلم بها لأن معارفه السابقة كونت صفات من فوضى معارفية مختلطة ناتجة عن تلقيه للكثير من المعارف... الروح الماثلة أمامي تدفعني للسير إلى هذا، رغم الضبابية التي كانت تعتبرني، إذا أنا دخلت هذا العالم ، الذي يصبغون عليه (ملفوظ درويش) أوزهدي وأسعد النية وكنت أعتقد في الثالثة اعتقاد العرب في هبل.

إنا الآن مشدود إلى ذلك اليوم ،الذي لم يتبق عنه سوى " عشرة أيام" ، ستؤهلني مرة ثانية إلى دخول (مشيحة العلاوية)، بإشهاد كثر سيأتون من ولايات وطنية قد يصلون إلى 14 ولاية، كما كان يتقاذف في ذهني ،عندما كنت أسمع عن ذلك ...من إخوان لنا في الطريقة الهبرية وأخذت لنفسي واتفقت مع نفسي "الأمارة" منذ البداية من أجل إلقاء (المحاضرة)، ليس دون تفكير بل باندفاع شديد و حماس متمرس ، يريد أن ينال تزكية وشهادة الكثير من الناس لا يفهمون كيف برجل (نصف إدارة ونصف تزهد) ، قد يجمع بين صنفين .

[1]- سيدي محمد المشري السائحي، الجامع لدور العلوم الفائضة، دار الامان ، المغرب، 2012.

إنها قمة التحدي في عصر التكنولوجيات ، لم يبق هذا الأمر طويلا ، ليشغلني عما أفكر فيه في تقديم الجديد، (لطهر الفضيلة) الذي إمتازت به سيدتنا رابعة رضي الله عنها ، وهنا تقاذفت إلي صور من (محاضرة ألقيتها في ملتقى دولي هو فلسفة المرأة بخن شلة سنة 2011) ، وكنت فيها مارا بعون الله في حب الصالحين ، فعرضت أمام جمع كبير من الفلاسفة سؤال. هل تفلسفت رابعة العدودية ؟ عندما شاركت في حضرة القرب ، وأشرت لهم بأن رابعة العدوية هي أول فيلسوفة في الإسلام ،لا أنكر أن روحها ساحت فوق الأرجاء الحاضرة من الحاضرين وأفصحت خصالها بما سمي طهر الفضيلة.

عدت أدراجي بحالتي هذه إلى تفاصيل الدرس الروحاني الذي لاقي إعجاب مساندة من باحثين من جامعة الأمير عبد القادر كالدكتور شتوان – عمر فرحات[1] و حينها لم يجد بدا أمام بعض الفلاسفة من إلقاء لباس الطهر على الفاضلة رابعة ، لأنهم لم يؤمنوا أن عبد الرحمان بدوي قد برأها من هذا الإفك

يتميز المرتادون على الزاوية بمنظر" المتطهر الراغب " في الدخول الى وجهائية مع الله ، لعلهم يظفرون من تعذيب انفسهم بالأذكار وتعداد أركانها وأخواتها، ليحتل صدارة الواقفين أمام النور المحمدي أو الإلهي، فيفوزون فوزا أبديا إما بنور يصنع وجههم أو انفراج أزماتهم فيما بعد .

لم يكن هذا إلا تفكير ليس له دليل مادي لان المرتادين يحكمون عن الحضرة كعادة سنوية بهذا المقام الرباني عند البوزيدي ولا سيما للوافدين من افلو وسيدي بوزيد وهم الاهلون المضنون ظن الولاء له اكثر من غيرهم لأنه من بطانة البوزايدية .

[1]– أستاذان بجامعة قسنطينة، باحثين مختصين في الفلسفة، والتنشئة الاجتماعية.

الشيخ محمد عويسي طويل من اهل افلو ، يتحدث باسهاب عن سر كرامات سيدي محمد الحبيب من الوهلة الأولى من رؤيته بسيط قدر المستطاع يذكر للناس وردا ربما تعينه عليهم كورد الصلاة المشاشية ..[1]

قدم الى الحضرة منذ 30 سنة ولاء كأنهم طيب ، مجرب ، فاعتمدت إلى إشهار بيان صداقة معه خاصة لما وحدته ينتمي إلى عائلة حشلاف القاضي اللوذعي الذي حكم مدينة الجلفة دأبا من الستين وزاد تسعا كما يقول أهله ومحبيه . اتخذته صديقا سلمنى رقمه وهي عادة عند المرتادين يسلمونك ارقام وهم يظنون انهم مكتفون بالاتصال بك ولا يتصلون، رغبته في التواصل اللحظي ثم يعد من اهله من عائلة البوازيد الاشاوس ، كما يجب ان يقول دائما ، ان سي موسى هو لبنة متبقية في شرح طروب واستعمالات الحضرة ، لهذا اولياها اهتمام في حديثي عن الحضرة .

كنا نحن الثلاث الأخ الأكبر والصديق وانا فرسان قوامنا تلهية وبحث عن جديد ، اما انا فكان التشوق والرغبة والحنين الى الحضرة لا يمكن وصفه اما اخي لم يكن بالمؤمن لها أصلا والمفتش رافض بتردد ،اتجهنا الى مدينة مستغانم بحي الخروبة فجرا وكانت الشمس كعادتها تريد ان تبارك مقر الزاوية الجديد ..

أدرك ثلاثتنا ... أننا إمام صرح روحاني لا يمكن أن يدع ذلك الشعور (بالطريقة) للذكر العظيم .. يفقدنا لذة الايمان خاصة لم يزيغ النظر الى أولئك المريدين الوافدين بالألبسة البيضاء والطرابيش المتحركة ، يغيب ذلك المنظر بشعور ذاتي مريب هانذا في صبيحة يوم الأربعاء من شهر ماي 2012م داخل إلى محل الحضرة الربانية ... يعاودني ذلك التساؤل لماذا هؤلاء كلهم هنا، وقد وجدت نفسي في وضعية مفسر وداعية، أنهم جاءوا للحصول على شيء لا يعرفونه أصلا....غير أنهم مدركون أنهم واصلون دون محالة إلى الشعور بالرضا الممزوج بالتشبع على طريقة نظرية الإشباعات لماك مولر....

[1]- صابر طعيمة، التصوف والتفلسف،مكتبة مدبولي،2005 القاهرة، ص166.

كل شيء يتحرك في ذوات...يحركني على حدى ....لما بقيت ... وانا أسائل إحساسهم بصفة فردية ....وكأنهم يحاسبون لدي... كانت سيارتنا قد ركن بإيقاع إشارة المنظمين خاصة لما علموا من لوحة ترقيم السيارة المعنونة 17-384-186 دلالة إن القادمين من الجلفة...

كان عليا إن البس عباءتي واغرز الشن والمسك في إبطي ..وانفض على طربوش لأظهر بمظهر الشيخ ، رغم إني الحيت على مرافقي لبس عباءات جزائرية تظهر الموسم الصيفي لا غيره ... واتجهنا إلى أين نسير

تسلقنا الإدراج الثمانية والعشرون لكي نصل إلى مدخل المسجد.... وهنا عادت بي الذاكرة إلى العام المنصرم.... في نفس المكان على الجهة اليمنى يجلس (على) اخو الشيخ بطاقية صفراء وعباءة مستغانمية في جسد عرمرم طويل القامة منتحل القسمات يفتح صدره لكل زوار الحضرة .

الذين ألف تواجدهم....ولا يمل أبدا من الجلوس و الوقوف،في بعض الأحيان يتذكر الأسماء وفي أحايين أخرى ينساها ويكتفي بتلفظ ملفوظات شيخ أو أخ حسب مستويات الأعمار....يوجه الداخلين إلى مجلس الشيخ/ لا أعرف كيف كانت صورتي ستغيب عن ذاكرته، لما هممت بالدخول حتى افرد أليا ببسمة ضالعة وبقوله مرحبا بيك أستاذ، وضمني ضمة البركة والشوق،وكأني اعرف الرجل منذ أمد بعيد، كان المحفل المجتمع لازال يذكر الأوراد الدينية وآيات الذكر الحكيم تزلزل كل الأمكنة غير بعيد عيناي تلمحان عين ا الشيخ سيدي محمد بن دحاح الذي اندفع أليا قائما مرحبا بي وبالحاضرين معي من الرفقة، حينها تذكرت مقولة سيدي بن قدور الورتيلي عندما قال اخذ البوزيدي القربة برباطها[1].

فلما تولى الشيخ سيدي البوزيدي،مكان سيدي الورتيلي منح السر لأولاده وهم على شاكلته يتفرعون.. أقبل الشيخ محمد بن دحاج وفي يديه مروحية الشيخ سيد محمد البوزيدي

[1]- موقع الزاوية البوزيدية، بمستغانم 2016/12/17، الساعة 10 ليلا.

يهش بها ذباب الاعتراض، لاح باتسامه المقبولين عاليا وسط حشد كبير من المريدين الذين اصطفوا في شكل صفوف .

عانقني طيفه وضممته ضمة العز إلى صدره فأحسست إن جبل احد أطبق عليا ببركاته ولا مست يديه الكريمتين يدي وأجلسني إلى جانبه حيث لامست ركبتي ركبته، فتذكرت ماقاله لي حفيد الشيخ سيدي بن ديدي،بأن سيدي محمد بلكبير كان يضع ركبته تلامس ركبته شيخه فلا ينزعها من عليه إلى وقت العشاء، وسبحته الكبيرة تذكرني بسبحة الشيخ العلامة سيدي أعطية دفين الجلفة ... أذكار وسبوحات جو رباني مهيب ..خشوع ووجل وعانت الوجوه من الداخل تتذكر الذنوب إن لها الصفح إلا في هذا اليوم المبارك...وأنا بين تلك اللحظات سابحا في ملكوت القشعريرة متورايا بين الإدراك والإحساس ، أحيانا أدرك نفسي انا العبد الفقير إنني افهم أكير من هؤلاء كيفية الارتقاء في المقامات التي تعرج بها مراتب الجلجل في الحضرة التي سأشارك فيها الليلة..

لم يتريث الإحساس عند الحضرة وفقط بل عند تفاصيل سأقرؤها على هاته الوجوه الحمراء بفعل النور الذكري لما يرددونه من الباقيات الصالحات، وأحيانا أخرى أدرك باليقين المفعول به إني سأجعل منهم يعجبون بهذا الشيخ المبدي وهو يردد على مسامعهم في موسم سيد الحبيب البوزيدي محطات من حياة الإعلام ..وصاحبة الطهر الفضيلة[1] رابعة العدوية المسافات لم تكن طويلة أبدا بين صفنا المسند إلى الحائط والصفوف المقابلة لنا..حتى تظهر تجهيزات سمعية بصرية رفيعة وغالية تقوم بتسجيل المتدخلين...كانت هناك غاشية تلجم لساني إن اسأل الشيخ عن الوقت المحدد المخصص لي في المداخلة، وكأنه علم بمكان يدور في خلدي ، فنظر أليا جانبا بقوله بعد صلاة العصر سيأتي أناس كثيرون وأحب إن يسمعوك..

[1]– نقصد به الطهارة السامية الخالية من أي دنس، اسماها الباحث بالطهر الفضيلة بالملتقى الدولي حول الفلسفة النسوية بجامعة عباس لغرور بخنشلة، سنة2011 ، الجزائر.

كان ذلك إيذانا لي بالذهاب إلى راحة نفسية، نستقبل بها النفحات مع الفرق المستقبلة التي كانت تفد من الباب الكبير الذي أدخلني منه الشيخ وهم يقرعون الطبول كل على طريقة ورده كانت العيساوية الأبرز التي انجذب إليها خلق كبير ثم فرقة القردة وفرق أخرى من إدرار وغليزان تلتفت الرقاب المصطفين، إليها دون إن تتحرك وما تجلس الفرقة إلا ويؤذن لها بالورد... اتسعت قزحيتي لترى جموعا أخرى تعلن عن دخول سيدي محمد بن دحاح بمقدمة سلسة وجذابة ممهورة بآيات الذكر الحكيم وتقفي مؤثر الشيخ البوزيدي طيب الله سره..تهاوت الأفكار كلها فجأة، وأنا انتظر المساء، لعلي ادخل إلى عقول هؤلاء، "الراغبين في دخول الحضرة هذا المساء. "..هل كان عليهم أو مقدر لهم، إن تمكنوا كل هذا الوقت، مساءا ، يتفرسون هذه السنادس ، "يتقيلون" من القيلولة على ظهورهم وجنوبهم تعبا أو رغبة في قيلولة.

كثير منهم يتراصون "لإصباغ الوضوء"[1]في حركة تنم عن الوقار وتبجيل الشيوخ ،حتى في الدخول إلى (المايضة) ، فعلا ظهر الأمر بالنسبة لي "كتطبيق مثالي" لولاء في بلاط ملكي.

الكل يحترم ويحترم، لا تسمع إلا سيدي أو أستاذ، بعد عني المساء.. لأن الظهر لم"يؤذن" بعد،.. ويشرع في الإكثار من التلاوة لطلبة الزاوية، وبعض الوجوه التي ألفناها في السنوات الماضية ..وما توفيقي عن الشروط إلا في صورة، "وإذ تتلا عليهم آياتنا خروا سجدا وبكيا " ..لا أدري كيف ذرف الدمع حتى وصل " المشعل" إلى ران القلب فتنفجر دموعك، وديان ... تتقلب أحوال كل الناس بدءا من صمام "جهاز الأنف " حيث تنقبض عضلة الأنف فتخدش شعيرات الأنف الداخلية الجيبية... محدثة "حشرجة" يأنف كل الناس أثناء أشداد الحر،ويطبعونها (بتمرير السبابة والإبهام)، لعلهم يقطعون "دابر وصول الماء إلى العلن.....

[1]– صبغ الوضوء يقصد به تقديم الوضوء الأصغر للدخول في الصلاة، وأحيانا يراد به الوضوء،وهو ملفوظ يردده الشيوخ أكثر من الشباب.

يصعد البخار اليابس على محاذي العيون، كانت عيناي تجيشان بالدمع في حالة درامية، تفرست الوجوه، لم أكن وحدي ...الكل بتململ، عيونهم بالدمع تفيض....المسافة لم تتحرك بيني وبين وقت صلاة الظهر.. وهل تستمر العيون هكذا، إذا ما واصلت بهذه الطريقة حتما ستجف كل عيون هؤلاء.تمنيت أن أسجد لأرى " أعاجيب" ما تلامس بين أفقي ..وأنا مغمض العينين... كان الشيخ أمامي في حالة سبوحية عجيبة .. و كل الأنظار مشدودة إليه ..... إنها "حالات الوهب " التي تتأقلم فيها الأنفس.. أمام "الريح الرباني" العاصف من مخارج الحروف القرآنية.

تمر الآية الكريمة (و ننزل من القرآن ما هو شفاء و رحمة للمؤمنين)... تتوقف كل معارف " تارة حتى أفقد ثقتي في كل ما طالعته من كتب على مدار أربعين سنة من المطالعة ...(الحرف القرآني) .. كأنه "حبة مطر مسومة " تحدث الزرع و النبات و كذا في ناظري يفعل الحرف عندما يسمع في لحظة قبول كساعة الاستجابة يوم الجمعة أو أي يوم من أيام رمضان...

ذهبت كل علومنا ..إلى لا شيء أمام "حروف القرآن" لتصير شفاء أو نزعا للبلوى والفتنة ، ثم "رحمة للمؤمنين" من بين هؤلاء أمة آمنت بربها على طاعة الولي و الشيخ الزاهد. ..و لما كان سيدي الحبيب البوزيدي قد أودع السر الإلهي منذ عهد "الشيخ ألوكيلي "عندما (ذهب بالقربة ورباطها) ، هنا تأثر الشيخ سيدي الحبيب البوزيدي بحدوث "الفتح "الذي يطال الناس و هم يتباكون أو يلفظون لفظ الجلالة الله، و خاصة (المجاذيب) و كان كبيرهم سيدي عبد المالك مولى عين السخونة .أول الصالحين لهذه "التغريدة" من ألفها الناس منه ،في كل موسم وحالهم لا يدركه إلا علام الغيوب ..... وبين الهنيهة والأخرى يظهر الزهاد و هم يجتمعون أمامنا "يتلونه حق تلاوته" من يبصرهم في البداية يظن أنهم (مجانين).. و ما هم بذلك، عندما يجذبهم الذكر يجتمعون بقراءة سليمة "فرا هدية " (سليمة نحويا) .. ذات سياق عجيب .

كانت عيناي المبتلتان بعواصف مائية يثيرهما ذلك المنظر المشاركاتي للزهاد المنغمسون في ذلك المجمع الكريم ، لا ينزاح النظر عنهم إلا في ثلاث منهم "صاحب البشرة الدكناء" قبالتنا في الصف الأول و بدأ يتلو الأوراد مع "الفرق المشاركة "و عيناه لا تهجران وجه الشيخ. نظرت إلى سيدي محمد بن الحبيب لأجد عيناه "تومئان" للزاهد بشيء، لم أفهمه و لم أعيه حتى أدركت أن ثمة اتصال روحي و هو ما أسميه بالاتصال الصوفي الذي يشبه اتصال "المتحضرن" بنور الله...أتعجب مرة أخرى خلال "دراسات الطويلة" "لنظريات الاتصال" حين أكدت هاته النظريات منطلقها الصوفي.

حاول المرسل أن يفهم الأثر بهدف رسالته و كذلك يفعل المتحضرن ، عندما يرسل برسالته إلى مولاه ...و الرسالة على كثرة معانيها تبدأ بالذكر الحكيم .. كما نفعل نحن منذ صلاة الفجر.

كان سيدي محمد حليما بالجميع ،لا يريد إتعابهم بوصلات نورانية وحكم عطائية، كان سندها على حين غرة ، لكل من حضروا من بعيد و ملتزمون بعهد الجمع العام ،لكي يلقوا من فيض تجاربهم نصائح ووعظ .. كان سيدي محمد ينتقيهم باستيعاب و بوثوق متشبعا بتجاربهم حاصلا على فتوح علمهم و هم كثر يمثلون طرائق من مختلف زوايا الوطن . "يهيصون المستمعين " بأعاجيب و كرامات للأولياء ...لا سيما المقام البوزيدي. ..الكل لا يقطع حديثه إلا و يذكر البوزيدي و ذريته من ورائه .. سيدي أحمد أخ الشيخ بن دحاح "الواقف بالباب "لا زال يستقبل جموعا ذات هامة و وقار ...يلمح للشيخ مشيرا له "بحركة الاهتمام" ينهض كعادته ليسلم عليهم ويأوي معهم إلى صفه.

ينفتح المجلس دون أن يترك الجالس مكانه ... و لا زلت ملامسا للشيخ و عيناه كانت تلحان عليا بعدم مغادرة مكاني ...لأنه على دراية بحيائي حتى و إني لا اعرف من يكونون .. في خاطري أن أبجل من يبجلهم الشيخ سيدي محمد بن دحا البوزيدي... مرت الساعتان ..كأنهما الدقيقة .... استمعنا إلى "سوروآيات" قرآنية وأحاديث من الوعظ... كانت تبكي المسلمين

الحاضرين . لا شيء يصدهما عن الذكر... و أكملت استفساري الذي قارب الألف... أدركت أن مولانا ،جعل خلاصنا في كلمات نقولها بتدبر بذكر الله، فيغفر لنا ذنوبنا و نصلي على محمد صلى الله عليه و سلم يضمن شفاعته و شربه من حوضه الذي دعي إليه ...بالوسيلة.

ما أسهل هذا... لو يتدبرون آيات القرآن.. والمحسنون صنعا في الحياة، لأن مولانا خير . وما هومن خير فمن الله.. وما بين شرفهومن أنفسنا ....لذلك اوجب علينا "الجزاء و الوقوف " أمامه يوم الصراط..

تذكرت قوله ﴿كل آت الرحمان فردا﴾ الآية ()، و هو القادر على ان يدخل عباد محمد (ص) كلهم الجنة بامرية(سورة يسين)..."إنما أمراه إذا أراد الشيء إن يقول له كن فيكون " .. هكذا أنني تصورت "أثناء تعالي أصوات الذكر" .. و فجات انقطعت الأصوات إمام رنة الشيخ يأمر باستراحة.... (لتناول الغذاء) .. و بعدها الاستعداد لصلاة الظهر.فما كان هذا الانقطاع إلا ليتوزع" الحاضرون" قد يكون عددهم الألف أو الخمسمائة أو ما يقارب الألفين . ينزلون إلى الدارين الكبيرتين و يتوزعون أخماسا (خمسة في كل طاولة) يلتفون من كل الإرجاء..

كان ذلك إيذانا "بالتواصل والتعارف " فيأمر إن يأكل معك أخ في الطاولة ليصير صديقا فيما بعد.. اجتمعنا(5 /5)[1]وبطريقة منظمة وبدأت الأطباق توزع علينا .. زينت الموائد بأشهى الأكلات التي ميزها إطباق (الجريرة الصفراء و اللوبيا الخضراء و العنب الأحمر)... . ولمن يريد إن يتعرف على" البركة" و يجا نبها عن قرب ، ينظر إلى الآلاف التي تأكل في اشتهاء و تترك ما تبقى ...رأيت ذلك بأم عيني .... أطباق يأكل الناس منها و يشبعون وهي لا تنتهي...

[1]– عادة معروفة بالغرب، يتم توزيع الضيوف الى مجموعات تتألف من 5 أنفار، وتوضع بينهم الموائد.رأيت البركة بعيني ،من نفس الصحن يأكل الخمسة أنفار ولا ينفذ.ورأيت مثيلها في تجمع للزاوية الهبرية بالبليدة عام 2016.

خرجنا في قناعة و شبعه . لنتوجه جموعا إلى (صبغ الوضوء) وجرت العادة الإصباغ ..أن يتحرر الشيوخ و كبار السن من عباءاتهم أو يلووها جانبا على الرقبة فتبقى مرتبطة بالظهر فلا يلمسها لغوب.... حضر الجموع أنفسهم و وشرعوا في الصعود إلى... المسجد الكبير ..وهي الدار الكبيرة التي اجتمعنا فيها صباحا..... دخلنا و لم نر أخ الشيخ كالعادة ... .. ربما كان له وجود في "تنظيم مرور الأكل إلى الموائد المنتضدة و إطعام البقية .. المهم انزوى الكل إلى أركان المسجد و اتخذنا كل حسب رغبته مكانا للجلوس و إرخاء سدوله.

لمترقب للوضع والحالة يدرك بأنك على راحة دائمة و مستقيمة .. لا ينشغل بك أحد أو يزدريك... تشعر و كأنك ببيتك ...تفعل ما تريد . زين النسيج .. بأيادي الحاضرين و لا تسمع إلا همسا .. انه وقت الأوراد... يتلوها كل فرد حسب ما وصله أما من الشيخ أو حفظ باللسان وسنعود إلى شرحه انتربولوجيا بعد صلاة العشاء.. أثناء بداية التحضير للدخول إلى(الحضرة)، إذن المؤذن لصلاة الظهر الجامعة. واتخذ كلنا صفوفا .. الدار كبيرة . و الصفوف أكثر وأكثر .. ووهض الشيخ برمته ووقاره وبطولته. ليؤم المصلين .. اتممنا الأربع في الظهر .. و لما فرغ "الشيخ" من التسليم تتعالى أصوات (الذكر) ، بالصلاة على النبي(صلاة الوجوب وطلب الشفاعة) وذكر التابعين و أتباع التابعين.... رفعنا الأيادي مع الشيخ الذي دعي للجميع بالتوفيق و لبلادنا بالحفظ على الدوام ...لأنها مرتع الصالحين .. كم كان طيبا هذا الشيخ البوزيدي عندما كان يدعو لأهله المسلمين قاطبة بنفس الدعاء ..

مرة أخرى يدعو "الشيخ الحاضرين " إلى (الاستراحة والقيلولة) والالتقاء قبل صلاة العصر.. تفرقنا بعصمة ومال كل إلى جانبه حيث رسم الحاضرون ..أماكن للقيلولة و فتحت النوافذ لتدع نسائم البحر الواردة على "حي الخروبة "أين يقع المقام العالي للزاوية. حيث نجلس "قبالة البحر" تتلطف تلك "النسمات الباردة" في عز الحر .على أجساد الحاضرين ، فتزيدهم "رغبة في الراحة."

ترى اغلبهم ينامون "نومة النبي محمد صلى الله عليه و سلم "على جنوبهم و إيمانهم .. ومنظر (السبح) و ألوانها يخيل ألينا أنها تسعى من الذكر أو أنها تكمل في ذكر "الأوراد " و أهلها في الرؤى يبتسمون ..

كان عليا إن أمر على تلك التجمعات التي تحضر نفسها للقيلولة . مجرد فضول أنتربولوجي ... لا اعرف ما هي تفاصيل حديثهم فلا رفت و لا جدال... يتحدثون عن (كرامة الأولياء) ، بدءا من سيدي "محمد بلكير" شيخ زاوية إدرار و مولاي "الحسان" و مولاي" التهامي.."

عرفت إن المتجمعين من إدرار .. لما رؤى قدومي بجانبهم ضنا إني متوجها إليهم ...نهضوا كلهم للترحيب بي تحت صولة " سيدنا مرحبا .". فأفسحوا لي مجلسا ...و جلسنا الأربعة نتذاكر في كرامة "مولاي السلطان مولى منطقة الهيلة موطن الشيخ مولاي محمد الحفيان" حيث مدني فتح المقامة، بحديث اسأل الدموع عن فضيلته لما طلق الدنيا و حمل حذائه على ظهره ...و لم يلبسه مدى الحياة ...طاعة وولاء وحياءا من شيخه مولاي السلطان... و كيف تبحر في "العلوم الروحية" و ترجمت لهم على طريقة ابن العاشر و الحلية لأبي داوود الانطاعي .. فما رأيت منهم إلا عجبا من البكاء و التعلق بالمساجد الذي ذكرتها .. نهض احدهم و قبل راسي و دعاني لزيارة تمنطيط .. آه لما ذكرني بتمطيط ...آه لما ذكر لي تمنطيط ...تذكرت قبر سيدي محمد بن ديدي شيخ سيدي محمد بلكبير، الذي زرته العام الماضي ووقفت بداره وتكلمت مع أحفاده عن مآثر الشيخ.وحديثهم عن المتبقي من زهده وحيائه في طلب العلم، فازدادوا اهتماما بي وأصروا على الدعوة..ولم ادري كيف انهي معهم هذه الضيافة العلمية..

تملكني صوت العلم ...من الداخل فأصبحت أتذكر.. ماقيل لي عن (التصوف) من صاف ،يصفو. صفاء الماء الغدير، وليس من لبس الصوف بحثا عن الثقل والجلد، وإنما من تصفى في "الصف الأول "من أحباب الله، فأدركت قول صديقي الإمام منذ كنت في سن الشباب قوله

..."لوعلم الناس فضل الصف الأول لأتوا إليه حبوا "بدأت "قطرات العلم" في التصوف تنعم أذانهم مشرئبين أعناقهم في " حيرة وبحث "..لم أودعهم لأني سألاقيهم بعد صلاة العصر..

دعوتهم لمعرفة "تفاصيل الرحلة الصوفية لرابعة العدوية.."غير بعيد عنهم كان الشيخ "عبدا لمالك مجذوب" يلوح لي بإحدى ذراعيه ..فاستأذنت المجتمعين ..وهرولت اتجاهه لكي لا يغضب لأني أعرفه رجل غضوب.. أجلسني عند رأسه و"سبحته السودانية"لاتفاقه لفظ الجلالة ..يكاد ينفجرمنه من خشونة صوته الجهوري ..حدثني عن الجن الصالح..وما يفعلون فوجدتني أحدثه عن " صفات الجن الصالح."...قارئا لكتاب شموس الأنوار وكنوز الأسرار، ومفسرا له "العقدة الدمياطية".

تملكه مرة أخرى صوت لفظ الجلالة.....داعيا لي بالفتح..لم أعر كلامه..لأن مذاكرته له هو معلومات أولية عن عالم الجن.. قرأتها ذات يوم في مخطوط تلملكه" لجرش عبدربه بن الفرقاص "..سلمني إياه الصديق رابحي صاحب المناهل..

آه لم أتذكر رفقتي..(السيد المفتش اللغة الانجليزية وأخي الحاج) ،اللذان انتقلا إلى " بطيوة " للإشراف على تفاصيل مشروع لهما هناك..الهوينة رجعت أدراجي من جديد... أحاول أن اخط بعض" محطات عن تفاصيل حياة رابعة العدوية.. "المني ضرس كنت قد عالجته فيما مضى، ولا ادري لماذا ظهر وجعه مجددا .... تسألت في قراري نفسي ... أيكون هذا الوجع له علاقة بصوت رابعة ،.... أيكون هذا الوجع له علاقة بهذه الأرواح التي تحيط بنا،(اختلط عليا الأمر) ، وكانت الجهة اليسرى قد تحولت إلى انتفاخ (لولبي صغير). سرعان ما بدأت تكبر ظننت أن بي (ورم) .ساعتها لم أتذكر إلا صوت مكتوم أمام صوت سيدنا الشيخ.. لما دعاني بالهاتف لتلطيف مجمع سيدي محمد الحبيب البوزيدي بمحاضرة عن رابعة العدويةلا أخفي أن ألم الضرس، والرأس ، كادا يكبسان "حلاوة الذكر" ولكن تشجعت وقلت في أعماقها ، يجب أن يظهر الحق ويذهب الوجع ومعه كل الألم من الضرس الى الرقبة،.....أردت إن اتكأ على جدار

ابحث عن هواء بارد يثلج ، تلك السخونة التي كانت تروح وتجئ ، دون إذن كأنها رحلة الشتاء والصيف لأدري مرة أخرى لماذا تراودني سورة "الايلف "كلما حلت بي سخونة انغمست عيناي في "رؤية حامية "رأيت فيها (سربا من الطيور الجربحة،حطت بمضاربنا.. شربت ماءنا...وذكرت أعمالنا وغادر بسلام... (.لم يكن هناك أي صوت قادر على أيقاضي من تلك (الرؤية) سوى صوت "سيدي محمد البودالي "وهو يؤذن لصلاة العصر..

آه اقتربت نقطة العرض..نهض الحاضرون، كل من مكانه "جازما انه سيرجع اليه " متوجهين صوب "المايضة "، يريدون سبغ الوضوء أو تقديمه..الشيوخ كعاداتهم لايشدون الوضوء، عباءتهم لفت على رقابهم... يتنعلون نعال ضيوف الحبيب..أعلنت "الإقامة والوسيلة " من جديد..

توجه الحاضرون .كل إلى مكانه الأول.. فلا يجده تغير... لأداء صلاة العصر وما ادارك ما الصلاة الوسطى..يظهر سيدي الشيخ بن دحاح كالعادة يفيض سبوحات .. بادية علوجهه..يؤم المصليين..مبتسما مسلما على الجميع....عاد الشيخ إلى مكانه حيث كان يجلس صباحا لتنشيط " مجلس الذكر " من جديد..الكل أدرك مكانه واستقر فيه ..وبدأت تلاوة الذكر الحكيم.. تهيجت الأصوات لله الواحد القهار" بدوي ودبيب" يشبه دبيب الحجاج الميامين في المزدلفة..رغم "إني لم ازرها وإنما انبرى خاطرها أمامي" ..لم يكن أمامي سوى إن أتفقد "حقيبة أوراقي" تركتها في السيارة..فلا الوقت ولا ألم الضرس يسمحان بالرجوع إلى المأرب ..أو يأتيني أحد بها....فقلت في "غياهب النفس اليوم" يومنا والمجال لورقة أوإملاء..

حدثني ذلك الصوت ألقراني، وماتفعلبعرض" الآيات " التي لاتحفظها.....قلت سيفرجها ربي ..وسيرسمها ... أمامي فاتلوها، وانا لست بحافظ لكله..فأراها من حيث لايرونها..لا ادري لماذا تملكتني هاته الثقة الزائدة وكدت أؤمن انه فتح عليا..غير بعيد عن هاته المجادلة.. نادي الشيخ سيدي الدكتور حمام محمد من ولاية الجلفة يتقدم ليشنف مسامعنا بحديث عن السياحة الصوفية لرابعة العدوية.نهضت متثاقلا لاخائفا ،لأني عهدت إلقاء المحاضرات أمام الآلاف من

الطلبة في جامعات الوطن وخارجه..كرسى العرض كان وجيها يشبه كرسي دعاة العروة الوثقى أو كرسي الخطابة في مسجد الأزهر الشريف..

استويت على المقعد كما استوت "سفينة الجودي " لكل شيء اثنين وحملت انا من رابعة كل ما قرات عنها..وبدأت بسملتي وهذا نصها..(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ..اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليم بسم الله رافع الواحد الأحد رافع السماء بالعمد لماراقبتني عيون المشايخ،تتفرس فيما ذكرت، عن القديسة التي دنسها بعض المحسوبين على الفهم الصوفي، أدركت إن الغالبية من الأقرباء، وحدتهم نظرة القرابة التي تبينت لهم من الزاوية، لأن تحريك رؤوسهم وبروز تباشر الغبطة كانت بادية في شكل سلوك أنساني تميز بين ماهو مثالي وفعلي. قام على أساس شخصية الرجل المتدين وبالتالي عندما كانت نيتهم مهلومة من اجل زيارة رجل مقدسي تشكل عنصر القرابة بقوة عاصفة حولتها إلى أداة انتربولوجية في تقريب وجهان النظر بين أفراد وزوار الزاوية.وهنا خرجت القرابة عن صياغتها الدموي والعرقي إلى شيء ديني محض، يعني بإدخال الإدراك الديني زالت كل العواقب الأخرى ، فرباط الزاوية هو الذي وحد نظرتهم إزاء ماعانته الزاهدة رابعة العدوية في حنانها من اجل مبدئها في العشق الإلهي، توزع لديهم هذا الإحساس بالقرابة مرتين الأولى بناء قرابة قدسية مع رابعة العدوية والثانية قرابة مع المحاضر الذي ألفوه كل مواسم حيث تحولت هاته القضية إلى نسبة على حد قول ابن السيدة النسبة مصدر الانسان[1].

أصبح لدينا وعاء بثلاث قواعد قرابية الأولى الزاوية والثانية زوارها والثالثة المتحدث لا دري لماذا أقحمت نفسي في القواعد الثلاث لعلمي سلفا إني أحب هؤلاء جميعا، كما يحبونني بناءا على السلوك المقدسي على التابع من الداخل الزاوية فالقرابة أحدثت تأثيرا قويا كائنا ، تبدو كمفردات من أسرة اكناتية لكن مابدى لي في السياق هل كلهم متصوفة ظل هذا الأمر بحاجة

[1]- معجم ابن السيدة دار المكي، تونس ص 159

إلى تفسير وقد حضرتي تعريفا للتصوف أولها تعريفسيرسعيدي للغة التصوف بأنها كلام في الكشف عن الحقيقة وعلوم الغيب ، وقال ابن خلدون عن حالهم وإما الألفاظ الوهمة التي يعبرون عنها بالشطحات وتؤاخذهم لجا أهل الشرع فاعلم إن الإنصاف في شان القوم المحهم أهل غيبة عن الحس والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بملا يقصدونه.

هكذا دأبت لنفسي مكانا قصيا وتركت الأمر لزوار الشيخ الذين لا يزالون يتوافدون ورحت استمتع إلى مداخلات في التصوف، ولا انك ران مابي من شخوص ومعارف عن التصوف تبين لي إن المستخدمون لا يعلمون إلا انصاصها وأحسست اننا شاربون من بئر واحدة وكتب لوذعية معروفة فابن طعيمة[1] والشطي[2] دون انسجام لان اعلم ان التصوف ينسجم مع باطن النفس وما تهواه كا احدهم يتكلم عن الشطحات التي تؤزه إلى الدجل فلم يدرك كيف يبيض الموقف لأنه ظهر من حديثه انه يريد آن يصف التصوف القائم على الشطحات والرقص وألوان الدجل والمجامير وبتصوف يناشد العقل وتصوف بين العقل وأدوات التصوف وجار بينهما وتركته لاتأهب كعادتي لوقت الغروي، كان عليا أن اخرج من المسجد أتفقد سيارتي.

وأعود إلى مكاني أترقب إن يغلب طابع الحال على المقام أو ربما ينكشف لنا الحجاب وأصبحت أنفذ ما قاله عبدا لرحمان بدوي عندما تحدث عن التصوف في بلاد المغرب حيث قال إن التصوف حين ظهر بالمغرب العربي وجد هنا طقوس عند البربر، دونت الكثير عن هذا العالم وهو يعتقد إن المغرب الإسلامي ، كان متشبعا بمعتقدات وأفكار تمكنه من استمالة قلب البسطاء، الم تأت فكرة الطيف،بعبادة الأقوى من كل الأرواح الشريرة بفكرة إن الله يهب عباده وخلفائه شيئا من البركة، وان الوصول بالرياضيات الصوفية إلى مرتبة هؤلاء الحاملين للبركة أو حتى استحقاق تلقي شيء من التأثير الطيب الذي يطرد قوى الشر ويدمرها، ربما أعطيته الحق

[1]- صابر طعيمة، الصوف والتفلسف، مكتبة مدبولي، القاهرة ص 151 ،2015

[2]- عبد القادر الشطي، التصوف السني، مطبعة الفنون البيانية الجلفة 1999 الجزائر

في هذا الاستنتاج لكن لا أفكر عندما اقرأ لرحلات سيدي محمد بن عطية، مولى الصحراوي، وسيدي عبدا لله الحرشفي جد أولاد نايل والشيخ عبدا لعزيز الحاج جد العبازيز، (1) لما مروا إلى الجزائر وافدين من المغرب عبر العيون كانت اشطانهم الصوفية تلقي البركة والخدمة عندما دخلوا عليها فأجزلوا لهم العطية كما فعل أولاد مهل مع شيخ الصحاري أنهم سبقوا كل التعاليق بخصوص الهوى الصوفي الذي طبع بلاد المغرب أو الغرب الجزائري، وما عدد القباب والمقامات إلا دليل على انتشار ريح الصوفية، التي تغربت إلى جنوب الصحراء، وهناك عند قصر أمغار التحتاني انطلقت قافلتي الشتاء والصيف التي اكتشفت الزهاد والعباد السائحين من أنقذوا التائهين من العطش ، اندست كراماتهم وسط الرمال وصار عند العامة من الناس أمر عادي وعند المتذوقين أمر جلل ، أذان المغرب، كان صوت المرحوم يقصف القلوب اللاهثة وكعادة زوار الزاوية تتكرر سلوك إمام – الماضية – كما فعلوا ظهرا[1].

لا شيء يتغير لا ادري، لماذا تحضر إمامي حكاية القرابة المحدثة رغم إن –لويس مورغان– قد حاول استقراء وظيفة القرابة في البناء الاجتماعي ، إلا إنني ، ربما انفردت بما قالته العرب، رب أخ لم تلده امك، إن ما تتعامل عليه من أنواع الآداب والقيمية الاسنادية للشيخ وحامل العلم وحافظ كتاب الله كلهم يؤكد النظرة القرابية بمجموع الزوار الوافدين إلى الزاوية تدرك للتو الجانب الديني، تعرفت على إخوة كثر من جميع إنحاء الولايات ، لازلت متصلا بيهم ضمن فلول العلم وإحياء المناسبات الدينية.

اصطففنا رغبة وشوقا لأداء صلاة المغرب، تحاذينا بالمناكب وسددنا الفرج، لكي لاينفذ الشيطان بيننا، كان التراص قويا حتى انك تحس فتوة العضلات لزوار الصحراء والجنوب ، لم يكن السر أوفى أمامه سوى طرد الشيطان، بينما بدا لي خلاف ذلك كيف ذلك؟ ربما يتصدع الكثير

[1]– الاب دي فيلاري، الجلفة احقاب، مخطوطة نادرة بخط المبشر الفرنسي الذي عاش بالصحراء والجلفة، مدة 40 سنة، بحوزة الباحث نسخة مستنسخة.

من هذا التغيير.. وأنا في يقين نفسي مدرك إني أجانب المعقول ..الإنسان بطبعه خلق من طاقة متجددة اقرها المولى تعالى بجميع ما خلق من المادة والطبيعة، فالعلاقة القرابية كاشفة قبل الخلق.يعني لما خلق الله ادم وافق بعد الخلق وجد ونظر اسم محمد ص فمحمد من قرابة ادم وادم من قرابة ما خلق، وقدر العلي القدير 5خمس أوقات سميت اوقاتا محددة تدخلها الطاقة النورانية والتي بها استقر الكون ولا يتعدى شيء منه عن الأخر إلا بأمر الجلل يؤدي فيها المؤمن الصلاة بالنقر على الأرض اكثر من مرة على جبهته أو ناصيته (ناصية) تحدث الدارة الكهربائية وكان كل عظام التي تحمل الإنسان على الأرض تشيع بتلك الطاقة البراسيكولوجية هي طاقة غنية عندما تقارب أشعتها ووهجها الآدمي تتكون معها ألطاف الخير والراحة، لكل عظم بشري، وهي مخبأة بعدد الصلوات والنوافل كلها عند كل مسلم فلما يتراصون تتناقل هاته الطاقة تناقل المغناطيس فيأتي ذلك الإحساس بالرضا أو الراحة يراود المؤمن وتنقضي أموره الدنيوية دون إن تشعر بالكيفية التي تحققت بها، في زاوية سيدي الحبيب البوزيدي حدث لي اكثر من مرة وأخرها ماتحقق عن مولاي وطاعته ولما عدت سلمت بعونه الكريم ولما فرغنا من الصلاة عاد إلى مكانه وبدأت صفوف الزاوية يتوزعون بعد20دقيقة من الأذكار، حيث وزعت الموائد بين زوار الحبيب البوزيدي وأكلنا من ضيافته احلي ما اشتهينا موزعة علينا كل عناصر البركة اكلنا حتى شبعنا كأنها ألطاف وطاقات روحانية تطوقنا من كل جانب ليس دحورا ولكن شكورا لم تستمر المسالة وقتا طويلا لان الأوراد الكثيرة وما أكثرها وبأكثر من صوت شيخي تتبعها بعد ساعتين، اجتمع القوم مرة ثانية على الذكر حيث بدؤوا بتلاوة صورة الواقعة كفاتحة للورد البوزيدي وحسب ماقيل لي أنها المغنية وكنت أريد من سؤالي عن البدا بها دون سواها، انتابني شعور لوذعي حول أفضالها فاجأني شيخ طاعن مريد ومقيم إن أمر الزاوية أسس على البركة واغناء المقتر فلذلك جعل سيدي الحبيب البوزيدي صورة الواقعة مرتع الغنا ومبدأ الورد يتلونها بصوت جهوري ...

الفصل الثالث :

الدراسة الاثنولوجية للحضرة الصوفية

1- مفهوم الحضرة وركائزها ودعائمها

2- المفاهيم المرادفة للحضرة

3- ركائز ومكونات الحضرة.

4- تشكيل الحضرة ونهايتها

5- الدو افع المختلفةللحضرة

6- انثروبولوجية السماع الصوفي في الحضرة .

1- مفهوم الحضرة وركائزها ودعائمها

نقصد بالمفهوم هو تعريف الحضرة من حيث السياق اللغوي الذي عرفته عند العرب واجتمعوا عليه قبل أو بعد الإسلام، ثم من حيث السياق المعنوي وكذا المجازي وهي إحاطة علم بالمصطلح لتثبيت استعماله لاحقا في الدراسة.

- **مفهوم الحضرة ومرادفاتها:**

يعد مفهوم الحضرة مقارب بفعل حضر يحضر حضورا ،ففعل الحضرة سياق متحرك يلزم حضورا وقدوم الشخص بعلته من المفاهيم الرياضية التي لها علاقة بالحركة الرياضية التي تشمل العضلات والتفكير، تتسم بالتعقيد لارتباطها كلمة الحضرة، بمجموعة من المصطلحات كالغيبة والفناء، والسكر على غرار ماذكر الطوسي "والغيبة والحضور والصحو والسكر من أحوال القلوب المتحققة بالذكر والتعظيم لله عز وجل"[1]ربط القشيري الغيبة بالحضورملوحا بقوله الحضور ،ان يكون حاضرا بالحق لأنها إذا غاب عن الخلق حضر بالحق فهو حاضر بين يدي ربه بقلبه.

كما تعد الحضرة مؤسسة مكونة من عناصر ثقافية فيها تفاعل متبادل مشروط بأخلاف دينية تركزعلى الدين باعتباره نظام من الرموز، يعمل على تأسيس القوة والأمزجة كما ذهب إليه "دوركايم "ونبذة"سبنسر" إذا ذهب إلى القول بأن عبادة الأرواح هي أصل الدين و بذا فأن الروح المسافرة تكن قد انتقلت من جسد شبه ميت لأن أصلها هو الغيبة والفناء ،والعكس هنا يظهر واضحا في صوت الجسد وخروج النفس المتحولة إلى الروح و هو ما نجد ثابتا في حالة الفناء واندماج الجسد الميت مع متطلبات طبيعة الروح الجديدة ،التي تكون قاب قوسين أمام الله لأنه من السابق ، فالفرق يظهر في نظرية الأرواحية التي نادي بها تايلور والتي من خلالها عرف الاعتناء الديني في كتابه الثقافة البدائية حيث وضح الاعتقاد الإنساني في حياة مزدوجة.

[1]- أبو حامد محمد الغزالي، إحياء علوم الدين ،المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، ج4 ، 2005 .

- **مفهوم الحضرة لغويا :**

ان تعريف الحضرة حسب المعاجم هي مجالس ذكر يجتمع فيها مجموعة من الناس من المريدين او الدراويش يذكرون الله وقد ورد ملفوظ الحضرة من الفعل الثلاثي حضره، يحضر من باب سكت والمصدر حضور ويعني الوجود المطلق والأكيد، ونعني الاشباه وهناك حضرة حية يدرك من خلالها تواجد شخص في مكان معين وحضور معنوي يتم على أساس المجاز او التصور من شدة الشوق والجذب وطاعة الله والخضوع له من خلال تنقية البدن والنفس من الكدورات التي نهى عنها رب العباد.

تعني الحضور اي وصول الجسم بهيئته في الزمان والمكان[1]،هكذا اعترف السواد الأعظم بالحضور بكيفية عادية، لكن اذا اقترن بالكيفية الروحانية او المجازية ، فلربما نحن بحاجة الى تعريف علمي للحضور في المجلس، وبذا يكون الحضور هنا مقترن بالمجلس الذي يحتوي على افراد حاضرين سواء في تلك الحال او فيما بعد لأنه مهما بدأ صغيرا يتوسع لاحقا...

وقد تحدث بها مشايخ التصوف وعددوا مفاهيمها منهم سيدي أحمد الرفاعي والجنيد والجيلاني والشاذلي والشعراني والحاتمي والقشيري[2] يقصد بها حضور القلب مع الله تعالى ، وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (حلق الذكر) و (مجالس الذكر) (الذكر فى الملأ).

والحضرة تعني مظهرا تربويا يقوم على تعليم الفرد عبادة ربه باستعمال الذكر والحركة الرياضية قال الامام أحمد رضي الله عنه : لا أعلم أقواماً أفضل منهم قيل: إنهم يستمعون ويتواجدون، قال: دعوهم يفرحون مع الله ساعة. قيل: فمنهم من يموت ومنهم من يغش عليه، فقال: وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبوا، ان ما ذكره القشيري برجوع العبد الى احساسه بأحوال نفسه هي مواكبة بين فلسفتين الأولى تعود الى قرون خلت ما قبل الميلاد على لسان "اورفيوس" الذي كان يؤمن مع

[1]– حمام محمد ، التشاكل في الرواية العربية ، دار آفاق غرداية ، 2006 ، ص 70

[2]– عبد الكريم القشيري النيسبوري ، الرسالة القشيرية ، دار الخير ، دمشق ، بيروت ، 1988 ، ص 40 .

طائفة تناسخ الأرواح وقد ذهبوا الى ان الروح في الحياة الاخرة ،تنعم نعيما ابديا او قد تشقى بعذاب معين او مؤقت ومع من قالوا بان النفس ترتقي الى ان ترى حجبا في عهد ابي يزيد ومقعدها من الجنة او النار، لو نظرنا في حقيقة القولين نجد أن مصدرهما اعتقاد في الحضور بأخبار النفس عما قدمت ثم انها تشفى بعذاب بعدما تحضر عملها والا لما قالوا بالشفاء عن طريق العذاب وعند الصياح والخوف والبكاء يحدث اخبار بنسبة الحضور .

يمكن ان نستدل الى ان الحضور النفسي امام الاله لم يكن وليد العهد الصوفي منطلقا من القرن الثالث او الرابع الهجريين ، فاذا كان الخمرمسكرا تحقيقه السكرهو حالة وجد بينما الخمررمز لهذا نبني صوفيا، مفعول الحضور من السكر عندما ترى النفس مالاعين رات يغشى عليها بالسكر أوبالفناء مرة واحدة، وذلك منذ 15 مليون سنة، لنأخذ بملفوظ السكر عند القدماء على أساس تشريح الملفوظ انثروبولوجيا نجد ان له دلالات كلها موجبة لفهم الحضور .

يقول القيشيري[1]معرفا السكربانه "غيبة"بوارد قوي والسكرزيادة عن الغيبة من وجه وان صاحب السكر ان لم يكن مستوفيا في سكره ،قد يسقط اخطار الأشياء عن قلبه في حالة سكر قال تعالى: ﴿ **فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر صعقا** ﴾الأعراف 143، لهذا قيل ان العبد في حال سكره شاهد الحال.

اذا ما عرق المرأ المتذوق لذة السكر، لأنه يكون حاضرا بقلبه فحياة السكر التي يحياها شاربها يحسها هو لوحده، ولكي نبسط المفهوم بلغة السكر ، فالحضرة هي حالة للدخول في السكر المتذوق لحال الغيبة، فلما كان المصريون يقدمون القرابين للنيل، لانهم في تلك اللحظة

[1]–برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة زكي محمد، ط3، 1978، القاهرة، ص 42

سكروا باعتقاد ان النيل اله عظيم هو مصدر الحياة، كما أكده ديورانت صاحب كتاب الحضارة[1] بقوله: "ان بداية الخلق هي السماء وقد ظلت هي والنيل اكبر ارباب الى اخر أيامه".

لو نحاول رسم دورة الحضور عند القدماء لا شك انها ترتبط اما بتقديم القرابين من الحيوانات او البشر على سبيل أهميتها وقيمتها المادية والمعنوية التي تعطي للفرد قناعة بأن الالهة بحاجة الى قرابين ادمية، ليقتل معها كل ما تشتهيه نفسه ليكون القربان عربونا امام الاله بان مكانته افضل من مكانة ماهو اعز وافضل لديه ، عندئذ تحدث انفعالية صورية داخل المضحي، بانه على مقربة من الهه .

قد نسمي تلك الحالة التي تأتي بعد التقديم "سكر" تجسده قيمة ما يقدم الى الاله الأكبر ثم يدخل المتعبد في حالة سكر ثم غيبية قد يؤدي به الحالة الى مضاعفة القرابين وتقديم ما هو اغلى ان هو دخل في "حالة سكر" متذوقا حلاوة التقرب الى الاله عندئذ يكون قد تذوق الحضرة.

الحضرة هي قبل ان تكون بالصفة طقسا ،فهي مقابلة سريعة أوطويلة مع الله كما يفهمه المتحضرن "مجازا" اوقد يطلع الى مجمع ذي الانوار القدسية [2]، يتشبع بها ويعود وهناك من يواصل إذا دخل في حضورمحمدي نسبة الى رسول صلعم يقتح المجال امامه للخارقية او التلون بأوجه ميتفايزيقية يحياها المتحضرن او السكران داخل الاطياف النورانية التى يخالها انها تطبق عليه، بحيث لا تريد منه ان يرجع الى نفسه المذنبة.

كما ذكرت تشترك عناصر خارقية قد يطبقها المتذوق من كلام قد سمعه في اخيلته، يؤكد حضور النفس للاعتراف امام الاله ، رغم ما تحمله النفس من قلق ومعاصي يتذكرها، فلا يصل الى معتقد الصفح ان هو وازن بين مجهوده العضلي في تكرار الذكر أو إجهاد النفس بالصياح أوالتعالي أوالجهر بالذكرأحيانا،محاولا ان يقنع نفسه التي دمرته في السابق، بان لها الحق ان تضع

[1]–ديول ديبورانت، قصة الحضارة، ترجمة زكي محمود، دار الجيل، ط1، 1912، ص 155

[2]– محمد السهروردي ، آداب المريدين ، منشورات محمد علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط01 ، 2005 .

امام ربها من كثرة ما اقترفت وتتعاطف براسيكولوجيا صورة الله امام ناظريه ،فيطن عندما يتذكر الذنب الاكبر ان الله بعيد عنه يزيد انفعاله بحثا عن شيئ يقربه الى عناية الله .

ان قاعدة السكروالغيبة في الحضارات القديمة ظلت مسافرة صانعة طقوسا متجددة من الخارقية عند الانسان القديم ، والممارس الحقيقي للرياضة التركيزية التي تعتمد على فصل الجسم عن الروح، وربما تتقاطع هاتهالانفعالات الرياضية المقدسة عند شعوب اسيا الصغرى ،مع واقعة الحضرة في الاسلام، لان ما يفرقهما هوالاستعمال الديني المنصوص عليه عند المسلم وفق المحددات الشرعية ، وافتح هنا قوسا للحديث عن صورة الحضرة نجم اما عن سوء فهم لتصرفات السلف اثناء الحضرة او ارادة عداء اريد بها تشويه الدين وتشبيهه بالأديان البقرية والبوذية التي تؤمن بالخلاص العبثي وهي بعيدة كل البعد عن الاسلام الذي استثناها في كثير من الآيات .

وسنولي بالشرح تفريق السكرعن الحضرة من زاوية انطباعية ونحاول ان نقتبس من لسلوكيات النفسية بعض التفاسير التي وضعها علماء النفس .

- **مفهوم الحضرة اصطلاحا :**

تعتبر الحضرة حلقة بشرية تتحرك حسب توجيهات مقدم الحلقة ،بفعل الاوراد والاذكار يرتقي بها المشارك الى مراتب وعند العامة ينظرفيها حدوث المقدسي أو الخارقي أوالإشارة فهي تشريف لما ذاق فيها مواجيذ وشاهد بأم عينيه أشياء حرم منها غيرة .

كما انها تشكل ممارسة صوفية ادخلت في اطار تواصل مراحل العبادة عند الصوفية وتفسر هذه الممارسة لجملة من الشعائرذات التعبيرات الرمزية تؤدي الى تقوى المعتقد وتمد المشاركين بأدوات ضبطية اثناء المشاركة الجماعية وفي هذا قال ابن القيم[1] "ان القلب اذا قرب من الله

[1]- جوزيف شاخت ، تراث الإسلام ، عالم المعرفة ، سلسلة شهرية ، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون بالكويت ، ج2، ط 03 ، 1998 .

انقطعت عنه معارضات السوء المانعة عن معرفة الحق وادواته قريبة من الله بحسب قربه منه واضاء له النور بقدر قربه فرأى في ذلك النور مالم يره البعيد والمحجوب".

2-المفاهيم المرادفة للحضرة:

توجد عدة مفاهيم مرادفة للحضرة رأيت من الضروري اقحامها تسهيلا لتوضيح معنى الحضرة الصوفية

- **السكر** :

لم نشأ ربط الحضرة بالسكربل وضعنا تفسيرا أنتربولوجيا يقوم على المقاربة بين الحضرة وحالة السكر التي يغفى فيها المتحضرن، وقد فسرنا قبل ذلك ارتباط السكر بالحضور[1]، مما يعرف عن السكر انه حالة غياب عن وعي" دون تميز بين ما هو واقعي متفق عليه، وهذه ليست هي الحالة المقصودة لان ادماجها بهذه الكيفية عند السكران هو نوع من العبث او المجون الذي يراد به تعطيل العقل وانما السكر هو حالة شرب او تذوق للذي يريد ان يتفهم لحالة الحضور في عالم اعظم من عالمه الأرضي، فاحتساء الشراب يكون داخل غرفة القلب المتسامي بطهارته ونقاءه وخلوه من الذنب والعجب والرياء وقتل النفس ومسامحة الاخرين،يعني تطبيق الحدود فحسبنا عندما يشعر السالك برضا الله عليه لا يمكن له ان يصل الى وصف تلك المكانة، الا اذا حدثت له حالة حضور يسكر من خلالها بفعل النقاء والصفاء، وليس باتباع الشهوات واختراع الاباطيل وقد قال فيهم ابن القيم ، ومن كيد الشيطان ما ألقاه الى جهال المتصوفة من الشطح والخلوات وابرزه لهم في قالب الكشف والكشف عند الصوفية الزعم بالاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية وجودا وسهوا.

[1]- عبد الكريم القشيري النيسبوري ، الرسالة القشيرية ، مرجع أشير إليه سابقا ، ص 40 .

➢ **الغيبة :**

يرتبط مفهوم الغيبة بالحضور ذلك ان الغيبة هي حالة غياب القلب، عن علم ما يجري من احكام الخلق لانشغال الحس بما افاء الله عليه من استدراجات وعند القدماء تعرف بحالة الفناء او الحلول وهي في راينا مخالفة تماما لأصل المعني في الحلول، لفظ الحلول لغة هوحل المكان وعند العلماء هو اتحاد جسمين بحيث تكون الإشارة الى احدهما إشارة الى الاخر كحلول ماء الورد في الورد والغيبة هي غياب المتذوق عن حس نفسه وليست اتحاد او حلولا فان هذا الخلط تدجيل المصطلح دون فهمه فالغيبة مدركة بما رأى السكران من مواجيذ نهائية ، اقيمت بعدما قدم لنفسه وبدنه من مجاهدة ومثابرة لتطويع الانفس المشبعة بما يرضي الله .

أصل السكر هنا في حالة تطبيق الحدود التي وعد الله بها عباده الجنة وليست في حال الشعوذة وتسخير شيطان الانس والجن.

ولكي نوجز تلك المقاربة بين السكر والعقل، نحاول ان نجابه العقل من الناحية الدينية وكيف نظر اليه العلماء ،من زاوية التفضيل والانعام الرباني على الانسان ،كان ساميا بقدر محبة الله للرسول فقد كرم الادمي على سائر المخلوقات، وهذا يكفي للاقرار بمكانة الادمي عند الله،وخاصة لما يدرك اصحاب العقول التى تعي هذا الامر الموجه لهم لافهامه للناس قال تعالى:

﴿ إن في خلق السماوات والأرض لآيات لأولي الألباب ﴾ [آل عمران : 190].

واذا ما حاولنا اعادة مفهوم السكر ضمنيا هو هجر لحكمة العقل ،او كما ذكر بكر[1]، هوسرور يزيل العقل فلا يعرف به السماء من الأرض ، وقال : بل يغلب على العقل هذيه في كلامه يظهر، انه منبع الحكمة عندما يكتنفه التغيب والنشوة يصير الى عدم التميز، فما علاقة هذا بالسكر الصوفي او الحضري(نسبة الى الحضرة)، يتمدد المفهوم عند هذا الحد من ذوبان النفس

[1]– محمد هديل الأخصومي ، منتخبات في الأدب العربي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، باب شعراء الجاهلية ، ص 33.

المفكرة بغرفة العقل يعني بالاستناد الى العقل القلبي (ولهم قلوب يعقلون بها) يذوب المتقرب ذوبان العقل الفطن بعد السكر، فهو غير مميز لجنسه او نفسه الفانية في حضرة الذوبان وقد ذكرالشاعر المنخل اليشكري وهومن شعراء الجاهلية قوله في التميز بين النشوة والصحوة .

ولقد شربتُ من المُدامة بالصغير وبالكبيـــــرِ
فإذاإنتشيتَ فإننـــــي ربَ الخورنَقِ والسديرِ
وإذا صحوتَ فإننـــــي ربُ الشُويهة والبَعيــرِ

لورجعنا قليلا الى قياس العقل من ناحية الفائدة والاهتمام به، فهولم يكن محل اهتمام اوقيمة في القرون القديمة، بل اعطيت مكانته لمعتقدات الدين فضل الدين مستلبا للعقل تحول اليه تبرير الوجود ووضع الخطوط المعاشية وبعد الاكتشافات الجيولوجية التي قادت البولندي كوبرنيكس بأن الأرض ليست مركزا للكون وليست ثابتة، وهي متحركة وتدورحول نفسها وحول الشمس وليست الشمس[1] هي التي تدور حول الأرض،تم توجيه اللوم الى الفلسفة على يد ديكارت وسبينوزا وتواصل بنفس الحدة نقد الدين المسيحي، كما ذهب اليه الألماني مارتن هايدخر الذي اعترض على عادة بيع صكوك الغفران،معتبرا اياها قمة في التجهيل الذي ارتكبه الدين باسم الحياة الشئ الذي نفر فولتير وجان جاك روسو وديدر.

اذ ارجعوا العمل الى العقل، كمصدر للمعرفة والعقد الاجتماعي وحقوق الإنسان وعلاقة الحاكم بالمحكوم وفصل السلطات،وقد نظر فلاسفة كبار لهذا الطرح المعتمد على العقل كتوماس هوبز وجون لوك ومونتسكيو وآدم سميث وأمانويل كانط نظرة يقينية، اعتمدت على العقل كما ذكرنا في كل شيء لدرجة تقديسه، وحل محل الدين كمفهوم مقدس لا يمكن الطعن في مرجعيته ومصداقيته.

[1]– محمد مجد الهاشمي ، التليميديا ، دار البعث ، بيروت ، وذكره محمد أبو زيد في كتابه الثورة الرقمية ، ص 180 .

يقول ديكارت أقصد بالفكر كل ما يختلج فينا بحيث ندركه بأنفسنا إدراكاً مباشراً ومن أجل هذا لا يقتصر مجال الفكر على التعقل والإرادة والتخيل، بل يتناول الإحساس أيضاً لما يقيم ديكارت مبدأ الادراك كمركز لعملية التعقل، فان السكر هنا يصبح خارج عن حدود ولامجال لذكره لان التعقل هومن يصنع إدراكنا .

ولما وقع ذلك التحرر من الدين تقوت الافكار التي تمجد العقل من اجل وظيفته ،حيث تبنى الفيلسوف الألماني نيتشه معيار الحياة كمصدر وهي التيمنها يقتبس الانسان مسارات حياته، وبذا يمكن ان نقول ان فلاسفة العقل لايؤمنون بالخروج عن العقل وبلوغ سقفه الى حد اللاتميز او التشويش على العقل ، فلامعرفة ولا حياة خارج حدود العقل.

ان هذا النوع يترك لدينا انطباعا عندما نتناول "حكايةالسكرالصوفي" مفاده طرق الميتافيزيقا العملية [1]التى نادت بها مدرسة فرانكفورت، وتمجيده عند فلاسفة مابعد الحداثة أمثال هيدجر وميشيل فوكو وجيل دولوز وجاك دريدا وغيرهم، جميع هؤلاء نقدوا العقل ونقدوا المركزية الغربية، والتفتوا إلى الهامش والمستبعد من العقل.

- **الحفلة والغناء :**

يسمي العامة مجالس الذكر حفلات يحييها الدراويش بانتظام كل يوم من أيام الجمعة اسم "الحضرات" ولأنها تتكرر يوم الجمعة يتمنى ساعة الاستجابة الموجودة في اعظم يوم من الأيام الأسبوع ،يستعمل المتعبدون هذا الطقس الديني كل ليل في ليالي الجمعة رغبة في ادراك ساعة الاستجابة ونظرا لتكررها طيلة ايام الجمعة جعل الكثير من العوام يصفونها بالحفلة خصوصا وانها تستعمل بعض أدوات السماع.

[1]- إكلماندیل ، الإسلام في المغرب ن دار توبقال للنشر ، ط 1 ، 1991 .

رفضت المذاهب الأربعة استعمال الغناء بمايصاحب الذكر ،وظل الامر على شاكلته حتى لما ظهر الانشاد الصوفي الذي يتناول الادعية والمنظوم الديني المضبوط ،حيث وقف الفقهاء مواقف متباينة من السماع الصوفي خاصة لما نستعمل الرقص والنقر على الرفوف والنفخ في النايات.

ويرى بعضهم انه ملهم للنفس يحرك الأعضاء عفويا عبر التصفيق والاضطراب الذي يؤدي إلى السكر،كما سبق ذكره وعند البعض الاخر يرون في السماع انه يلهي القلب عن التفكير في عظمة صاحب الكون وتغذي اللذات العابرة، فقد انكر أبو عبد الله بن خفيف (ت 371هـ) استماع الغناء والرباعيات وغناء الراقصين معتبرا ذلك فسقا بينما اجازوا السماع القرآني، وخلاف ذلك تعاقبت وجهات نظرهم قال الامام الغزالي اعلم ان قول القائل السماع حرام معناة ان الله تعالى يعاقب عليه وهذا امر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع وقد دل النص على إباحته[1].

3- مكونات الحضرة :

نقصد بالدعائم تلك الآليات المتطورة التي تقوم عليها الحضرة من حيث البناء ،فلا يمكن ان يخلو أي مجسم مالم تحضر تلك الدعائم المتمثلة في صلابة الأوتاد الخرسانية، كذلك بنفس الامر بالنسبة للحضرة ، فهي تقوم على التجمع العام للناس في مكان اتفق على قداسته كما جرى عند انسان المعبد، حيث يكون التجمع حالة استعداد إنساني لتجلية الخضوع والولاء الى المقدس الذي هو الله، فلا يمكن فصل (الحلقة) كحالة تشابك وارتصاص بين الناس لما لها من دور ايماني وروحاني، اوصت عليه الأديان ولاسيما الدين الإسلامي ﴿**حافظوا على الصلاة والصلوات الوسطى وقوموا لله قانتين**﴾[البقرة : 283] ، فالقيام هو امر بالتجمع يقوم هذا الأخير على التأمل في "الله" بغرض معرفته، فالقيام الجماعي يدرك به سر عظيم من إسرارالتأمل تحيط به أساريرالطمأنينةوالإحساس بالراحة الملكوتية التي يملكها الانسان من إحساس تأملي يدرك من

[1]- أبو حامد محمد الغزالي ، احياء علوم الدين، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، ج4 ، ص 347

خلاله المشارك في الحضرة بدرجة (قرب) بالله تعالى خاصة لما يطيل الحلقة آيات من الذكر، وقراءتها بصوت حزين تنقلب فيه لدى المجتمعون كل معاني المواجيد.

من لا يظن أنه يعيش حالات من الارتقاء الروحي خاصة إذا صادفت آية أو دعاء حالة نفسية كان يعيشها بشكل رغبة أكيدة في نبذ الواسطة التي يستمر المشارك الواقف بالحلقة إلى التفكير فقط في ذنبه ورغبته، إمكانية غفران ذنبه.

فلو نتفق أن كل واحد يفكر بهذا المنطق وكل إنسان يشعر بأنه لا واسطة بينه وبين الله تحدث عندئذ (حالة قوية، من الايمانية والاعتقادية الراسخة) قد تؤدي الى ظهور طقوس إضافية يمارس أشد المتأثرين الشاعرين بمكانة السوء وسط الاخرين.

عندما نحاول ان نفسر علاقة (الحلقة) او رسمها في الشكل الدنيوي ،نجد انها تقوم على مبدا التناظر، لأن الانسان الغائب في الشعور عندما يرجع فمن غيبته ينظر الى بصيرته في الجهة المقابلة له فيجد انسانا كما هو يعني ، فهل يساويه في درجة الفعل والندم ، وبالتالي يحدث له اكتمال طلعة الإحساس الذي كان يعايشه اثناء الحضرة ومما يركز عليه في تحليلنا الانثروبولوجي بين (دائرية الحلقة) وبين اهتزازها عدة أشياء ذات بعد طقسي عبادي لهأكثر من توجه وتأويل،نحاول ان نحاصر أجزاء منها لنبين تلك العلائق.

أ–المكونات اللسانية واللغوية للحضرة:

نقصد بالمكونات اللسانية واللغوية للحضرة تلك الجمل الكلامية التي يستعمل فيها المشارك في الحضرة جهازه الصوتي ومنظومته الكلامية من اوراد،يتقرب بها المشارك المتعبد لله لينال ثواب ماجاء في حديث النبي صلعم المثبت في الصحيح من حديث ابي هريرة انه قال: "ماتقرب الي عبدي بمثل ماافترضته عليه ولايزال عبديي تقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه

الذي يسمع به وبصره الذي بصربه ويده التي يبطش بها فيسمع ويبصر ويبطش،فإدراك مغزى هذا الحديث فانه يتراءى بان العبد قد بلغ محبة عاليا. :

➢ **اللسان الذاكر أوقراءة القرآن:**

يستعين المشارك في الحضرة بقراءة القران وتدبر آياته،وردت في القران الكريم، معان كثيرة تهم الانسان في حياته اليومية والمستقبلية، وتجعله يحسب انسانيته)، لو أننا تمعنا ماجاء في القران العظيم،من اخبار امم سبقتنا في الحياة والمشى على الارض،وابتلت كان لها نعم المتاب،وعذب اقواما بأفعالهم واستهتارهم غير ابهين بعظمة الله سبحانه وتعالى، لقد وزع "القرآن" للإنسان كاملا لوظائف التي تجنبه الشقاء وتعطيه الامان، ان قراءة التدبر هوان تعيش وسط ماتقرأ بالتفكير فيما تقرأ أولا، وذلك بالبحث عن (عقيب الآية) قال الامام علي لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها إذن كيف نتدبر قراءة القرآن.

➢ **-قيام الليل :**

ان قيام الليل يعتمد على خصوصية ، تتخذ من عبادة الأشخاص وسيلة للقرب وهي اشبه بحضرة، تؤدي بحضور القلب امام الله متعلقا فالمولى تعالى اختير بنزوله في الثلث الأخير، فهو اخبار واحب التصديق بمرور الآية الكريمة ﴿ان ناشئة الليل هي أقوم قيلا﴾فلا يكون الارتقاء مشمولا بالصعود وانما الكلم الطيب هو من يصعد ولا طيبة من كلام الله ان يتلفظ به اللسان على صورته نعمه الانوار الإلهية. ولو نحاول ان نشخص عملية القيام فهي تعتمد على الجهد كما سماها الفقهاء بالمجاهدة أن لايدع الانسان نفسه لا يقوم ، فالعضلات مهما كانت قوتها لابد هي صامدة ترفع جسد سخرت فيه روح كلفت بالانقياد نحو السلامة .

- **صلاة النوافل :**

إن صلاة النوافل هي مدعاة للتقرب كما ورد في حديث أبي هريرة ومغزاها إطالة الوقوف امام الله في الاوقاف المعلومة في المراتب او النوافل، تتغذى البدن ببركة وقتها وما يقرا فيه وبكثرتها تؤدي الى حضرة القلب باشتياق وسريان النور على البدن، وقد جاء في حديث النبي صلعم قوله لبلال يا بلال ما دخلت الجنة الا سمعت خشخشتك بين يدي ،عم ذلك قال ما أحدثت من ليل أو نهار إلا توضيت وصليت ركعتين قال بهما[1].

- **ذكر أسماء الله :**

ان أسماء الله الحسنى هي مجموع مسميات سمى الله بها نفسه بكيفية هو يعلمها ويدركها وهي من موجبات الحكمة الإلهية وكلها حسنة لا تدنيس فيها ولافتور، وحملها على القراءة يزيد النفس توهجا بالقرب منه فتسع وتسعون اسما كل تفاسيرها حقا على صفة الاسم الذي سما به نفسه فقوله "الهادي" "والبصير" لو تدبر المؤمن ذلك وهو في حضرة القلب يعرف نفسه انه بينه وبين الهداية اسم هو الأقرب عينه اليقينية على مفصل ما خلق ،ولو كساها لتصدعت من عدم موالفة المنظر كما حدث لموسى لما رأى الجبل على حالة من الذعر عندما جعله ربنا دكا.

تتكون الحضرة من عدة أدوات روحية ومادية لبنائها ، أما الروحية فتتمثل فيمايلي :

[1]- ابن القيم الجوزية، كتاب الروح، ص 219

- **النية :**

قال صلعم "انما الاعمال بالنيات"[1]والنية في العرف المعرفي الحالي، هي مقصد العلم بفعل الشيء حسب ما يمليه الصوت الداخلي للإنسان، في بعض القصص تعد النية عزم مقدر في الانسان وعرفها الفلاسفة بأنها صوت الضمير وتفكيره.

بالنظر الى المفهوم القيمي "للنية" يظهر قاعدة الأسس والاحسان اذا ما سبقت "النية" أي شيء يريد الانسان ان يقوم به فبالتحام (الاحسان والاحسن) تحدث لدى المشارك في الحضرة حالة نوالية غير مرتقبة ،كأن يشعر بانه منقاد الى شيء عظيم، سوف يلاقى عليه الثواب ويتطور هذا الشيء المشعور به الى معتقد ثابت، أساسه الاطمئنان، لهذا فسر حديث الرسول نفسه بنفسه من خلال ما جاء فيه، وانما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته لدنيا يصيبها ،فهجرته الى ما هاجر اليه ومتى كانت هجرته الى امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه.

بإلقاء نظرة بسيطة ذات زاوية تحليلية لشطري الحديث والمتمثلين في زاوية (الذاتية في النية) اذ يمكن اعتبارها (ملكية ذاتية) لكل امرئ ما نوى وزاوية (إصابة الدنيا) وزاوية (نوال الزوجة) ان اجتماع الزوايا الثالثة يؤكد ملكية الانسان لكل ما يفكر فيه مع العزم،وتدخل المشاركة في الحلقة من هذا الباب ،واذا ما تمت بصورة الطهر، فإنها تصبح مثوبة، لكل عاقد عزم، وهو ما جعلنا نعتبرها أساسا شرطيا من الناحية الفقهية لنيل الثواب خاصة اذا كان العمل معلق بالخير او نوال رضا المولى تعالى.

[1]– عن الحُمَيْدِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الأَنْصَارِيُّ، قَالَ :أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ عَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى المِنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ» :إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ.«صحيح البخاري.

➢ -تشكيلبناء الحلقة :

عندما يعتقد المشارك في الحضرة العزم على دخول الحضرة يجب ان يرافق ذلك استدعاء ملفوظ،(التجمع او الحلقة) مباشرة بعد عقد العزم اذا يصبح حضور (دال ومدلول الحلقة في ذهن المشار) فهو لا يمكن ان يمنع نفسه استقبال شكل الحلقة خاصة لما ينظر الى من حوله، عندئذ تتجسد الحلقة لوحدها عيانيا بفعل الادراك وخياليا ارتسمت مباشرة بعد عقد العزم، يعتبر من ناحية ثانية امر استحضار الملفوظ امرا اضطراريا لإكمال منهج العزم سوى شكل الدائرة الصغير أوالكبير، حول المدركات المعرفية التي اكتسبها قبل ان تدخل الحلقة، ربما يتساءل القارئ عن كيفية (الاستحضار للبناء) نقول عن هذا الامر بسيط يلزم رسمه مباشرة بعد (عقد النية) .

وفق ماعرفناه سابقا يتولى المخ إعطاء الأوامر عير السيلات العصبية للذاكرة يأمرها باستحضار الشكل والمضمون الخاص بالحلقة،ينفذ الامر في وقت قصير،ربما يتراءى للعاديين بان الامر جد بسيط وما هو بذلك فثمة أشياء كثيرة،تحدث لا يمكن استيعابها مرة واحدة ، حتى يدخل الفرد في حالة أخرى هي الرغبة او عقد الإرادة او مسكها كما سماها احد الفلاسفة[1].

ب–الدخول في الحلقة :

يعد الدخول في (بناء الحلقة) اخر خطوة لاكتمال الشكل المادي لدعائم الحضرة ،يمكن تسمية هذه (الرحلة) بالحضرة التي تآلف عليها الناس بانها حلقة من البشر المميزون او العاديون يقومون (بطقس عبادي) يتوددون منه الى الله لتحقيق رغبات ذاتية ،لا يمكن لها ان تخرج عن قاعدة المغفرة ونوال الجنة الموعودة.

واتقاء الإحساس بالعذاب فهذا داب السطحيين الذين ليس لهم علم بالكيفية العرفانية مثلهم كالذي يكتفي بقراءة صورتين في كل الصلوات، اما الذين يعلمون بالكيفية فهؤلاء يؤكدون

[1]– ابن عمر الزخشري الخوارزمي ، الكشاف ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 1990 ، ص 10 .

على حدوث الاشراق الذي نعني به وصف العالم بالأنوار المستمدة من نور الله تعالى، كما ذكر ذلك الامام الهجويري في هياكل النور[1]، وعلى الرغم مما قيل عن هاته الهياكل بانها تعطيل لإرادة العقل الإنساني الا انها في الواقع يمكن ان تلتفت لها من باب الإحساس بالسر، عندما يفعل العبد من الذكر ما يظن انه يفرد به لوحده وقال القشيري شر الشر مالا إخلاع عليه لغير الحق،عندما يصل المشارك في الحضرة الى هاته القناعة الذاتية يدخل في الاسرار اللطيفة المولودة لقوتها من الإحساس بالقرب.

ج–الأوراد :

ان اصل مصطلح **الورد** له علاقة "بالارادة" والقبول شرحا في لسان العرب كقولهم ورد الابل أي سقاهم او ورد المنبع أي وصل اليه ،بهذا تعلق المصطلح بما يجب على العبد المؤمن من أدوات تجعله سريع التقبل منه، ويمارس المريد بالذكر الممجد لله بعبارات مجيدة محددة تتردد سرا او جهرا والذكر مراتب مفصلة حسب كل طريقة قال الامام الغزالي يرى ان الذكر هو عظمة العبادة، لان ذكر الله مع صفته على اللسان وقلة التعب صار انفع وافضل من حملة العبادات مع كثرة المشقات فيها ويواصل في نصائحه للمريد، اعلم ان تحقيق هذا لا يليق الا بعلم المكاشفة وان الامر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب، وحسبه ان الذكر يستلزم حضور القلب ويقصد بالذكر ذكر شهادة لا اله الا الله ويسمى ذكر الجلالة وذكر الحزب ،وهو مختارات من القران والادعية وهناك ذكر الاوقات[2]ومن الناحية الدلالية فالورد هو نص ديني شعري او نثري يبرزه الشيخ، كأداة تعد عملا من أعمال الرياضة الروحية والسعي الى الحضور ويحقق الورد لدى المشتغل به درجة من القرب ناتجة عن اعتقاء بانه ورد مقرب من النبي او الرسل كما هو شأن لورد التيجانية الذي قيل شانه انه مزكى بإذن من الرسول (صلعم) .

---

[1]– الامام الهجويري، هياكل النور، مطبعة الجيل، القاهرة، 1982، ص 21

[2]– عبدو محجوب ، مقدمة في الانثروبولوجيا المجالات النظرية والتطبيقية، دار المعرفة الجامعية ، الكويت ، 1990 ، ص34 .

أ- انثروبولوجية السماع الصوفي في الحضرة

- **السماع وانتربولوجية الانشاد :**

خلق الله للإنسان اذنين ولسانا واحدا حتى يسمع اكثر مما يتكلم ،يعني هذا الفضل هو إتمام جمع المعلومة لكي يبني المعرفة من اجل مشوارالحياة، كما ذكرنا سابقا في قضية الجري المستمر، وسواء كانت هذه المعلومات تتعلق بفرحه او حزنه، دون شك ستحدث اثرا وهو ما ركزنا عليه سابقا اثناء تعرضنا الى مجالات التأثير الثلاث، لكنه اثر يبقى نسبيا لكونه يتعلق بالحقيقة التي تبقى دائما منقوصة ،ولهذا تعددت الآراء التي يعرفها فمنهم من يرى ان الحقيقة هي ما اجتمع عليه الناس بالتوافق، وذهب كانط[1] الى ابعد من ذلك اذ قال ان المعرفة ممكنة في معرفة الظواهرفي حيث ان القضايا الماورائية غير مرتبطة بالتجربة فهي لاتكون موضوع معرفة يقينية ،بل يثبتها العقل العملي كافتراضات يقضيها الواجب الأخلاقي لو اخذنا من قوله الواجب الأخلاقي هو المقتفي بحال ما يسمع الانسان من (حسن الصوت) او لقاء استقبال له مواجع فإنها تؤثر تأثير في الجهاز الحسي للإنسان، ومشاركة عقله ولكي تثبت ذلك التأثير الذي يؤدي الى الموت، استجلبنا بعضا من المواقف ذكرها القشيري في الرسالة[2] منها قال: "قال أبو عثمان سعيد الحيري "السماع على ثلاث أوجه فوجه منها للمريدين والمبتدئين يستدعون بذلك الأحوال الشريفة ونخشى عليهم في ذلك الفتنة والمراءة والثاني للصادقين يطلبون الزيادة في احوالهم ويستمعون من ذلك ما يوافق اوقاتهم والثالث لأهل الاستقامة من العارفين فهؤلاء لا يختارون على الله تعالى فيما يريد على قلوبهم من الحركة والسكون"، بالنظر الى الشخوص السطحية التي تسمع الحس من القول، فلا تستشف له حال، الا انها لا تملك المعرفة ونقصد بها المعرفة الدينية كمبادئ الدين لان العلاقة لا تبني الا مع الله في حالة السماع الصوفي ، واذا أنبتت ما قدمت يداه لمرضاته تحولت نفسه الى صريعة لا تدري شيئا ، وهو ما أدى به الى القول بانه يخشى عليهم في ذلك الفتنة والمراءة.

[1]- عبد الكريم القشيري، الرسالة، مرجع أشير إليه سابقا ، ص 134

[2]- المرجع نفسه، ص 134

- **السماع بالمعرفة الباطنية:**

لما تتحقق المعارف الدينية الصغرى والكبرى تتحقق في النفسية البشرية قاعدة مركزية الله ومركزية التوجه الديني، وبالتالي تسمو الى ميدانية الاخلاق التي تكلم عنها كانط وغيره من الفلاسفة، وتعتقد ان الدخول في المركزية الإلهية له قواعد ذكرناها سابقا ثم الدعائم المادية للحضرة وهي ذات ابعاد باطنية تدخل في سرية العلاقة بين العبد وربه ،ويذكر موقف مبهت ذكره القشيري في الرسالة يبين تفسيره تلك السرية المحددة بين العبد وربه، فهو ليس بكاشف الا اذا راى ذلك لأنه لايتصف بوصف العبد المغرور.

روى أبو بكر محمد الدينوري الدقي قال كنت في البادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب واضافتي رجل منهم ،فرايت غلاما اسودا مقيدا هناك ورأيت جمالا قد ماتت بفناء البيت، فقال لي الغلام: انت اليوم ضيف، وانت على مولاي كريم، فتشفع لي فانه لا يردك فقلت لصاحب البيت، لا اكل طعامك حتى تحل قيد هذا العبد، قال هذا الغلام قد افقرني واتلف مالي فقلت ماذا فعل؟ فقال له صوت طيب وكنت أعيش من جهد هذه الجمال فحملها احمالا ثقيلة وحدا لها قطعت مسيرة3 أيام في يوم واحد، فلما حط عنها ماتت كلها، ولكن قد وهبته لك، وحل عنه القيد، فلما اصبحنا أحببت ان اسمع صوته فسالته ذلك فامرت الغلام ان يحدوعلى جمل كان على بئر هناك فهام الجمل على وجهه وقطع حباله ولا اظن اني سمعت صوتا اطيب منه.

عند قراءة مثل هذا الموقف الذي جعل بشري بصوته الطيب يحدو على جمال حتى تفقد عقالها، فهذا مرده إلى استخدام "تأويل المعني" حتى نقترب من تأثير الصوت على البشري خاصة اذا كان الكلام الملحن به كلاما ذا قيمة لهذا امر الرسول (ص) المسلمين بقوله: " حسنوا القران بأصواتكم فان الصوت الحسن يزيد القران حسنا" كما ذم المولى تعالى الصوت الفضيع ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ سورة لقمان 10.

ب- الدوي والتفاعل :

نعني برجع الصدى (Feed Back) هو الاستجابة الفورية باللغة أوالرمز أو السلوك ويرتبط رجع الصدى بدوره الاتصال، عن طريق ما يتلقاه المتلقي من رسالة واردة في كثير من الأحيان يتم الرد بسرعة، سطحية لكنها في عمق العقل تتمثل "تقليص" خرافي بعيد عن ما نفسره السطحية لكون ميكانيزمات العملية معقدة .

حاولنا في هذا المطلب ادخال القيم الأخلاقية كرد فعل لما يسمعه الذاكر سواء كان مشاركا في حضرة إسلامية او منفردا في مكانه ،رغم ان التصور الانثروبولوجي يأخذ الحالات الأربعة له (الانسان، الواقع، الزمان، والحركة).

ولكننا سنحاول تفسير رجع الصدى من قبيل البرهنة على ما يصادقه المشارك في الحضرة من رؤى هي احكام ينظر اليها انها واردة مقدسة لا يمكن الاستهزاء بها تأخذ بعين الاعتبار التطابق بين الواقع والمعنى، لأنه في الأخير تكون الاستجابة (رجع الصدى) هي تعبير عن واقع اوصله اليه سياق الرسالة، وكلما كان هذا السياق واضحا وذا بعد" سنتاكسي" تحقق التعبير في صورته الشكلية لمعنى مقدس اتفق عليه الناس، إلا اذا كان ما ورائيا عندئذ يعجز التعبيرعن استدراك المعني ويقضي هذا الامر الى عنصر "التجاوز" في التفكير يصير بطبعه محسوبا على عقلية الانسان في البحث عن اشباع.

فقراءة الاستجابة هي قراءة تأويلية[1] محضة يأخذ بها المشارك في الحضرة منطلقا ما سمع من دعائم (الاوراد بأنواعها) فهو يحقق في العلائق بين رموز اللغة المقدسة في كل ورد مع استجلاء الواقع الإنساني الذي يحياه الانسان في ماضيه العميق الذي قد يتناسى جزا منه يظهر له فجاة دون شعور منه، وقد ينشا في أحيان كثيرة عملية تغاض الطرف عن أشياء كانت ذات أهمية أو متشبع به إلى درجة كبيرة، إلا أنه سرعان ما تختفي تلك الشعلة من محبتها ليتحول إلى أشياء

[1]- محمد عبدو محجوب ، طرق البحث الانثروبولوجي النسق القرابي ، دار المعرفة الجامعية ، المغرب ، 1985 ، ص 10 .

عادية وكأنها لا توجد وربما يعود ذلك الى عدم وجود ما يستحق من عناء وشقاء والاحساس بالظلم والقهر واللاعدالة المتفشية بين الناس[1].

وعندما تتوزع هذه المنغصات بين قناعات الناس ولاسيما المشاركون في الحضرة يحدث له رد فعل (رجع صدى) بالبكاء او الصياح ،دون تردد وكأنهم قدموا إجابة فورية لذلك الوارد وعلى الرغم مما تحمل الإجابة (رجع الصدى) من معنى الا انه يكون قد تغذى من معرفة سابقة زادها الايمان بالدين تثبيتا بقياسات التأثر المفرغة لكل ما هو غير واقعي يحس صاحبه انه على خلاف الدين، وربما يعتقد ان هذا (الوصول الإدراكي) هو خبرة ايمانية لكن هناك قراءة موازية لمناقشة رجع الصدى الإيجابي والسلبي للمشارك في الحضرة، لان الاتصال تم داخليا وعبر مستويات معقدة وصعبة منها الاتصال الشخصي الإلهي والذي يعرف بالقرب والفناء والمحو والسحق.

تبنى هذه القراءة على سؤال جوهري ماذا تعني المقولات والكلمات المرددة (الأوراد) في الحضرة؟ ان الإجابة لا تقضي في الحال حكما مسبقا وانما تفصيلا لكثير من العناصر اشرنا اليها سابقا، خاصة لما ندرك ان تلك المقولات هي من افرازات الايمان والقول بخلافها باطل وغير ذي بال.

لو فكر الانسان في عقده منذ المنشا ما قدر له سواء كان على قدر مهم او غير مهم بوجهة نظر المثاقفة البشرية يدرك انه لم يخلق عبثا ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ بل جعل الله الحياة عطية ومنحة له داخل الكون يحيا بحدود ويشقى بالتحدي من خلال الوحي والرسالات وانوار الأنبياء والرسل،فكل امة مشحونة بطاقات انبيائهم ورسلهم، لأنه من غير الواقع ان يعيش الانسان العبثية والاجابة قررت في القران الكريم كما سلف ذكره في الآية القرآنية.

[1]- محمد مجد الهاشمي، التيليميديا ، دار النشر العالمية، القاهرة، سنة 2010، ص 180

لكن ماذا يتبقى للإنسان ان ادرك هو انه ذا قيمة، في كل الحالات ان استخدم عقله ووظف طريقه نحو الله المطلق المنزه عن كل وصف او تشبيه ونقول عنه في هذه الحالة مؤمن عليه ان يلجا الى عقله الذي وظفه الله في حجرة القلب ﴿ ولهم قلوب يعقلون بها ﴾.

والايمان ليس فرقا لما هو موجود بل هو تجميع طاقات للوصول الى القرب ،كأن ينتقل من حالته القائمة الى حالة التجاوز وهي ليست حالة ولادة كما يتوهم الوضع الحالي عندما ارتقت التكنولوجيا بالإنسان الى العنان،فصار انسانا جديدا وانما (الانسان واحد) قد يستطيع تجميع الطاقات ان ينشئ المستحيل وسيدنا محمد (ص) واحد بأخلاقه ومكانته منذ 14 قرن الى قيام الساعة، ولا إنسان بعده وهذا ما يفسر قطعا رمى كل رجع صدى.

2- الدوافع المختلفة وتفسيرها في الحضرة الصوفية:

سنقوم في هذا المبحث بتفسير أنثروبولوجية مختلف الدوافع المساهمة بقدر كبير في تنشيط الحضرة ضمن ثلاث مطالب تتناول الأركان الدافعية التي تخص مجال حركة الحضرة داخل الجماعة ويتعلق الامر بـ:

أ- الدوافع النفسية:

أثبت علم النفس ان الكائن البشري يمتلك خزانا من التدفق المعرفي، يصل اليه من محيط كبير تتنوع فيه المثيرات الاجتماعية المختلفة التي يؤدي به الى الإفصاح عن حاجياته التي صنفها ماسلو[1] في سلم الحاجات فبعدما كان الامل من اكبر الحاجات لم يعد كذلك في ظل التحولات الجديدة في العالم اذ تبدل حاجة الاكل الى النجاح ومنه الى السعادة لنصل الى السعادة الأبدية.

إن الانتقال من الوضعية الاجتماعية الى الذاتية النفسية ،هي مرحلة كبيرة أدت الى اكتشاف مشكلة تأثير الجهاز النفسي على الجسد ،وانا هنا لا استقصي الامراض المقبلة التي تحدث هستيريا تحويلية لدى الفرد بقدر ما أبحث عن تأثير الحالات النفسية التي عاشها او يعايشها المشارك في الحضرة واؤمن بما ذهب اليه كل Tv.uexkwi. wittkover كإضافة نمط الاتجاه[2] وبالتالي التوصل الى فرضية الجسم يؤدي الى وظيفة التعبير.

ما يجعلنا نصل الى ضبط الدوافع النفسية هو الإقرار إما بحساب الدوافع حسابا عدديا وهذا من الاستحالة لتنوع المشاركين في الحضرة ،الامر الذي يتركنا نعتمد على التسجيل السيكولوجي لاستعراض مختلف الدوافع التي تؤثر على الجسد انطلاقا من فكرة wittkover ، واما بناء الدوافع على أساس السخرية عن طريق المقابلة مع العينة التي يتم الإشارة اليه في الدراسة.

---

[1]- جعفر عبد الوهاب ، البنيوية بينت العلم والفلسفة عند ميشيل فوكو ، دار المعرفة 1978.

[2]- احمد بادر، المنهجية العامة، مطبعة البعث، بغداد سنة 1988 ص54

اذا اخذنا بمبدأأن كل الأشخاص مصابون بأمراض سيكوسومانية نتيجة للاجهاد في التفكير في معايشة امراض مختلفة (كالضغط، والسكر، والضعف الجنسي) يعني طلب الخلاص من هذه الامراض يشكل صراعا إضافيا الى الامراض المعروفة لديهم وبالتالي تصبح الدوافع النفسية مضاعفة على المريض (المشارك).

ورغم تقدم الدراسات النفسية الا ان الكائن لازال يختزن الكثير من علله، التي لا يرى بدا من الإفصاح بها الى اخر سوى الله وذلك باستعمال الرياضة الروحية المتمثلة في الاكثار من العبادات والصوم ومداومة الذكر وسنحاول ان نعطي امثلة عن هذه الامراض ، فالشخص الذي يولد بجهاز دوراني ضعيف قد يشعر بعداوة اتجاه اهله ولكنه لا يستطيع ان يستمر في كتمها، الشيء الذي يؤثر في كيميائية الجسم ويؤدي الى حدوث انقباض في الشرايين واصابة الاوعية الدموية[1]

إن هذا الشخص يلجأإلى الخلاص الصوفي بالدخول في الحضرة كإحدى اليات إزالة غبنه بالمرض عن طريق الاكثار من التسبيح ومجاهدة جسمه بالتغلب عن الأفكار الهدامة التي قد تطرأ عليه فجأة، فلربما قد يشفى صاحب الحالة بعد يقينه ما فعل إلا أنه سيتعرض مجددا الى احواله السقيمة لأن ذهنيته برمجها آليا تخرج منذرة له عند حدوث أول عارض، كلما شعر المشارك إن حالته النفسية ليست على ما يرام يتهيأإلي مباشرة رياضة روحية.

إذن تخلص انه كلما كان هناك شعورا غريبا عند الفرد، يشعره بيقضة مرضه الداخلي يهرع الى الاسراع في الدخول الى الحضرة بعدما يكون قد قضى اياما في التحضير من المجاهدات واستعمال الرياضات الروحية كالإكثار من النوافل وقراءة القران.

إن هذه الوضعية تبرز لقاء كفاءة الخلاص الصوفي، كان يتحول المريد او المهتم الى تابعي جديد من خلال الضغط المستمر للكبت والخنق المتواصل لديه، في محاولة لتحقيق التوازن.

[1]- صالح معاليم، محاضرات في الامراض النفسية، ...، 2008، الجزائر، ص 14

من بين الدوافع النفسية:

الإحساس بالمرض،الشعور بالضيقة،الكبت والحزن، أمراض الربو والضيق النفسيه ، فقد الامل، الفشل الاسري، موت الأعزاء،فقد الوالدين، الطرد من العمل، نتائج التحاليل الطبية (السيئة والجيدة)، القلق والصرع، الضعف الجنسي، مصادفات الحياة، الحساسية، الاضطرابات العقلية

لو نشخص كل الدوافع المذكورة أعلاه، نحرج الى استنتاج ان كل دافع وراءه مرض جسدي يخاف الكائن منه خوفا له علاقة بالموت ولم يأخذ معه من الحياة ما يعطيه الأمان يوم الحساب، فالقضية هنا تتمثل في تلك الدافعية على منظومة (الجسد المعتل) والاعتلال كمعنى للمرض ربما قد يأخذ من البشري وقته وزمنه الذي من المفروض ان يوظفه لنوال الجزاء يوم الحساب عندما يتذكر اثناء لحظة عبادة الانسان انه دونما محالة وصل الى نهاية العقد الأخير من عمره، لا يجد في جعبته أشياء خيرية قدمها للمحافظة على الحدود فيزداد لديه نشاط مضاعف للرهاب العصبي يفقد توازنه وهو ما يسمى بالربو الهستيري، فما هو هذا النوع العصبي؟

الربو الهستيري:

هو حالة نفسية معقدة يحدث عندما يفقد المريض توازنه باستقبال شحنات قوية طاقة تركيب صور مختلفة في ذاكرته مضاف اليها حساسية المرض واعتبرها (فرويد) نتيجة من نتائج قساوة المرض وخاصة لما تتزايد مع استمرار "التهالك" وقد استنتج weiss[1]استنتاجا جيدا عندما قال ان الربو يكمن في الخوف من الانفصال عن الام يمكن مطابقته على المشارك في الحضرة تصيبه (هستيريا) هي دون شك ناتجة عن شعوره بالانفصال عن كينونته او ديزان كما عبر عنه مارتن هايدغر أولا وشعوره بالابتعاد عن علاقته بالله.يمكن أن الإحساس بالبعد قد شعر به (المشارك) قبل ان يدخل الحضرة وكان يكتمه في نفسه كما ذكرنا لأنه يعي جيدا ان امر الانفصال يعلمه الله

[1]- الثقافة النفسية، العدد42 ابريل 2000

وحده ولهذا يجبذ ان يكتمه ويحكيه لمولاه، فالأمر مهيا قبل دخول الحضرة، أي انه كان يحمل في نفسه الوانا من الامراض الساكنة ذات البيات، ولما يتقدم عليها الزمن تنغصه من حين لآخر، "كحالة الاغماء" او ظهور بثور في مناطق حساسة من جسده تجعله يبحث عن طاقة اوكسجين تعطيه الامل في مواصلة الحياة ولو لحظات وكانه يدرك انه لو أضيفت له ساعة على اجله يتخلص من مرضه ما معنى هذا؟ هل يعود الامر الى رغبة مادية في طلب الارتقاء او الرجاء لأنه يدرك ان ما أنقص من عمره من سنوات طويلة لا يعاد لها ساعة إضافة ولكن ربما أراد ان يقول شيئا، ولما علم الله ان ذلك لن يزيد شيئا ربط نهاية الاجل ربطا لا جوازيا.

ثبت بالتجربة عند علماء النفس ان تفريغ الخوف هو الجرعة الشافية لكثير من الامراض النفسية التي غيرت وتغير مجرى الانسان، كما ان الركون الى معرفة الله بالمحاضرة والمكاشفة والمشاهدة، يدخل في باب تفريغ الخوف لأنه الله يثبت القلب بالقول الثابت في الحياة الدنيا.

ب- الدوافع الايمانية:

قال احد المتصوفة وهو سهل بن عبد الله التستري في "شرح الإيمان" ان ينظر المؤمنون الى الله تعالى بالإبصار من غير "إحاطة" و "لا إدراك نهاية"، وقال أبو بكر الشيلي. الله هو الواحد المعروف قبل الحدود وقبل الحروف سبحانه لا احد لا ذاته ولا حروف لكلامه.

من خلال القولين السابقين نستنتج ان الايمان بالله هو قوة (اعتقاد) بالتواجد والاحداث لما هو موجود وبقبول ما احدث فينا لأنه هو وضعه وبخضوع لما امر به غير مدبرين، عنده المقاليد والاسرار، ولا يملكها الا هو.

ان العمل بدرجة الايمان لا يعد سهلا للفهم عند الذين اصابتهم قناعة الوجه الذي يفهمه العامي فهو يدرك اصل الايمان بالله، كيف تتجلى له صفات العظمة الخلقية فيقذف في نفسه قوة التصديق بالوجود الإلهي.

كثيرا ما يحمل المشارك في ذاته محاولة للتعبير عن درجة ايمانه بالله على أساس الوجود المقدس لله في الكون وانه هو الحاكم فيه والمستمر للأشياء فيه من اجل الانسان ومن كثرة انشغالاته لا يجد الوقت الكافي ولا المساحة الزمانية للتعبير عما يجعله فعلا يدرك ان الله موجود، فيهرع الى مواضيع شتى او ما تسميه بالعبادات يكثر منها (صيام ونوافل وتسبيحات) اعتقادا منه انه سوف يتقرب الى الله وهو لا يريد ان يسال في قرار نفسه كيف يكون الايمان بالله؟

ان الجواب سيأخذ أكثر من منحى أوله يقرب من حديث الدعاة، بان الايمان هو تصديق القلب لما قاله المولى تعالى في الفرقان، او بان الايمان هو التصديق باليوم الاخر، ومهما كانت الصفات المقدسية التي خلقها الله من الواجب التصديق بها، فكثير من العلماء ادخل التقنية بالتحرر بطاعة الله من عقوبته، او كما قال النصر ابادي ان يتقي العبد ما سواه وأضاف سهل قوله من أراد ان تصبح له التقوى فليترك الذنوب كلها.

يتقدم المشارك في الحضرة بدرجة البحث عن (التقوى) بعرض نفسه جماعيا امام الله، ليؤكد انه مؤمن به وعندما ينهي اشغاله يزداد مراءا وكان الايمان لما يستقر منه لهذا المشرع لاحقا في ذم الحضرة بانها طقس متجاور لا فائدة منه ويقيس بقاء حاله على ما هو.

وربما يتساءل اخرون ان الايمان هو الدافع القوي للمضي في التصديق بان الله موجود وهو صاحب ما يوجد، وهي كيفية موجودة، غير ان الاعتقاد فيها يبقى صعبا عند الكثير، من البسطاء الذين يؤمنون بالسطحية معتبرين تجاور ذلك من قبيل الكف.

فلذلك نرى انهم المقبلين على المشاركة في الحضرة وتتخللهم في ذلك محبة الله ورسوله في نفوسهم ومن كثرة ابتهالاتهم يمتصون نورا من الذكر الحكيم قال تعالى: ﴿**وللدار الاخرة خير للذين يتقون أفلا يعقلون**﴾فهم يحبون بشوق كبير لله وللرسول مركزين على ما سمعوه

عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتب والموسوعات وعلى ما وصفه الله به نفسه، فمنذ أربعة عشر قرنا يتفاوت الناس في درجة التقوى، من عاصروا النبي دون شك هم اهل التقوى والمغفرة.

بحكم قربهم من النور المحمدي، وهناك من يقنع بالنور المجدي فلما يصل على النبي يحس بالارتقاء الايماني باحثا عن أي شيء يوصله بمحمد صلة الله عليه وسلم بالصلاة عليه العامرة او بزيارته في الروضة المباركة او المشاركة في الحضرة، لا يكفي هذا الامر هنا بالنسبة الى التقوى ، هناك سلوكات اعدها الباحثون من قبيل التقوى، فقد أورد القشيري في رسالة حكاية حصلت ليزيد البسطامي انه غسل ثوبه في الصحراء وكان معه صاحب فقال له صاحبه نعلق الثوب في جدار الكرم قال لا نغرز الوتد في جدار الناس فقال نعلقه على الشجر .

قال انه يكره الاغصان قال نبسطه على العشب قال انه علف الدواب لا تستره عنها ، فولى ظهره على الشمس والقميص على ظهره حتى جف جانبه منه ثم قلبه حتى جف الجانب الاخر، هي إشارات تعكس درجة الايمان،اذا كان المشارك يمضي في حياته باتباع عناصر التقوى على حد ما فعل البسطامي، سيواجه دورب كلها غفران من الله وتسعده بالشعور الدائم بالراحة والطمأنينة عندما يحس بدنو نفسه الى مجانبة نور الحضرة المحمدية وهي مجانية لا يحق لها الا الراسخون في العلم، فهو بذا يكون قد امن بالله وتجدر الايمان في ابسط الأشياء في حياته.

حكي عن أبي زيد انه اشترى بهمذان حب العصفر وهو نبات زراعي، ففضل منه شيئا فلم رجع الى بسطام رأى فيه نملتين فرجع الى همذان ووضع النملتين فلو طرحنا سؤالا لماذا ارجع النملتين؟ يكون المرور هو تمكن التقوى منه اشد ركائز الإجابة على السؤال، فرحلة البحث عن الايمان هي من تقود المشاركين في الحضرة الى دخولها معبرين عما يختلجهم من محاسن القرب الى الله تعالى ولكنهم يبقون عن ادراك الاعتقاد الإيماني بعيدين فهم يدركون ان الانسان خلق من ماء حقير، وآيات الخلق كثيرة بادية في نفسه ظاهرة للعيان ولكن لا يريد له ان يصدق؟ او يؤمن وكانه بينه وبينها حائط صلب، فعندما ترى المشارك يكثر من الهيللة والتسبيح وصفاء وجهه اصبح باديا

اكثر من لبق الحليب تحس انه نال الثواب والاذن بالدخول في عالم الغمرةحيث تتهاوى تلك الذنوب من لحظتها.

فان فعل الفاحشة فهو يدرك ان الاستغفار هو سيد المحو لهذا الذنب لقوله تعالى:

﴿ والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم استغفروا لذنوبهم . . . . ﴾

ويلاحظ تأثره الانفعالي بعدد تكرار الاستغفار وكانه يحفر على السطح ذنب الفحش حتى ينمحى من أصله وكلما تباكى أو بكى فهو يؤمن بان الله معه وقد سئل الجيلي عن "المعية" قال هي ان تكون مع الله بقلبك فالدافعية الايمانية هي من اثبتت امامه محبة الحضرة ومن هنا يمكن تصديق العقل والجوارح لوجود الايمان بالله كإحساس يقود الى لمس مادي،عندما يرى آيات للمؤمنين على سطح الأرض وضعها الله للناس من أجل إثبات القدرة قال الامام الغزالي[1]انظر الى العظام وهي اجسام صلبة قوية كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلها قواما للبدن وعماد له ثم قدرها بمقادير مختلفة.فمنه صغير وكبير طويل و....

فكلما وصل المؤمن إلى مرحلة الإشراق أدرك أنه أمام ربه تزداد تهليلاته تواترا ليس أثناء الحضرة فقط بل قد يتعداها إلى خارج أوقاته فتصير معه لا تبارحه البتة.

ج- الدوافع الاتصالية:

يمارس المشارك في الحضرة عملية "اتصال شخصي" بينه وبين الاله داخل الذات فهو يتعاطى مختلف الرسائل الإعلامية التي يراها مناسبة للطرح، لان وصوله الى ذروة التعلق والشوق .

يشرع في صياغة رسائل اتصالية يريد بها تبليغ رغبة عند الشارع لإيمانه بأن الله قال: ﴿ قل لعبادي إني قريب أجيب دعوة الدّاعي إذا دعاني ﴾من باب طلب الدعوة يعني ان

[1]- محمد جمال الدين ....، موعظة المؤمنين، دار النفائس، بيروت، 1981، ص 460

لديه رغبة اكيدة وجامحة يريد ان يصيغها ويقدمها بطقس عبادي ويعتقد جازما في ذاته انها ستصل الى ربه في حال دخوله الى حضرة القرب ثم يبين التسبيحة الأخرى يدعو بها في شكل اتصال شخصي .

وهو في نفس الوقت يجري على لسانه ذكر الأوراد أو الاستغفار فقد يطلب من الله اعطاءه الذرية، مهموم بطلبه من قبل الصلاة وعندما يستمع الى السماع الصوفي وتسبيحات الصوت للذكر، يصاب بحالة نفسية ينتظر من خلالها أنه أصبح مقربا إلى الله ولا منزوحةفي طرح ما يريد من أدعية أو كأنه يتصور تحقيقها عاجلا ظنا أن طيفا يكون قد أخبره بتحصيلها وهو ما ينعته برجع الصدى الفاصل داخل محيط عقله.

ينشأ متلقي يطمئن وقد يراه بالصورة أو يتوهم له بأنه راه وأنه تذكر ما قال له بأمر الشفاء من السقم الذي دعى ربه بان يشفيه منه فلو تمعنا هذه الحقيقة ونحاول ان نطبق عليها مقاربة أنثروبولوجية تستدعي منا تأكيد مفهوم الخطاب الإعلامي المستعمل من قبل المشارك في الحضرة نجد أننا بصدد تعيين دوره اتصال (مرسل+ مستقبل+ رسالة+ رجع الصدى).

والأمر هنا يتعلق بقراءة نص دعوة فاذا دعي المشارك بدعوة تتمثل في طلب رزقه بالذرية الصالحة تأخذه العزة الايمانية بأن الله سيرزقه من حيث لا يحتسب فهو ظن ان دعوته ذات بعد إعلامي في التبليغ، قد لحقت الى العلي وانه سوف يستجيب لها في أي وقت.

ان ما يصدر منه هو تأكيد لدورة اتصال تنغرس فيها مع ما نسميه بالدافع والمقصود به اثارة جسدية سرعان ما تؤدي الى إزالة حالة التوتر الى مبدا الثبات وسوف يضرب مثالا حيويا داخل الحضرة لتسبيح توفر الدافع الاتصالي.

إن أقرب شيء لدى المشارك يؤكد له نيه الدخول في الحضرة هو "استمتاعه بمنظر الجماعة" متفيأ في وجوههم يرى انوارا متعددة يقيسها حسب معرفته الثقافية للنور الساطع بفعل العبادة، ولعل ما يسبقه امامه طريقة اتصال المتنورين بالله، فهم يجلسون في صلواتهم متأدبين في جلوسهم يتخيلون

قبل بدا اذكارهم انهم موجودون امامه وهو يراهم في قلوبهم الواسعة، يرونهم في آياته المبهرة في الخلق ويستمرون في ذلك حتى تتمكن امامهم صورة الحضور.

هذا التعين الكمي من التحضيرات النفسية هي المعروفة بلغة الإعلام يتوفر المعرفة السابقة للمرسل قبل صياغة الرسالة، واذا عدمت هذه المعرفة فان الرسالة "تحرج" بدون معني او متذبذبة وفي بعض الأحيان غير مفهومة، اذا ما تأكدت صفة الحضور بفعل البكاء او الصراخ يبدا المريد والمشارك في ارسال رسالة "الاستغفار" ومفادها إسم الجلالة .

وهنا الرسالة هي مجسم يراد به التعبير عن نية "المشارك" فهو لا يكاد يسمع استجابة صوتية وانما هي عبارة عن بريد رسالة تفسر معناها تلك التصورات المنغرسة في نفسه قبل الدخول، فليس يعني انه عندما يكرر لفظ الجلالة انها تحدث الاستجابة فالأمر هنا ليس مقاربة سؤالية في شكل "سؤال" فلفظ الجلالة هي تأدب فضيل مع الله لعله يسمعه ان كان من المرضيين من غير الدين انساهم انفسهم ومهما كانت طريقة التكرار متعبة عقليا فإنها تدخل ضمن محاولة توصيل الرسالة المسفرة داخل الذات الباطنية، وبعدها يهدا من انفعاله يتأدب ويخاطب ربه باسم الجلالة فلعل خضوعه وذله وحبه لله دون ان يفصح ذلك جهرا لكي لا يقطع دابر الوصل لرفقائه في الحضرة، ثم ينتقل من باطنه الى علنه ويلحق بصف المستغفرين فرحا .بنشوة الطلب، معظما لصفات جلاله.

فلو نظرنا الى دورة الاتصال فمن أولها الى اخرها محكمة بالدافعية الاتصالية فكل اعمالنا الطيبة الحسنة هي نسخة تعبيرية عما نريده فعلا.

د- الدوافع الميتافيزيقية

يعرف علم البراسيكولوجية[1] على انها علم الخارقية التي يتناول اعلى مستويات الصناعة العقلية.عندما تتجاوز النفس البشرية حاجز المكان والزمان، ولنأخذ مثالا من الزمن الجميل للتصوف عندما كان "سارية بن زنيم" يقاتل في نهاوند في بلاد فارس فاذا بعمر بن الخطاب ينادي

اثناء الدرس "يا سارية الجبل من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم، فالتفت الناس اليه وقالوا له ما هذا الكلام، فقال والله ما لقيت له بال شيء اتى به على بالي ولما قدم سارية، شرح للناس نداء عمر الذي لولاه لما انتصر سارية.

من خلال هذا المثل التاريخي يتبين امر الخارقية التي اتى به عمر وامثاله من صحابة رسول الله، إن البراسيكولوجية تعني ما وراء علم النفس تحاول ان نصل بالإنسان الى اعلى مستويات العقلية الإنسانية، اذ باستطاعة البشري الموهوب ان يعرف جزء من المستقبل بكلمات بسيطة ليس لها دخل في علم الغيب وفقا لقوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الأفاق وفيأنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾.

يدرك المشارك في نفسه من خلال ما سمع او قرا او استدرك ان امر الخارقية في الحضرة شيء طبيعي في الانسان الذي يصل الى مقام كالإحسان الذي هو اعلى المقامات والمعبر عنه بمعرفة الله كأنك تراه وبهذا استعمل المؤمن كل الطرق الايمانية كالإخلاص والاستقامة وتزكية الباطن وتهذيب الاخلاق والصلاة الدائمة.

وكان افضلهم الأوائل الذين استفادوا من صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم للوصول الى الرضا التي كما يعلم الخلق ان جسده الطاهر كان نورا مشعا حقيقة لا مجازا كما يتبادر للبعض، حتى وان الذي لم يتمكن من مرافقته كان جسده يشع ظلمة وسطوع الليالي والأيام.

امن الناس ان نوره دائم وهو ما ترجمه الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث عندما سأله أصحابه عن سبب بكائه فقال ابكي على أحباء لم يروني ويحبونني، وبهذا أجل الرسول صلى الله عليه وسلم مزية الله عليه بالشفاعة لأمته،من بعده يدرك الكثير ان مغفرة الله واسعة من خلال فتحه أبواب التوبة الى اخر الرمق، فاستلذ المسلم هذا الفضل الإلهي الذي لا نظير له حتى اصبحنا نؤمن أننا داخلون الجنة جميعا.

كل هذا بفضل النور الرباني الساطع محمد وساد من عظمته بقوله من راني في المنام فقد راني حقا لان الشيطان لا يتمثل به وقد شهدنا في المراحل السابقة للتاريخ الإسلامي بعضا من المأثر كبطولات الصوفي عبد القادر الجيلالي وسيدي احمد البخاري وقبلهن سيدي عبد السلام بن مشيش فهم وصلوا بالمنزلة او التشريف بل بالمجاهدة والاختصاص الرباني كما اختار ربنا رسله من أقوام بائدة نعلمها أو لا نعلمها .

فهم في نظرنا كانت عبادتهم على أمر الخارقية التي نحن دائما نود اللحاق بها وهنا خطا وحكما سافرا على النفس التي نسعى الى العبادة ربما اذا اريد لها ذلك فيمكن لنا ان نكون كحاتم الاصم الذي كان يحارب دون خوف ولا فزع كان كيانه كله في ثقة من الله،

وبما أخذوه أسيرا وطرحوه أرضا وصف نفسه قائلا لم يشتغل به قلبي بل كنت أنظر إلى ماذا بحكم الله تعالى في هو يطلب سكينا الذي يذبح به أصابه سهم فقتله فهمت معاقا وعاود المعركة من جديد، عند الكثير من المنشغلين هي أمور خارقية تحدث للأجلاء منا ونحن سواسية عند الله لا تفرقنا الا التقوى.قد يكون ذلك المشارك البسيط على قدر كبير من التقوى وصفاء علاقته بربه فقد يصل الى الكشف وهو معتقد بقوة علاقته مع ربه فيما قام به من العبادات والمعاملات الصوفية مع اقرانه ، كل ذلك لديه بعين اليقين مثبت امامه بالصورة[1].

يعتقد جازما بأمر الخارقية كان يدعو الله في الحضرة فيستجيب له من هنا كان امر الدافعية الخارقية مثبت في ثقافة المشارك في الحضرة ونظن ان هذا التثبيت له علاقة (باليقين) الذي استعمله المشارك كوسيلة مع الله، لأنه امن بان الله وجه النداء لعباده العاملين في العبادة.

[1]– عبد الحليم محمود، قضية التصوف، دار الكتب الحديثة، مطبعة حسان، القاهرة، ص 52

هـ-الدوافع الروحية :

عندما يدخل المتحضرن في الحضرة يحدث له عدة سلوكات ظاهرية يتعلق بالجسد ثم سلوكات باطنية تنعكس من خلال التصرفات اللاإرادية التي تحدث دوما مع مزيج من الامراض النفسية المصاحبة للكائن،منذ بداية تكونه على وجه الأرض وهي تصرفات تصدر في شكل أفعال غير مسيطر عليها تعرف من ظاهرها الشكلي ، بانها ذات علاقة بالدين شكلت لناظريها ظواهر شاذة وآخرون اعتبروها من قبيل التعلق بالدين وبالعبادة على وجه العموم.

ولهذا دعاهم الاوائل بمتصوفي الاخلاق ومنها استمدت تسمية التصوف بالخلق على حد ما ذهب اليه ابن القيم وأشار اليه أبو الحسن النوري (ت 562هـ) بقوله: "ليس التصوف رسما ولا علما ولكنه خلق لأنه لو كان رسما يحصل بالمجاهدة ولو كان علما يحصل بالتعلم ولكنه تخلف باختلاف الله" ومهما قيل عن التصوف من تعاريف تقارن الألف[1]

إلا أننا لا يمكن استثناء الزهد والعبادة فلقد اشتهر أناسا بالعبادة وليسوا بصوفية وقد حاول ابن سينا ان يجعل بينهما نقاطا للتفرقة بقوله".. ان لمعرض عن متاع الدنيا وطيباتها يخص باسم الزاهد والمواطن على فعل العبادات من القيام والصيام ونحوها يخص باسم العابد والمتصوف بفكره الى قدس الجبروت مستديما لشروق نور الحق في سره يخص باسم العارف.

ولو اتخذنا مما ذكره الباحثون حول جوانب التصوف منهما للاتباع بغرض توضيح التفرقة نكون قد خرجنا عن الجانب الموضوعي في الحركة الجذبية المراد دراستها على أساس استقراء مصدر نشأتها وهو العنصر الخفي في الدراسة كلها ما دام الأمر له رابطة مستديمة مع معايشة الذكر مع الأعضاء الإنسانية المكلفة شرعا بمصاحبة البشرى، مما نحس ان الامر قد تشاكل لو لم نوضح علاقة الذكر بالنفس ولا جرم قبل الشروع في تفسير هاته العلاقة نذكر مفهوم النفس.

[1]- صابر طعيمة، التصوف والتفلسف، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2005

تعتبر النفس "جوهر" او تمثيل بناء مدلولي يخص معنى لمفهوم الإنساني، فاذا كان الانسان شكلا خارجا يمثل بالبدن القويم الذي ذكر المولى تفاصيله، ان النفس هي نوع الحركة المخضعة الاهيا لمرافقة البدن ومصاحبته فأساس تعريف النفس لا يكتمل الا في ظل ثنائية المبنى (انسان ونفس) اكدها ابن سينا في كتاب الشفاء بقوله: "لا يمكن ان يوجد جسم دون نفس ولكن يمكن ان توجد نفس دون جسم ويعطي دليلا واقعيا عند مغادرتها للجسم يتحول الجسم الى كائن صلب اشبه بالشبح وميزتها الارتقاء العلوي مما يعطي لها صفة الروحانية، وما نريد ان نرسخه كعنصر يربطنا بعناصر الجذب في الحضرة.

لأننا نعتقد إيمانيا بسفر النفس على امل الارتقاء الى الرفيق الأعلى، ليس فقط عن طريق الوفاة بل أيضا في حالة التسبيح بالمعرفة الروحانية يحدث لها الارتقاء الامر الذي يساعدنا على طرق عناصر أخرى للجذب على غرار الإحساس والشعور وكلاهما يختلفان عن النفس هذا اذا اعتبرنا انهما سلوكان يستدل بهما لتعريف الأشياء الخارجية وليست الذاتية.

- **علاقة النفس بالذكر:**

يجب أن نعرف الذكر المراد تخصيصه لفهم عناصر الجذب هو كل نص يحتوي على معنى يتم فيه الترقي إلى فصل الكمال الإلهي والمقصود به اصطلاحا كل الملفوظات اللغوية (من أوراد، أناشيد، وآيات وأحاديث) .

فالنفس يتعرف عليها من خلال الحركات التي اشرنا اليها في البداية انها السلوكات وهي مثبتة سيميولوجيا لميلاد (أداة القوة الفاعلة) التي هي مصدر الاستدلال الإشارة على وجود النفس،محولة الى (حركة ذات معنى) ذلك هو الجسم ان للنفس حياة ومراحل (تقوى) تتجدد فيها الحركة نحو مضاعفة ضغط القوى لان في الأصل ان النفس لا تشيخ بل الجسد هو الذي يكبر ويشيخ فالإنسان في عقده الثالث (الكهولة) تكون نفسه (هي هي) من رافقته منذ تلك الفترة مفعمة

بحركة الشباب فقد كتب لها خلود المرافقة والسمو الى الأعلى عكس البدن المعرض للفناء المادي عندما تتخلل عناصره ويعود الى تركيبته الاصلية للمواد المكونة للتربة.

إن القصص الصوفي يحدث أثرا متمكنا من النفس البشري خاصة لما يتعلق الأمر بمعاناة أهالي الفكر والتصوف وشذوذه عن قاعدة العوام من النفس ،ربما هو التميز والتفرد من جعلا إحساس العامة يتجدد بحب هؤلاء الى درجة الغنوصية ويزداد اعجابهم كلما التقى بهم في حلقات الحضرة، ولعل ما يميز علاقة النفس بالذكر هو اتصافها لمجموعة من المحررات التي تجعلها تذوب هي الأخرى في اكثر من مرة. منها: الصدق في القول والزهد عن ما في ايدي الناس ثم الصبر والخشوع والتوكل على الله وهي من الصفات التي اسالت الكثير من الحبر لبلوغ درجات التصوف التي عرفها المغرب، منها المجاهدة والمراقبة والذكر كترديد اسم الله وقراءة بعض الاوراد وتوجيه القلب نحو اللهومما يتراءى أن الأخذ بالقراءة يوصل إلى الله فهذا لا يتجلى منذ الوهلة الأولى لأن القراءة لها علاقة بسيكولوجية مع محتويات المعرفة المكتسبة فقد يقرا الانسان قصة سليمان من الكتب الوصفية بخلاف كيفية تناوله في سورة القصص كلاهما يمثلان حالات للتأويل والأقرب إلى إدراكها من يعايش المعارف ذات العلاقة بالصبر والصدق والعلم.

بمجرد مايستقبل المتحضرن (إسم الجلالة) وهو يعذب بدنه الذي يلفه محسسا نفسه على مجاراتها تنمحي من امامه كل صور الغيرية وما يصبح مدركا الا لصور غيبية قد يظن من خلالها الداخل في الحضرة انه على أهبة الفناء والذوبان في الصرع المعرفي من خلال محاولة ادراكه لكينونة الله ويتعاظم هذا الحال بالاستغراق والديمومة والاعتقاد في عطايا المولى تعالى لأصحاب الوجه من كرامات واشعارات تعود إلى ميزات الأسرار الخاصة.

ان "الجذب" يقترن بالغياب التام او الجزئي للنفس يغيب فيها القلب عن ما يحيط بالنفس من اعمال فلا يدركها بفقده لحساسية وشعور متقطع بالسرور وهذا الغياب يتم لانشغال العبد بالله وبنوره الفياض،من خلال النظر في تنوع المصطلح بين (الجذبة، والجاذبية) يستطيع كل

مستقرئ للملفوظ أن يبني تعريفا شاملا لمعنى الجذب وكل يصنف ما يشاء حسب مدركاته الصوفية في باب الجذب الذي تحدث عنه الكثير من المتصوفة كالقشاني وابن عجيبة والدريني. وغيرهم كثير، حيث ادلى هؤلاء بشروحات وافية له قال ابن عربي ان القلب اذا تخلص وصفا وارتقى من المنازل ما ذكرناه ومن التجليات ما تقدم يوقفه الحق تعالى في غيبة ويجذبه اليه جذبا كليا.

يوقفنا هذا التعريف الذي اخذه به ابن عربي الى الإشارة الى نوعين من المجاذيب او لهما ذلك السالك الذي يغيب تعلقا بالله تعالى، ثم المجذوب السالك الذي يتولى الله امره يعرفه الله به دون تكلفة.

الفصل الرابع:

المناهج الأنثروبولوجية الغربية والإسلامية

1- الانشغالات الانسانية عند ابن تيمية و ابن سينا

2- الانشغالات الانسانية عند رابعة العدوية وطه عبد الرحمن

3- المناهج الانثروبولوجية الغربية

يؤخذ (بالنية) كدليل من أجل إقرار الاعتقاد اسماها طه عبد الرحمان بقاعدة التنظيم[1] ولا يبدأ الاشتغال الا بعقد النية أولايتغير أمر الا بذكر البسملة (ونركز على الباء) في تحليلنا للحضرة الصوفية ضمن الوصول الى الطاعة و تقويتها ، مما تقدم يظهر ان اعطاء الحضرة الصوفية اهمية في الفكر الاسلامي يعود الى (ثنائية تواجد الحسم والروح) بمساعدة العقل كمحور تفكير ومن له احقية الانتقال الى عالم اخر؟ هل الجسم هو القادر على تجاوز العالم المرئي؟ الذي يساعده عليه العقل كمحور تفكير، اما ان الروح المتصفة بالعروج الى الملا الاعلى بالقادرة على ذلك دون الجسم الذي اواها حقبا من الزمن ؟

وغرضنا في هذا الفصل هو ان نبين نظرية المنهج الاسلامي في النظر الى الحضرة او مجالس الذكر بوجود التأدب مع الله رجعنا الى اتصاف ممارسة الحضرة بحقائق التأدب لكي لا يكون هناك سوء ظن بالمشارك المعتدل في الحضرة .

عملت المناهج الغربية الأنتربولوجية التي ظهرت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، على تجاهل وحي السماء ، لهذا سنحاول أن نجد المقاربات بين شكل "الحضرة"وما يجري فيها على أساس أنها (تجمع روحي ظهر مثيلا له في مجتمعات الانوشيما[2]، مراعين في ذلك الجانب العلمي والنفسي سنأخذ بتحليل العلاقة بين الأسلوب في الطرح و التمييز داخل المجتمع فقد .ذهب الانثرولوجيون الغربيون الى اخضاع السلوكيات والعادات الى دراسات اثنوغرافية ،كان الأجدر أن يتابعوا "قياس القول" قبل الفعل باعتبار الكلام لغة لها مؤسسة فينولوجية مترابطة داخلية، هذه القاعدة الصوتية و الفكرية مترابطة و متلازمة تلازما بيولوجيا.

سندرس مجتمعنا الإسلامي بحاجياته على أنها حاجات كائنة في خلق الانسان، ولاسيما الخير منه،أما ماهو شر فمن نفسه ، و لهذا أوجب له الجزاء برمته ، لا وجود لمخلوق خلق على وجه

[1]– طه عبدالرحمان، العمل الديني وتجديد العقل، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1984، ص25

[2]– موسى معيرش، مدخل في الانتربولوجيا العامة، دار كتاب الجيب، الجزائر، 2017، ص5

الأرض وفي غيرها دون اعتبار قال تعالى: ﴿أتحسبون أنما خلقناكم عبثا ولكن إلينا ترجعون﴾ وقال المولى عز وعلا :﴿لقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون﴾[1].

إن تغير الانسان من حين لآخر ناتج عن سوء تقديره وخلطه بين الحق والباطل. واجتياه بنعم لا يقدر العقل على وصفها، حتى أوصلهم إلى الإقرار بروبيته قال تعالى :﴿لإن سألتمن خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لايعلمون﴾ ...207 .

[1]- عمر عبدالجبار، سيروتراجم علماء القرن العاشر، جدة، الرياض، ط3، 1982، ص58

1-الارهاصات الانتربولوجية في المدرسة الاسلامية (ابن تيمية وابن سينا)

ان معرفة الخالق في الفطرة أثبت أقوى، اذا كان العبد ملزوم وجوده وحاجته معلقة به سبحانه وتعالى، بل كل ما يخطر بقلب العبد و يريده فهو ملزوم له و خواطر العباد لا نهاية لها، وانتقال الذهن من الملزوم الى اللازم لا يتحصر بل إقرار القلوب به لا يحتاج الى وسط أو الطريق، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها منظورة على الإقرار بغيره من الموجودات."[1] والفطرة التي فطر عليه الفرد تدرك بأيقونة. واحدة تتمثل في تأكده من بلوغ المرتبة العليا للدنو إلى القرب،لأنه هو صاحب الكون الذي فتح الطريق للمخلصين من أمته أفلم يقل لعباده أن تقرب إلي عبدي بشبر تقربت اليه بشبرين، فكنت بصره الذي يبصر به و يده التي يبطش بها.مثل ما قال ابن تيمية، غسر الفطرة بأعمال المجاهدة للتقرب الى الله .

وضع ابن تيمية الفطرة بقواعد الإسلام الذي تلزم المسلم لحب الله تعالى و رسوله، انطلاقامن جانب الذكر في الأماكن المقدسة التي فرضها الدين، لهذا سنأخذ مثال عن معرفة الله من الصغر نرى أنها كانت كامنة في الذات منذ ملايين السنين و تحملها جيناته الوراثية و نؤكد مما سبق أن الحضرة هي انفطار لمجموعة من النفوس الأدمية المسلمة التي تجاهد نفسها بكل ما أتيت من أتعاب وإرهاق عضليين، ينجم عن تكرار الأوراد أو الاذكار أو إسم الجلالة فلا يظن المنتظر إنما يضيع وقته لكون أسمائه نورانية وآياته نور، فإن لم يتب إلى الله متابا سترجع عليه.

يطلب المشارك في التجمع الغفران خاصة لما يعلم أن كل حسنة صغيرة ،كبيرة فعلها في حياته إلا وجدها مسجلة لذا نكون قد وضعنا جانب عدم القبول ،كحاله استثنائية أن هو عرف تبريراته بأنه يتوب في تلك اللحظة معاهدا بعدم العود ، فيؤجر أو قد يقبل منه في تلك اللحظة لأنه لا يعلم الغيب إذا حصل له وازع من الخارج كما سماعهم للقرآن يتأثرون كل على طريقته وهكذا حالهم في الحضرة وهم يسمون الأسماء الحسنى ، لأن النفس من طبعها ممتنة للنور الإلهي منذ القدم

[1]- سليم الهلالي. ابن تيمية المفترى عليه. المكتبة الاسلامية. عمان .1984 ص59

وإن عتت سرعان ما تعود فيها محاولة منها لإثبات أنها مغمورة سابقا بنعمة إشراقات الحضرة ، لأنه هو الذي جعله خليفته في الأرض، فكيف لا تتوق في آخر المطاف ويمكن أن نطالب ربما بالقصاص من جسد مركوبها ، فكيف لا تطالب و هي تتذكر قوله بنعمته عليها "وهو القاهر فوق عباده،ويرسل عليكم حفظه حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يعرضون"[1].

إذا انطلقنا من أن الدين صناعة إنسانية فإننا نجعل الأنثروبولوجيا الإسلامية تناقض المناهج الأوروبية الغربية ولا تعترف بها هذه الأخيرة ، لكونها تركز على رؤية مغالطة مفادهاالحركة العلمانية وتجسيد رؤياعدائية،كان قد قدمها الاستعمار الأوروبي للبلاد الإسلامية منذ .

ربما بظهر هذا الأمر معقدا للفهم اذا ما أخذنا الصورة العقلية للإنسان العادي و هو يعبر الى حضرة الإله .

ان هذا الأمر شيء صعب التصديق ، فالذي خلق الأدمي ، فضل واحدا من البشر هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، و جعل اسمه مقرونا به وسط كل الأمور الدنياوية ، له فان تم التصديق بأن بسيط مثلي كعضو في الحضره الالهية أن يبلغ مبلغ المنح للوصول ، قد يصدقه البعض عندما ينظرون الى قوله ﴿ يفعل الله ما يشاء ﴾أو قوله بالقدرة ﴿إنما أمره اذا أراد ربك أن يقول للشيء كن فيكون ﴾[2] و قد يرفض البعض الأمر برمته أنه لا يوجد انسان أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم ولا يمكن استخلافه في العناية الالهية بعنوان الرؤية الالهية.

إن نظرية ابن سينا في النفس تعد وسيلة اثتنوغرافية مهمة، ولعل أفضل مانبدأ به الاشتغال عليها هو ماذكره ابن تيمية فيه" ان ابن سينا تكلم في اشياء من الالهيات والنبوءات والمعاذ

[1]- سورة الرعد.61

[2]- سورة يس 82

والشرائع لم يتكلم فيها سلفه ولا وصلت اليه عقولهم ولا بلغتها علومهم" من هنا ننطلق في حضور النفس عنده حيث ظهر في ما ذكر من المصادر انه بدا العمل على النفس لما سمع ابوه واخاه، يتكلمون عنها فانطلق من كونها تقود الى معرفة الله اي انها طريق لبلوغ المرتبة الفريدة التي تعلو كل شيئ باعتباره مصدر السعادة الانسانية .

هنا هي تلك الحياة التي يحياها البدن بالعقل في مسارات عمرها المحدد سلفا من الشارع الحكيم وقد أكد ابن سينا أن معرفة الخالق من معرفة النفس أولا لقوله تعالى ﴿ **نسوا الله فأنساهم انفسهم** ﴾ ولا يمكن ان نحجب نظرة ابن سينا للنفس البشرية كرمز فلسفي له تأثير على صلاحية الجسم خاصة من الناحية البدنية وهو ماعمق إكمال دراساته حولها من قبل ما يصحح بنيته من خلال نظريته الطبية الفعالة للبقاء على صحة وسلامة الكائن الذي يحمل في جزئياته النفس والروح.

وهو ماجعل دراسته تنمو وتتطور حول الجسم، ربما يتسأل الباحثون عن سر اهتمامه بالبدن فبالنسبة له يعتبر الجسم هو حامل وناقل للروح والنفس ولكي تمارس الروح والنفس عملهما لابد لهم من جسم سليم ومعافى ،انتقل فيه التفكير ، لدراسة احتياجات الجسم للمقاومة من أغذية ومآكل كفيلة بتحقيق السعادة التي هي بالنسبة اليه شعور الكامن وراء النفس وهوما استشرى على تسميته بالميتافيزيقي، وليس ذلك غريبا عليه ،لأنه تأثر في بداية مشواره بفلاسفة الرومان واليونان، وعلى رأسهم أرسطو.

كان فكره الانتربوبوجي سباقا في تبين مراحل النفس المبنية على ثلاثية (النبات والحيوان والبشر) وهو ماضمنه في فكره الانتربولوجي البيولوجي ،وقد رتب كل ذلك في النفس التى هي قاعدة الإرواء الديني ، فمتى استقام حالها استقام النظر فيها محققة دورها المثالي في الارتقاء لدرجة طلب النوال من العلي القدير.

2-الانشغالات الانسانية عند رابعة العدوية و طه عبد الرحمن:

أ-الانشغال الروحي عند رابعة العدوية :

تعد رابعة العدوية أولى النساء اللواتي مارسن التصوف ودخلن في حضرات الاهية مثلها مثل " مثل آمنة بنت موسى الكاظم"، وآمنة الرملية،" وأم أحمد القابلة المصرية، وأم الربيع الزبيري، و"أم سطل، وخديجة بنت الحافظ جمال الدين البكري، ورابعة بنت إسماعيل، وزهراء الواهة، وست الملوك، وعائشة بنت عثمان النيسابوري، وفاطمة النيسابورية، وفاطمة العناء، وفاطمة بنت المثنى، وفاطمة بنت عباس، وفخرية بنت عثمان، ومريم بنت عبد الله، وميمونة السوداء . لم تترك كتبا لكنها خلفت لنا منهجا (عبادي جميلا في الدخول الى حضرات القرب، لهذا لجأت إلى استعمال مقاربة مع رواد من الفلسفة الألمانية[1] من حيث علاقتها بالعقل الخالص ونمطية التفكير أو ما يعرف بالفينومولوجيا، رسخت معيار الأخلاق في علاقتها مع ربها وربما سبقت الكثير من الفلاسفة والمفكرين، كان أعظم الفلاسفة الذين قاوموا الظلم وركزوا على الطهر قال: "الفضيلة تكمن في قول الصدق والحكم بالعدل وليس تقديم القرابين"، ومات سقراط فيلسوف اليونان في السجن بالسم، لأنه قال: العدل هو الأخلاق وليس الركوع وارتداء زي الأرباب.. وأبو العلاء المعرى أهمله التاريخ لأنه قال، الناس قسمان: قسم لهم دقون وليس لهم عقول، وقسم لهم عقول وليس لهم دقون واندثرت فلسفة «نوت» لأنها أوصت ابنتها «إيزيس» بأن تحكم بالعدل والرحمة كان ذلك في مصر القديمة عام 4988 قبل الميلاد[2].

ظهرت رابعة في القرن الثاني أحضرت حبها دفعة واحدة لإله يمكن إن يخلصها من المعصية التي ارتكبتها في المعازف، عنوة، كانت ذات يوم تسير وحيدة في طريق، لا أنيس لها ولا حارس. وكان ثمة رجل يسير خلفها، ويحدق فيها، ويضمر لها السوء. لمحته رابعة فأسرعت الخطى، بقدرنا

[1]- عبدالرحمان بدوي، الفلسفة الاسلامية، دار النهضة العربية، بيروت ، 1980 ص45

[2]- لبيب عبد الستار الحصارات دار المشرق بيروت .2003.مرجع سابق 150

وسعتها قدماها، وهدها التعب فوقعت على وجهها، وراحت تناجي ربها: "إلهي إنني غريبة يتيمة، أرسف في قيود الرق، لكن همي الكبير هو أن أعرف، أراضٍ أنت عني أم غير راض. وعندها سمعت هاتفاً يناديها من عنان السماء: لا تحزني ففي يوم الحساب يتطلع المقربون في السماء إليك ويحسدونك على ما ستكونين فيه. فلما سمعت هذا الصوت عادت إلى بيت سيدها وصارت تصوم وتقوم وتعبد ربها من دون أن تكف عن خدمة سيدها من البشر، متحملة أذاه واضطهاده وتعذيبه لها"[1]، حدثت لها شهود وآيات في هذه المرحلة، رأى والدها المعروف بتدينه واعتزازه بكرامته، وثقته في ربه، حلما يبشره بمباركة مولودة..جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا: "لا عليك إن هاته البنت التي ولدت ستكون "سيدة جليلة" وان سبعين ألف من أمتي يرجون شفاعتها، فاذهب من الغد إلى أمير البصرة وقل له إنك تصلي في كل ليلة 100 ركعة وفي ليلة الجمعة 400 ركعة ولكنك في يوم جمعتك الأخير نسيتني فقدم لهذا الشخص الذي يحمل إليك رسالة 400 دينار كفارة ليحط بها عنك سهو النسيان صباحا نفذ الوالد، ما رأى ولما أرسل الرسالة مع حاجب الأميرأمر له ب400دينارووزع ألفا على الفقراء،عاهدت رابعة نفسها منذ الصبا على ألا تقترن بأحد غير لله، "حبيبها وأنيسها وسلوتها" سألها الحسن البصري : هل ترغبين في النكاح؟ فقالت: إن عقد النكاح يجري على وجود. والوجود معدوم هنا، فإن نفسي أعدمتني الوجود وإنني وجدت به، وكليتي متعلقة به، وفي ظل حكمه.

قال لها الحسن: كيف تعرفين ذلك؟ فقالت: يا حسن أنت تعرفه بدليل، ونحن نعرفه بلا دليل. أحبك حبين، حب الهوى..وحباً لأنك أهل لذاكا، فأما الذي هو حب الهوى،فشغلي بذكرك عمن سواكا،وأما الذي أنت أهل له، فكشفك للحجب حتى أراكا، فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي، ولكن لك الحمد في ذا وذاك،وثمة بيتان من الشعر منسوبان لها أيضاً،

[1]– عبدالمنعم قنديل. رابعة العدوية.دار الشهاب الجزائر..بدونتاريخ ص..52

ارتوت رابعة من نظرية الفلسفة لأنها تكون قد سمعت عن فلسفة اليونان وعن حقائق العباد الحنيفين الذين تكلم عنهم بن هشام في السيرة وقرأت عن الحب الإلهي على لسان إتباع الرسول لكونها عاشت هذا الحب من خلال المتصوفة الأوائل كإبراهيم بن الأدهم وسفيان الثوري(ت161هـ)، والليث بن سعد (ت175هـ) .

– اتنوغرافية التفكير في وجود الله بين رابعة وهايدخر.

يقول هيدخر نصل إلى (التفكير)[1] عندما نفكر نحن أنفسنا...وباعتبارإن الإنسان عاقل، فهو حتما "خلق" لهذا بشرط إن «يريد التفكير"..فهل من العيب البشري فكرت رابعة بأنها تريد (حب ربها بطريقتها) تدرك أنها لاتصل إلى ذلك إلا فيما ترغب فيه لان الذي ترغب فيه منزه عن تصور العقل ،إذا كانت " رغبة التفكير" عند رابعة في " عشق إلاهي"،هي ليست "متأكدة " إنها ستصل إليه باعتبارها كائن بشري " العقل الخالص " لاتستطيع ذلك في "محل الاستطاعة "خاصة عندما يقول "هيدخر"(نحن نحفظه عندما لاندعه يفلت من الذاكرة)..

ذكر: هايدخر "لكي نستطيع أن نفكر يجب إن نتعلمه " وذلك بالعمل دون تأخير، ولهذا كانت رابعة تتعبد حيث سلمت نفسها..لكل شيئ يحميها من عصمة الإنسان، دون أن تتكلم كثيرا لأنها أدركت "لا الوقت ماكث ولا عمرها "كانت تسابق الزمن دائما تقول "انا أريد إن اعرف أنك عني راضي." سيطر "المفكر فيه "على كيانها..وصدقت قربها إليه مادام انه سابق لكل شي.

–علاقة التفكير عند رابعة من وجهة نظر نيتشه:

يقول" شلينج 1809 " أنه لايوجد خارج "نطاق المطاف" أو أعلاه أي وجود أخر سوى الإرادة.والإرادة هي "الوجود الأصلي" ومعها فقط تتناسل المحمولات الخاصة بالوجود الأصلي

[1]– اسامة الحاج..دلوز ونيتشه.المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.بيروت .الطبعةالاولى.1993.ص.70

العمق..الأبدية التحرر من الزمن الإثبات الذاتي..عندما تكلم شلينج عن نهاية المطاف المتباعد في الغور ،كأنه كان يجسد سلوك رابعة في محاولة بلوغها عشقا في نهاية المطاف..بعيدة عن الزمن مستأثر بالعمق وهو شهود الإتيان في التحقق عند المتصوفة..لقد سبقت رابعة هؤلاء وربما اخذوا عنها فكرة التوغل وأحجموا عن ذكر أفضالها على تفكيرهم .

-علاقة التفكير عند رابعة من وجهة نظر كانط:

أشار "كانط"[1]إلى إرادة العقل و" شوبنهاور" على تصور العالم كالارادة و"نيتشه" عرف الوجود ك"إرادة للقوة" إذ كون "وجود الموجود" يظهر في كل مكان وفي كل زمان."إن التنقيب في الوجود عند هؤلاء لا يتم إلا بالتفكير "فوجود الموجود" بالنسبة "للميتافيزيقيا المعاصرة "يظهر كإرادة..انطلقت رابعة من إرادة بشرية بلغت " طهر الفاضلة" فيما يقرب الله في خصوصيته المنزهة وارتقت ب"الأخلاق" إلى بلوغ حضرته بما هو" مأمول " إي "مفكر فيه "

بلغت ذروتها الى حد "الحب المسكر" بالمحبة الإلهية ، فتكونت لديها حالة فجائية نسميها "طهرالفضالة "وهي أقدس من الفضيلة والطهر،..

ب- طه عبدالرحمان:

ركز طه عبدالرحمان[2] على الرؤية الدينية والوظيفية العقلية خدمة لليقضة العقائدية التي نعتبرها درسا أنتربولوجيا زاد من قيمة العمل الذي وضعه أبي الريحان البيروني في كتابه بيان ما للعقل من مقولة مقبولة في الفعل أو مرذولة ، والذي يعتبره الفقهاء المسلمون أول مثقف يتكلم عن أنثروبولوجيا إسلامية .

[1]- محمد مهران .مقدمة في الفلسفة المعاصرة. دار قباء للنشر والتوزيع. القاهرة 2004 ص120

[2]- طه عبدالرحمان تجديد العقل الديني مرجع سابق ص65

إن الأخذ (الخطاب المرسل داخل الحضرة)يجعلنا نسرد راي بعضا بعض بأنه لا يوجد خطاب بقدر ما توجد كيفية نفسية ، لإزالة الذنوب لهذا سنتكلم عن أنثروبولوجيا التكلم بلفظ الأسماء الحسنى و على رأسها ملفوظ (الله)، قد لا يخفى على أي كان بأن المسائل الفقهية انقسم تسييرها بين المذاهب الأربعة و كل مذهب رأي اليها من زاوية ،ولكننا لا يمكن أن نجزم بأنهم تفرقوا على أساس طلب الترخيص أو الرخصة في ممارستها بل اعتمدوا وفق منظور الوظيفة الفعلية.فالأسماء عندهم أسماء صفات الصفات الحصصية و أسماء صفات الجلال و أسماء وصفات الكمال وكل أسماء مرتبطة ، فخاصية الحسن كما أقره الزمخشري تكون الأسماء تدل على العلو والشرف و أكثرها علوا اسم الجلالة (الله) .

عندما يلفظ المشارك في الحضرة ملفوظ اسم الجلالة ، فإننا نقيس الرفعة في الاسم مع المكانة و هوما اسماه طه عبد الرحمان ضمن تحديد مفهوم التسمية ، فاذا يلفظ مدويا بصوته فهو أراد يقول أن (الله) موجود دون أدنى شك (الأنوجاد)، و يزيد من قوة الصداع لأنه يزداد ربطا للتسمية مع القوة و البرهنة على سمو ذاته لهذا يقابلها سموا .مماثلا يتمثل في نظام العدد فعند التيجانيين قد يصل الأمر الى 1000 نداء باسم الجلالة وبالقياس البسيط فان المشارك الحضرة في ظنه أن درجة التقرب تتعلق بمستوى وعدد الملفوظات المرددة في الحضرة لاسم الجلالة،يبنى تصورا عندها يجهد نفسه بمضاعفة عدد الملفوظات من أجل التقرب و نيل أعلى المراتب قال تعالى : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ﴾ سورة الاسراء 75.

إن المتلفظ باسم الجلالة ، يدرك شيئين اثنين أن هو تطهر وأحسن في نفسه أما الشيء الأول يتعلق بادراك المريد أو الداعي بان لله 99 اسما بما فيها اسم الجلالة يؤدي ذكرها الى تحقيق القرب والرسول صلى الله عليه وسلم قال من احصاها و حققها دخل الجنة ، لهذا أنزوى مطلبه في نطاق المعقولية وهي التي وصفها طه عبدالرحمان "بمبدأ العقلانية والاحسان" هذا على عموم

الأسماء أم الشيء الثاني يتعلق بالمريد نفسه هل هو على درجة من التقوى حتى يستطيع أن يدعو بأسماء مغموسة أصلا بالإحسان.

إن كل اسم له مدلول مادي يقابله حاجة بشرية و أثناء الدعوى فقد يمر المريد بالتذلل أمام أسماء الصفات (القدوس ، السلام ، المؤمن) لكي يسمح له بالمرور الى الحسنى بطلب الحاجة ولعل الحاجات كثيرة و غير محدودة لدى المشارك في الحضرة فمنهم من يؤجل حكاية الرؤية لأنه يرى أن ذنوبه لامست عنان السماء ، فيلطف بأسماء القدرة و الصفات على طلب المغفرة وأخرون يتبعون التعظم والتهليل من أجل رؤية برهانية تجسد تقواهم.

إذا كان الأمر ما دون طلب الرؤية فهو أمر منتهى سماه طه عبد الرحمان "بالحدود المنطقية"، التي تكمن في جواز طلب الطريقة المنطقية لتحقيق الحاجة ، وهذا ما يبرر تواجد الطرق الصوفية التي تعمل كل واحدة منها على تحديد منهج للحصول على الحاجة،

الطريقة عند طه عبدالرحمان مطلوبة و يجب أخذها من الزاويتين المنطقية و الواقعية ونبذ اللاعقلاني الذي يشرح معنى كل شيء ممكن و لا اخلافي الذي يشرح بأن كل من كان ممكنا.

فالمريد على اختلاف ثقافته سيجد انحصارا أن هو ذكر اسم الجلالة بسموه وعلوه بالوقوع في اللاعقلانية واللاأخلاقية ينحدر الى الفوضوية التي يترجمها الواقع العلمي والتقني

لذلك يجب عليه أن يستمر في الأشتغال، لما يقرب، أدناه عدم اللهو ونبذ الغيبة والنميمة، إذا كان الاشتغال بسيطا في حياة المريد من العمل بإخلاص و احترام العاملين و المحافظة على العمل، يكسب بذلك مهارة تؤدي به الى الوصول في أشغال أخرى هو طلب العفو والصفح من الله باستدعاء التسبيح كان يسبح يوميا أكثر من 6000 مرة كما يفعلون في طرق كثيرة و قد يستمر هذا الاشتغال الى ادخال السبحة في العمل اليومي وهو اشتعال مستلهم في استعمال الاسم الأعظم لطلب حاجات قد يكون لها علاقة بعمله .

3-المناهج الانثروبولوجية الغربية:

أ- النظرية النقدية التطورية لتايلور.ودوركايم وكليف براون.

تعد التجمع مؤسسة مكونة من عناصر ثقافية فيها تفاعل متبادل مشروط بأخلاق الدين باعتباره نظام من الرموز، يعمل على تأسيس القوة والأمزجة كما ذهب إليه "دوركايم[1] بقوله أن عبادة الأرواح هي أصل الدين ، و بذا فأن الروح المسافرة تنتقل من جسد شبه ميت ،لسبب أن أصلها هو الغيبة والفناء ،والعكس هنا يظهر واضحا في صوت الجسد و خروج النفس المتحولة إلى الروح و هو ما نجد ثابتا في حالة الفناء واندماج الجسد الميت مع متطلبات طبيعة الروح الجديدة ،التي تكون قاب قوسين أمام الله ، فالفرق هنا يظهر في نظرية الأرواحية التي نادي بها تايلور والتي من خلالها عرف الاعتناء الديني في كتابه الثقافة البدائية حيث وضح الاعتقاد الإنساني في حياة مزدوجة.

حياة يعيشها في اليقظة وحياة يعشقها بعد الممات وبصورتها تظهر حياة في اليقظة وحياة عند نومه فما يراه الصوفي عند نومه يشبه الحياة التي يمارسها عند اليقظة و نلخص من كلامه وجود جسد مادي ملتصق بالمكان الذي نام فيه ، وجسد له قدرة التنقل من مكان يجعلنا نعطى لتايلور أحقية في بعض ما ذهب إليه هو قوله أن النفس لاتصبح روحا إلا إذا انتقلت من الجسد الإنساني، فلهذا كان اعتقاده في القبور التي ذبحت عندها القرابين لإرضاء الموتى لما حادت الصوفية بعض الشيء وأصبحت تبلور أعمالها في الجانب المعيب للأخلاق بتقديم سلوكيات طفولية كالشطح والتحرك وقد شبه تايلور سلوك البدائي بالطفل ذلك أن الطفل لايميز بين الحي أو غير الحي ودائما يصور الأشياء وما يري بطريقته وعفويته الماثلة أمامه، ولهذا وجدوا أنفسهم يعبدون الطبيعة كما سماها تايلور أوقعوا في الشرك كما أسماها أصحاب الأنثروبولوجيا الإسلامية ،كذلك أصبح بفعل الجاهل.

[1]- جورج بولتيزير، المبادئ الاساسية للفلسفة،دار الفنون والابحاث العلمية، القاهرة20115 ص69

إن الاخذ باعتبار التجمع كمؤسسة جاء على أساس فكرة بالانثربولوجيا الاجتماعية والثقافية و الدينية التي ركزت على أن التجمع أمام النار هو في حد ذاته مؤسسة تتكون من معلومات ثقافية و بيولوجية و دينية بين الأشخاص المشاركين في التجمع . هذا كان إلزاما علينا أن نهتم بفكره المجتمع المؤطر من قبل شيخ يؤدي بهم جميعا الى تفسير لخطاب المتفق عليه من أجل إرساله بغية تحقيق أهداف مرسومة سابقا في العقلية الجماعية للمجتمعين وهو نفسه ذلك التصرف الهادف إلى معرفة الوصول إلى الهدف السامي أو بلوغ الاستجابة أو لتلبية الحاجات التي رسمها مالينوفسكي بعشرة حاجات "الأيد و إعادة بناء ما فسد في المجتمع إعادة لإنتاج الراحة البدنية ، الأمان و الحركة ، النمو و الصحة و الدين)،ومهمات نوعت الحاجات فان ما يهمنا في هذا المبحث هو حضورا لجماعة في تجمع يسمى بالحضرة على الطريقة مانا في زمبيا، المجتمعون دوما حول النار طلبا لتجنب المرض و إحلال محله الشفاء شبيه بتجمع الحضرة كما أشرنا سابقا مئات التجمعات الدينية التي أقرتها الاساطير الامبريقية[1]عندما رسم مالينوفسكي اتجاه الوظيفية على العادات والتقاليد المجتمعية فكان يقصد إقحام العادات في سياق وظيفتها التي تقدمها للمجتمع لأنها تأخذ بتفسير كل ما فعله الأسلاف. أرجع مالينوفيسكي بأن التمامية يمكن أن ندرج لها كل التصرفات الصادرة عن الصوفيين الملتزمين بها .

1- التفسير الدوركايمي لمنهج التجمع :

أقحمنا دوركايم كأحد علماء الاجتماع الذين ساهموا بفكرهم الأنثربولوجي في إزالة لبس كبير عن دور العادات في تكوين البيئية الاجتماعية والنسيج الذي كلفه سفر مستمر بين أنحاء العالم لأخذ نماذج من العادات الافريقية والأمريكية ورتبها في بعضها البعض لا لشيء إلا لتوفير المعلومات أمام الدارس الانثربولوجي، يقول أن تراكم الأمثلة يسهم في اقناع أي شخص ثبت لديه

[1]- سعيد ادوارد، الاستشراق والمعرفة والانشاء، ترجمة كمال ابوديب، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، 1984، ص68.

أن كل الأشياء مكدسة و قال أن الحكمة تبث الحكم و هو أول من أكد أن كل الأديان حقيقته ولا وجود للباطلة ، فالدين محلل لأصل الإنسان حسب زعمه .

ولو قسمنا الدين الإسلامي لوجدنا كل التعاليم الواردة فيه على شكل معاملات وأخلاق،إنما جاءت لتبين للإنسان طريقة التعامل معها. فالنص القرآني أرقى و أسمي،كما انه يبذل خاصية السمو من خلال علمه بما يكون عليه الإنسان في المستقبل و هي في ظننا المعرفة التي غابت عن دور كاليم عندما قال إن الدين هو أصل التفكير و ربما عناه عندما قال " أن أكثر مقولات الفكر الإنساني عموما مغروسة في أذهان الناس في المجتمع و المجتمعات لديها روايات لنفس المقولات وقد طابق مثاله على ما أذيع من إخبار عن ما نجم من صراع وتخييل وسمو في الحضرات التي يتم فيها احترام الدعائم المكونة لها فيصير بلوغ الحضرة بمثابة(التوتم) (الإله والجماعة) فقد أخذ ذلك من احتفال (inchiouma) الذي هو احتفال جماعي . فالهدف من التجمع هو في الأصل نوع من البوح و البحث عن الأرواحية التي لا يغذيها عند إنسان جاوة إلى سفر الروح ،حتى بجانب الجسد الذي يصبح بدون فائدة .وأقل ما يصلح أن يكون رمادا كما يفعل عبده البقر بموتاهم، لهذا وجدنا دوركايم يجزم بأن الخصائص الدينية مستقلة عن الأفراد وهي جبرية آمرة لأنها تعبر عن حياة الجماعة ، فعندما يحدث فعل ايكولوجي يستدعي الجماعة لأفراد المجتمع وخاصة عندما يكون الفعل مجسم من أجل الذات لعليا و كذلك يفعل المشاركون في الحضرة تحدث لديهم كما ذكر في مجتمع الانسوميا "فوران جماعي" يقنعهم بحدوث المعية الالهية وإلا تفرقوا بفعل الخوف فالفوران العصبي أشبه بتفاعل بيولوجي مع رؤية الخالق كما حدث مع موسى لما تجلى له الجبل (خر مغشيا عليه) [1].

يمكن تقدير التفسير الأنثروبولوجي الذي أكد عليه دور كايم إلى ما سماه بالأرواحية فسرها قائلا لما تخرج الروح من الجسد ويسكن هذا الأخير تحت الثرى أو يتلقى تشكل عوالم من خروج

[1]– باسكيز اضولفو..البنيوية والتاريخ ترجمة مصطفى المسناوي . دار الحداثة .بيروت ط1 1981 ص52

الروح من الجسد قد تتحول تصرفاتها إلى خير و شر يصاحبها إما أمراض و أهات مما يجعل للسحر دور أساسي في عملية التجمع مما دعي فريزر إلى تفنيده.

وبقول أن المجتمعين في inchiouma يحدث لهم فوران جماعي يقنعهم بان الله معهم، ويشبه هذا الأمر ببلوغ بعض المستويات الكذب عند بعض المشاركين ، عندما يسقطون صرعى ويصرخون كأن شيئا يكلمهم أوانهم يسمعون إلى الملإالأعلى ..

هذه الكيفية هي التي شوهت الحضرة العبادية، وجعلت خصوم الدين الإسلامي يعطونها تسمية لها علاقة بالسحر والدجل والناظر إلى حالة القفز والشطح يجزم أيما جزم بأن في الأمر أكذوبة أو صراخ سحر مزدجر، وخاصة لما يتم الأمر عند الأضرحة و القبور لان هاته الاخيرة صارت مكانا مقدسا ذبحت عنده القرابين لتقديس جسد خرجت منه الروح و ربما يتم استرجاعها اذا قدمت القرابين الغذائية لأهله أو المحيطين به .

لقد ضرب ميدلتون[1] مثالا رائعا بهذا التشكل الطقسي عند lugea متفحصا عناصر القرابة والسحر والطقوس والشعائر محاولا أن يرمز إلى البني الوظيفية و دورها في تشكيل صورة الطقس العبادي عند شعب lugbaraو قد أشار إلى ثلاث عناصر مهمة في هذا التشكيل الأسطوري في الذهنية الشعبية ويتعلق الأمر بتجسيد أهمية المزار المقدس لروح النبل الخارجي وهي عبارة عن تشكيل هندسي يشبه طريقة تقديم القرابين ذبحا وأسماها .opri،ثم شبه سطحه المكسو بالألواح، مثل ما يوضع على بعض قبور المسلمين وبعض أولياء المسلمين من تزيين وتعلية في هندسة القبر، والعنصر الأخير و الغريب هو بناء مستودعات توضع فيها مئونة القمح و الشعير لكونه مسخرة لروح السلف .

[1]- غارودي روجيه .فلسفة موت الانسان الابحاث العربية بيروت ديسمبر.1981 ص32

إن التجمع بالنسبة لطقس الحضرة يكون في مكان طاهر مقدس ،ولعلمنا قيمة تقديس الوأد الذي طلب فيه موسى أن يكلمه الله ، لكدنا نجزم عن طريق المقاربة بين الدين الإسلامي والديانات الأخرى بأن صفات التقديس للأمكنة بعد مشروعيها قياسا بجبل احد، آبار بدر وناقة الرسول وغيرهم كثير.

استخلص الانثربولوجيون المسلمون عندما.ذهبوا إلى ماذهب إليه مالينو فيسكي،ودوكايم وفريزر أهمية المكان المقدس في المجتمع ،مما يجعلنا نثبت صحة هذا الكلام هو اختيار مقر الزاوية على سبيل المقدس بالنظر إلى تاريخها و بناء أول أول حجر أساس لها كما يتطلع من تاريخ الذي جمع بين أثار الكرامات ومطية بعض المروريات غير الموثقة استنتاجا في الحالة الضابطة لصفة القداسة يجعلنا نعطى خيارات لتفصيل صفة المقدس لمكان التجمع واقصد به هنا مقر الزاوية البوزيدية بالخروبة بمستغانم .

والاختيار هنا حسب جغرافية أمكنه موقع الخروبةومستغانم يؤكدان أن هناك مجموعة من السبوحات الصوفية صنعت هاته الأمكنة، ورسخت عندها مشروعية بناءالزاويةكمقر عبادي للسائحين على قلتهم أو أكثريتهم.

ولعل تفكيرنا لايبقى مشدودا في المكان بعينة ، بل أيضا الى (الشخص) أو الولي الذي صدقت بشأنه الرؤية ،كان سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي هو العنصر الثاني الذي يجعل اعتقادنا في (المقدس) أمر واجب العناية فمن خلال عرض (سيرة وورع سيدي الحبيب البوزيدي) على السنة أشهاد عصره كلهم أكدوا على ورعه و وتقواه في العبادة التي أهلته ليكون بدلا من أبدال الأرض .وقدما مغروسة في الخروبة يأتي طيف قداسته عندما تتذكره وترسمه مجموع الناس الوافدين للتبرك من المكان بعينه.على غرار أمكنه المسلمين كالمسجد الحرام – الأقصى – وقباء وغيرهم و كذا مبرك ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم.

يزيد هذا التبرك والانجذاب للمكان المقدسي من فوران المجتمعين في الحضرة نفسها تتعدى لديهم قرينة الانتقال من الاعتقاد في المكان والولي الى الاعتقاد بالقرب وخلع الذات بنزع الحجب عنها وجعلها تنكوي بنعمة المنح والبسط كالتي أعطيت لموسى عند طلب رؤية الله تعالى.

نستنتج مما سبق عند الأنثروبولوجين الغربيين وعلى رأسهم دوركايم. اعتنائهم بالتجمع والتجمهر عند القبيلة القديمة على أساس اعتقاد قديم رجع الى ممارسات لها علاقة بالسحر أو الخارجية التي أضيفت إلى الطقوس البادية وهي التي جموعها والمقدر بـ 50 طقس يمثلون العادات والتقاليد في افريقيا وأمريكا كلهم يمثل تفكير الإنسان في موجوداته التي حاول أن يخلق علاقة تبعية بينه وبين موجودات أسلافه.

ب–نظرية الأرواحية لتايلور في تجسيد عمل الحضرة

قبل التطرق الى الارواحية كفكر انتربولوجي[1]مفسر لظواهر تجمعات اهل القبيلة حول الافعال المقدسة، نحاول ان ننتبه لهاته المقاربات المطروحة ،بما أن التنظيم المنهجي يقتصر على التدين وعلاقته بالملا العلوى ، لذا كان من الضروري شرح العلاقة البينية الممتدة .بين الجسد والنفس والروح، إن الروح صارت تشكل منطلقا ثالثا .في ثالوث التدين، فعند تايلور تصير النفس روحا عند ما تغادر الجسد، فتحول إلى روح مقدسة لها تضحيات وقرابين عندما تتخذ من القبور مسكنا لها، ويرى تايلور أن عقلية البدائي تشبه الطفل في المعاملة فمادام الطفل ينظر إلى الأشياء من زاويته، فان البدائي كالطفل لا يميز بين الأشياء الطبيعية و الأشياء الداخلية والأشياء الطبيعية هي أرواح كالأرواح الإنسانية، عندما يتشبث المريد بتسبيحه أثناء العرض فانه يشكل له جزأ مكملا لروحه، فالأرواح حسية دائما لها قسمان "إنسانية" ليس لها تأثير مباشر على العلم الإنساني و"طبيعة" متصلة بالأشياء.

[1]– سيلا محمد، البنيوية بين المنهج والمذهب، مقال مجلة تأملات معاصرة، بيت الحكمة، اوتاوا كندا، ع1، 1984.

إذن إلى ماذا يدلنا هذا القسم ؟ دون شكل عندما يحصل الترقي المضمون للمشارك أو المريد في الحضرة يصبح بينه وبين ذاته عن تفسير يؤدي به إلى فهم علاقته بالملا العلوي فلا يمكن أن يؤمن في أروحيته بالفضيلة وهو قد نسى أنه ظلم هذا، وسفك دم هذا، إلا أنه يبقى يتأرجح ما بين قبول ورفض لشيء ميئوس منه.

ذكر تايلور إن مرحلة .التدين الأولى اعتقد فيها الناس بالروح .ككائن له علم خاص بعد الممات، منها اتصافه بالخير والشر بينما اعتبر دوركايم الشعائر الدينية هي بمثابة رموز تعمل على تأسيس نشاط كبير، يجعل القوة أخر تمثل له .

لماذا أدرجنا رسالات الأديان في هذه الدراسة الانثروبولوجية؟ عندما نريد إن نسلط الضوء على أهم المحطات التي كان الإنسانيحيافي ذلك لا يعني إن الباحث يملك إجابات محددة ، وإنماإتباع انتتروبولوجية الثقافة هرمن يتطلب إدراج رسالات الأديان لمعرفة السلوكات البشرية القديمة وما موقف الله تعالى منها؟ وهو موقف أجاب عنه القران الكريم في الكثير من الآياتلأننا رأينا إجابة الله عليهم كفيلة بتحقيق الحضور، والشهود عندالمتحضرإذا تدبرت آياته.

إذا نظرنا إلى العهود السحيقة التي عاشها البشري ، نجد أنها كانت مليئة بسلوكياتوأعماليمكن تطبيقها لأن ذلك موضوع مستقل عن دراستنا حول الحضرة في الإسلام،وإنما يمكن الإشارةإليها من باب إحصاء السلوكات وعلى الرغم مما قيل في مختلف أنظار القدماءإلىإن ذلك أعطانا لمحة عن مختلف الأفعال الإنسانية وركزت عليها حسب نسيم الكتاب المقدس .

ج– النظرية الاجتماعية والبنيوية عند جيمس فريزر وليفي ستراوس

ينطلقرادك ليف من صورة المجتمع ضمن نطاق يشبه النسيج المتحكم فيه منهجيا و لعل أبرز صورة يمكن تطبيقها على نظام الجماعة هو حدوث التألف ضمن سياقات المجتمع وبنية الجماعة تتواجد محرمات اتفقت بشأنها الجماعة قبل طور التكون.وهي التي لم تدع "راد كليف" يوضح كيف وصل المجتمع إلى بنية النسيج فهو لم يؤمن بالتطورية التي أخذ بيها أكاديميوا التطورية بقدر ما

حاول أن يسير إلى استشراف مستقبل خلاب لمجتمع منظم معطيا صورا ساعدت على تكوين النشأة كالسحر والطوطمية والتابوت، كما هو معروف إن الطوطم هو كل مقدس عند القدماء يبنى على الصور كانسان أفعى، أسد .

اعتبر الانثربولوجيون أن الطفرة البشرية اعتمدت على الخوف من طبيعة التي أشير إليها في الفصل الأول الخاص بصفة الخلق والتابع نعني به حرمة مسح الطوطم الذي وقع عليه فعل التأليه، وهو من أقدم القوانين غير مكتوبة عند الإنسان و أقدم من الأديان واكتسى عدة صور قيميه مفعلة داخل بنية الجماعة .كالجنس الخصوصية واللغة تلك هي عوامل نشطت في ظل النسيج أما، باستشرافها أو بالسكوت عنه ومنع التحدث باسم التابو فلا يكون التابو الذي ميزه –بروان– سوى عادات المجتمع القبلي التي اتفقوا عليها وحاربها محمد صلى اللخ عليه وسلم عندما تجسدت في عبادة الأصنام .

فمنخلال المجتمعين في حضرات (عثمانية، رحمانية، قادرية، نقشبندية ، لاحظت فيها وحدة النسيج أو المسمى بالطابو غير قابل للمس لأنه الطابو من أعلى مستوى ويتعلق الأمر في الاعتقاد الديني المبني على تبني صور حسية كالإيمان بالله،البعث، التقرب إلى الله نراها صورا طابوية ساعدت على لم النسيج الواحد المساعد على بناء الجماعة و نراه ضروري عند الاعتقاد الصوفي في كونهم نظروا إلى نوال ما يتبع الحضرة بالمجاهدة وهم بدلك يقفون عند النفس التي ذكرها الانتربولوجين بأنها متولدة عنها الروح[1].

وهاته الأخير هي مصدر الخير والشر ولهذا أمن به المجتمعون من أسلافنا حاربوا كل من تسبب في التيه كما إنهم سلطوا عليهم .كامل صنوف العذاب من أجل المحافظة على البنية السامية التي أوجدت المجتمع عندبراون هذا القياس على الرغم ماقيل فيه،إلا أنه يشكل عند – براون– ميزة بالنسبة للحضرة فإصباغها "بجملة التمامية" أو الشمولية يعطيها قداسة اجتماعية

[1]– ابراهيم زكريا ،مشكل البنية، مكتبة مصر القاهرة ط1 1976 ص123

مبنية على أصول دينية، فهو لم يصف كل البناءات المكونة للمجتمع ،سواء تعلق الأمر بالفرد أو بعاداته بل إلى النظام الاجتماعي ومايقويه بإعطاء الأسلوب العلمي حقه في بحثه المتواصل عن تأسيس النظام الاجتماعي، ،كأني به يريد أن يؤسس قانونا داخليا للمؤسسة المجتمعة، واعتبره من باب تجمع الحضرة بالمنظر الذي يكتفي بمعرفة علاقتها بالإله و ما يلاءم الطوطم دون المساس بالتابو، أجده على خلاف- مالينوفيسكي- قد أحال كل الدوافع النفسية و البراسيكولوجية إلى جنة التدين باعتباره نظاما اجتماعيا وظيفته حفظ النظام الاجتماعي المبني على اختراق الروابط والشعائر التي تصف كوظائف بسيطة نابعة من السحر واني وجدته مؤيدا لكل ما يخدم النظام الاجتماعي .

لهذا فالحضرة البوزيدية على قدر قدمها، فإنها قدمت خدمات للزاوية بالتعريف بها على المستوى المحلي باعتبارها منارة دينية لنشر الوعي الديني بكليته و ما يؤكد ذلك هو الحضور المكثف لإطارات من الجماعات الإقليمية وفي الداخلية باعتقاد المريدين بها جعلتها تحوز على (طابو) منعها من أي تدخل رقابي قد يطالها مقررات التدريس فيها كمدرسة قرآنية ومصب هذا الاعتقاد الطابوي كان له دور كبير في محاربة السحر والدجل من قبل شيخ الزاوية ، فهو دائم القول خط الحقيقة و الشريعة و ذلك دأب الصالحين الذين ذكرهم كأبيه سيدي الحبيب البوزيدي ،و بالنسبة له الاعتقاد الديني في الحضرة يدل على التواصل مع القوة الإلهية والمحمدية وهو نفس ما ذهب إليه كليف براون بقوله "أن التدين يعني مجموعة الاعتقادات والممارسات التي تدل على التواصل مع ماهو فوق الطبيعة.

وأنا أحاول أن أجد علاقة بين كلام براون فيها تتعلق بالنظام الاجتماعي و كلام – جيرتز- في الاهتمام بالمعنى والثقافة على أساس أن هناك نصوص مقروءة وجدت أمام نصوص سميت لدي المنصوفة بالأوراد التي نظر لها ،كإشعار دينية منظمة ،تمثل الخوف من الله و طلب الاستغفار وقراءة الذكر.

وصلت إلى قناعة أن النص المقروء يساعد على استحضار الخوف من الله تعالى و خاصة إذا كان محبكا بآيات قرآنية معروف عنها قرآنيا أنها غير محرفة يزداد الاعتقاد لدي حاول براون إن يؤسس لنصوص غير مؤولة تسقط النظام الاجتماعي الذي شكل ولادة ذاتية ، من خلال ما تواصل إلى حقبته التي عاشها في بريطانيا ، رغم إن الفترة ذاتها شهدت الكثير من الصراعات السياسية و العسكرية التي تنامت بعدها الحرب الباردة. أثناء التدقيق في قوله بدا لنا تصورا أن النص المقروء ثقافيا شكل منطلقا كماليا لبناء النسيج الاجتماعي، على عكس النصوص الأخرى التي اختلطت بالذاتية و بإرادة البشر كما هو الحال في التوراة و الانجيل .

إن كل عمليات النقد تجعل من الثقافة أداة مسطوا عليها من قبل المجتمع الانثربولوجي، لان السياق يدل على اختلاط الأمزجة والنوازع المرضية للمنتفعين منها في الخراج.

إن –براد كليف– فهم من خلال نظرية الانثربولوجيا دور الثقافة السابقة، بانطلاقه من جمع كل ما قبل سابقا وجمعه على أساس انه مكمل و مثبت للتقية كما هو الشأن عندما نظر إلى تكون الاعتقاد بالمكان المقدس ومعرفة طريقة معاملة ضيوفه، ومدي سرية وانفعال أهل بيت الزاوية، يصبح النسيج مكتملا بل حتى المشاركة في الحضرة يصبح غير مشروط وقد يتخذها البعض على سبيل تغيير الجو أو ممارسة الرياضة و لا يهمه التحضير لها لكون قد وعاها كاملا بأنها تشكل نسيجا منتظما في بنية الجماعة قد يكون صائبا في طرحة، وإذا واقف فكر الاطلاع الكلي للمجتمع عندما يكون المجتمع المتحدث عنه لازال مريضا لم يسر لا من بعيد و لا قريب إلى المجتمع مدينة الفاضلة رأيت في قول– جيرتيز– .

صدق عندما قال أن البشر أفعالهم ذات مغزى ورمز وبالتالي يضع براون في مأزق مفاده إذا كانت أفعال البشر ذات مغزى فهل يقصد الجانب الفاسد من السلوك ، إما الناجح، فإذا كان إيمانه بالفطرة الأولى فهو لا يدعوا إلى مجتمع بسيط.إن يعول عليه إذا كانت نية سلوكاته فاسدة، وحتى إن العكس لا يصح، بالطبع قد تكون هناك قراءات رمزية لتصرفات الأفراد يسميها براون

بالشعائر التي تظل ذات إفهام كبير للمشتغلين تقوم على تبرير السلوكيات الصادرة في التجمعات والتي أنا بصدد مسايرتها مع ما يضمن قاعدتي الجواز و لا جواز، فان حاد الفرد في الحضرة بإصدار سلوك رمزي كممارسته فعل الضرب السوقي بعد الصرع ، فان هذه السلوك يمثل فعل العدوانية التي تهدد نطاق استقرار النظام المجتمعي ككل ، لذلك لا أراها مهمة .

ولجعلها أكثر مواءمة نتخذ ها في خانة ممنوعة في القياس أو تحت طائلة الشاذ المحفوظ لعدم القياس عليه، أفهم من هذا أن "براون" لا يقصد المظهر السلبي للرمز، بقدر ما يقصد تكملة جامعة في شكل نظام لمشروع الحضرة أو التجمع على سبيل المثال بحيث لا يطرقها أي طارق خارج النص القرآني أو الحديث المروى عن محمد صلى الله عليه وسلم كما لا يستمر في التحرك الا بذكره تعالى (يعني النص القرآني) ويكون بصفة الجهر حتى لا يسمع غيره فينكب عليه بالسب أو يقلل من سوء الأدب مع الحضرة.

إنني أجد فواصل كثيرة ، قد تبعد كما قد تقرب جوانب الحكم على الخشوع مثلا في الهند يضعون نشيدا يساعد على الولادة العسيرة باستعمال (تبخيرات الكاكاو المحروق) ووضع صور وأشكال تجسد فيها روح الحماية كما يفعل بعض الناس المعلقين للتمائم فتعم الفوضى،ونفسه الأمر إذا شاب الحضرة استعمال العنبر للتبخير فعندما تختلط بروائح العنبرأوالحرق بعض العقارات للرفع من شدة النشوة على غرار ما وصفه مالينو فيسكي بالفوران العصبي داخل الأنوشيما.

الفصل الخامس

الآثار المختلفة للحضرة الصوفية على منظومات القيم في المجتمع

1- الآثار البنائية للحضرة الصوفية في تربية وتكوين الاسرة المسلمة.

2- الآثار الخلقية للحضرة الصوفية في المجتمع .

3- الآثار الانثربولوجية للحضرة الصوفية.

4- الآثار الاجتماعية للحضرة الصوفية على المجتمع.

5- آثار الحضرة الصوفية على نظام العمل.

6- آثار الحضرة الصوفية على التخطيط الاجتماعي والثقافي.

1-الآثار البنائية للحضرة الصوفية في تربية وتكوين الأسرة المسلمة:

إن وظيفة التنشئة الاجتماعية هي تحقيق التوازن بين نزوات الفرد ورغبات المجتمع بحيث يمكن تهذيب هذه النزوات وتحويلها إلى سلوكات مقبولة اجتماعيا ولا يكون هذا إلا مع بداية الطفولة، لهذا حاولنا تبين الآثار المختلفة لممارسة الحضرة بصفة مستمرة ، كطقس عبادي، متميز وفق الاسس الشرعية التيأشير اليها في مختلف فصول الدراسة، ان سلوك الحضرة الشرعي، يعمق كثيرا من أواصر المحبة والتوادد وتقوية الصداقة مما يؤدي الى مناقشة فكرة المثالية في تسيير شؤون الامة من بينها البحث عن النقاء الجيني[1]، في مجتمع تشده الاصول الدينية وعدم هتك المحرمات، التي تبقى صفة مؤهلة عند كل مشارك في الحضرة يطمح الى تصفية المجتمع من محرمات الزنا مثلا، حيث يقوم المجتمع المتقبل للحضرة كل يوم جمعة على مبادئ النقاء العرفي والتدرج العائلي الشريف الذي يمنع اختلاط الانساب ولا بد من ضمان نقائه باختيار الزوج (حديث ص) من العائلة الشريفة التي لم يحدث فيها اختلاط، إذا ضمن هذا النقاء الذي تتطلبه قرائيات الحضرة، حين يجتمع المشاركون بعد تأديتهم مناسك الزيارة إلى توسيع التواصل فيما بينهم إذ كثيرا ماحدثت عمليات زواج بين عائلات أعضاء الحضرة أو ذويهم فمعنى إن الجنس يسير جواريا بما يلائم رضا المولى تعالى وإذا يحقق الرضا يحقق الصلاح وجاءت الرعاية الإلهية في شكل الزامي فيبعد عن الجنس البشري المؤمن النقي كل مايدنسه وبالتالي يكون هذا الجنس مهيأ لأن يكون يرى برؤية الله لأمور الدنيا حسب ما حدثت به القران ككلام الله إلى مخلوقاته. إذا تحقق النقاء أصلا يحدث القرب ويصلح المجتمع.

أ- تأثير الحضرة على الزواج في الأسرة:

يعرف المشارك في الحضرة، من خلال شهود ما تيقن وهو منجذب فيها، على مقربة من الحضرة المحمدية، يتيقن أن ما أوصله إلى تلك المكانة، هو احترام حدود الله ، فإن كانت له بنت

[1]- تطهير الانساب باعتماد الزواج الاسلامي، ونبذ الزنا كحد من الحدود التي اقرها الشارع الحكيم.

أو ولد للزواج، فالحضرة حتما توجهه إلى احترام حد الميثاق الغليظ، فعلاقة الزواج مشرعية كونية أسماه المولى تعالى الميثاق غليظ يقضي على الفساد والخلوة (لا متخذات أخدان) أو إنفراد بصاحبة، بعد ما يتحقق الرضا باحترام حدوده شروط الأنكحة بحيث لا مكان لإفشاء الاسرار مهما كانت وجعل موانع في إتيان المرأة لكي يبقى شرط الرضا يحترم ما حرم الله في خلوة الزوجان.

يحدث القرب ويصبح الفرد المشارك في الحضرة متشبع بروح صوفية يقاس هذا الأخير على الفرد الذي يخاف الله حتى النظر ورد عن علي أن النظرة سهم من سهام إبليس أو اختيار ثيب أو بكر وفق ما قدر الله ولكل واحد منها مزاج يرنو إليه العبد لما يحقق رضا الله تعالى عليه ، لأن الايمان بالرضا وبإرادة الله تعالى لخلقه ، يتقوى اكثر اثناء الحضرة وبعدها.

إذا تحقق بالنسبة للمشارك في الحضرة بانه بلغ رضا الله تعالى عليه يزداد احترامه للحدود إذا استمر الفرد النقي المار بعون الله من الزواجية بنفس درجة إيمانه باحترام الحدود يكون إمام (نوال) للنغم والخيرات بالرزق – البنيين او البنات– وهوما نسميه جميعا بتكوين الأسرة وهذا التكوين يبدا بتلاوة الاذن على المولود او بقراءة ما تيسر من القران والادعية المتواترة المباركة الولادة نعدها ، من موجبات الرضا بما يرضي الله تعالى وهذا الرضا مضى من قبل في باب اختيار الزوجة او الزوج على درجة الصلاح واحترام حدود الفراش والعيش معا وتعليم الولد أوالبنت الحدود للتربية يزداد التقرب كلما شاركوا في حضرة قرب تكتمل لديهم شهادة وشعور الفرح بالرضا الذي ينمي فيهم حب الأمانة والاسترعاء (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) وبذلك يتحقق الشعور الاقتناعي بدرجة الدنو من المحبة الإلهية[1].

ب– التربية الإسلامية للأسرة:

كلما سار رب الأسرة في طريق الحضرة يدرك نعمة التطهير فيرتبط بالتربية الإسلامية حيث يبادر بدبر القرآن ورواية القصص الإسلامي وتحفيظ الآذان لأولاده وتطهير لسانه من مفردات

[1]– محمد حسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم الحر، دار الامة الجزائر 1999 ص150.

الدجل والخرافات والكلمات النابية وأن لايسمع إلا حسنا وجميلا. ولا يشاهد إلا ما يصلح أخلاقه، عندئذ تكتمل الحدود الأولى للتربية الإسلامية وعليه أن ينتبه إلى حدود الله الأخرى بالمعاملة الحسنة للزوجة وولده وحراسة لسانه وافعاله فهو المسؤول وهو الموهوب أي هو أحسن المستوى إلى الدنو من رضا الله تعالى أكثر من غيره ممن لم يتذوقوا الحضرة الصوفية.

ج-تحقيق الاحترام العائلي:

إن الفرد المثالي المشارك في الحضرة إذا حافظ على الكفايات المنهجية والاستراتيجية في حراسة نفسه من الرضوخ في تكسير الحدود يكون مؤهلا الى تحقيق لذة لا يحسن بها إلا الأغيار من أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولتحقيق هذه الألفة بالاحترام للغير في العائلة، وذلك بحراسة لسانه لأنه من المفروض سابقا أنه يطهر من هذا الجانب وعليه المجابهة بالتسامح في حالة سماع ما يلاقيه من أخ أو أخت أو حتى والد أو والدة فهو مخير على تحقيق الاحترام (بر الوالدين) فهذا الجانب هو أصل في تكملة سلسلة احتواء التراحم بين أفراد المجتمع أو الأسرة الصغيرة[1].

لايبدأ الاحترام إلا بالوالدين جعل المولى تعالى طاعتهما من طاعته وأقر الله حسن صحبتهما للمهمة التي أوكلت لهما في الحياة،وإذا صاحبها الفرد في الدنيا بالمعروف فسوف يسعد في الدارين مما جعل المجتمع المشارك يعطي أهمية للاعتناء بالجانب الإصلاحي الذي يتأسس على تركيز الاهتمامات بالدرس الإصلاحي على طاعة الوالدين فهو يكون قد سمع أثناء الدروس الجامعة عن بر الوالدين وتحديد خصالهما واشتراط بنود المعاقبة لمن أساء إليهم مهما كان جانب الظروف المادية والمعنوية لهم.

[1] – احمد امين ظهر الاسلام ج3 دار الكتاب العربي بيروت ص66

د–تقوية مبدأ الشورى والجماعة:

جعل الله تعالى من التوافق والاجتماع أهم عنصر في التعارف (أنا جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) بين الناس لأن من عنصر التوافق هو عامل تتحقق من ورائه (رغبة الجمع) فالمجتمع بحاجة إلى أفراد مثقفين يحترمون رأي الجماعة والمشاركون في الحضرة من أكبر المؤمنين بها تنصهر بينهم كل عوامل التشتت والفرقة لانهم يتحولون الى ضمير واحد يمشي بحكاية الضمير الجمعي كأحد آليات اعتناق المقدس ونحن نرى أن كل ماوقع في الحضارة الإسلامية من أحداث ووقائع جمعت حول الاتفاق المشترك وهذه الحاكمية هي التي غيرت، فلا تغير في القواعد الاجتماعية إلا اذا وافقت الروح الجماعية العامة في شكل فكرة ، لكن متى يكون العمل صحي إلا إذا رافقته الروح المشاركاتية في أنبل صورها منها محبة الوطن من الايمان : يقر علماء النفس أن درجة الرضا تكمن عندما يتحقق الاتباع يؤديإلى الإقرار بوجود تسقيف باتباع، كما أوصت به نظرية الاستخدامات والاشباع في العلوم الاجتماعية .

إن المؤمن الذي يشارك في الحضرة بكل جوارحه وخشوعه يشعر براحة ، فالراحة التي تلي الصلاة المطبقة إنما هي التي تلي حب الوطن محبة يجب ان ينطلق وينتهي من درجة فلسفية للاعتقاد الراسخ بالجزم والتأكيد، فاذا ما انغرس هذا الحب انغرس حب اخر للرسول صلى الله عليه وسلم وهو من نفس فصيلة حب المرأة لأولادها، ولكن الله أرأف وأحن من المرأة التي أخذت ابنها وقفزت للنار، إذا وصل المؤمن المرتاح إلى درجة الاعتقاد الراسخ بحب الله دون محالة يستدرك معه حب الوطن، أو الموطن وبالتالي، إذا ما انغرس حب الوطن زاد الايمان إليه بالتالي تتحقق قرينة الشعور بالانجذاب نحو الوطن، ومنه الى حمايته والذود عنه وعن ما فيه من ممتلكات منقولة وغير منقولة رعبة في الجهاد، حيث يستصغر المشارك في الحضرة الموت من أجل نوال الدنو والتقرب من الله عز وعلا.

2-الآثار الخلقية للحضرة الصوفية في المجتمع:

أ- التسامح الخلاق والبناء:

المشارك المتأثر بالحضرة يدرك مابين المقامات البناءة يرتيبها كما رتبت الملائكة المفاسد (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) فكذا المجتمع المثالي يسعى إلى الترتيب المحلي للعمل الجماعي المشاركاتي وكما قلنا سابقا لايكتمل هذا العمل الا اذا رافقته مستلزمات ايمانية هي الفيصل في استمرار نوافذ الصفات الخلقية ومنها التسامح ونبذ الاختلاف .

إننا ندرك أن التسامح بين الذات والذات والجمع هو مبدأ سامي يتخذ من متشبع في الدرجات الايمانية لهذا جاء حديث عن البناء المثالي من خلال التشبع بما يفيض بنا الى الايمان حقا، وبالتالي نأمل ان يسلك المجتمع المتسامح طريقا الى الخلاص او العفو ستختفي سلبيات كثيرة من المجتمع ويصلح افراد المجتمع نبذ الخطأ مهما كان نوعه لأن ادراك التوجه في البعد انما هو خلق من التسامح ، فيحدث بين الذات وضميرها الحي المتكلم، هذا الأصل هو ما يحتويه صدر المشارك في الحضرة.

ب-الاحسان والتصوف

إذا كانت الاخلاق ترتب حسب الأفراد وما يعتقدون به ، فان المؤمن المشار كفي الحضرة يتسامى في علياء الرضا والإحساس بالدنو من القرب الجلالي فيحدث التلقي وسنضرب مثالا في الحب، عند هذا الحد نتكلم ونعني ان الاحسان والتصوف كفيلان ببناء البرنامج المثالي النصي لأي فكرة إصلاحية[1].

[1] - زكي مبارك، التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق، دار كتاب العربي، مصر، ص 156.

ج–المثالية الإسلامية في المجتمع:

اذا استقرت المثل القيمية الإسلامية في المجتمع المثالي – المشاركون في الحضرة – تتحقق الرضا وتقبل الحياة الأخرى المنتظرة في اتم صورها المأمولة، عندئذ ستتكلم الوجهة الشاملة التي جعلت الرسول الديبلوماسي المرسل الى عمر رضي الله عنه يقول "عدلت فأمنت فنمت" هذه هي المثالية الإسلامية المأمولة فكيف يمكن تحقيقها .

د–الانسان القوة الصالحة:

ينطلق العمل الخلاق بوصول الانسان الى نقطة القدوة او المثل الذي يحتذي به ، فاذا ما اعتنق الفرد الصلاح والايمان والتسامح والإحسان ، فانه سيصبح مثالا يحتذي به الغير ، يشاركه البناء الخلاق لصرح المجتمع لأنه جمع بين جميع الصفات النقية والمثالية التي يحتاجها المجتمع التي تأخذ بعين الاعتبار ما يعين ويساعد الاخر لا على ما يضره، لأنه في الحالة الأولى سيحقق الاجماع على البناء ، وفي الحالة الثانية يتحقق الاجماع للحماية من الخطر مهما كان التجمع بينهما دون شك سيسبقها عمل فرد يقوم على أساس ضمير يقيني، يتحول عندئذ المنطق الى قدوة والنخبة يكفيها اكتساب المعرفة والثقافة ليضطر على اتباع مرتبة الاقتداء،مادام ان الفرد المشارك في الحضرة ومن والاه مكتسب لأشياء متميزة يصير مثالا للنزاهة، والخلاص وفقا لما امر به الدين.

هـ–الانسان الغني والمثقف :

ليس معنى أن يكون الانسان بغناه المادي قد تحصل على نوع من الشهرة فأحس بانه مقبل على اعتناق باب التوافق الذي هو باب قد يشترك فيه الجميع ما بين فهم الغني والفقير فكلهم على نظرة واحدة داخل الحضرة حتى الغني يتعجب من قوة ماله الذي منحه الله إياها لحاكمية أو ابتلاء فيرى انه متفوق بجلال رزقه على الفقير الذي يتعجب من غناه بفقره وكيف انه يؤمن به ايمانا راسخا فيرضى بفقره كقضاء تتحول نظرته للفقر الى نظرة عدائية يشوبها الغني فتتساوى

لديهما النظرتان على حد سواء فيصبح الفقير ينظر الى نفسه أنه غني لا حدود له بينما لا ينظر الغني الى فقره الذي كان أو ربما يحاول أن ينساه، فالحضرة تساوي بينهما في الاعتقاد، فتتساقط شوائب التعفف والرياء والعجب.

3-الآثار الأنثروبولوجية للحضرة الصوفية :

يعتقد علماء أنثربولوجيون أنه من أهم خصائص المجتمعات الإنسانية قدرتها على حفظ الثقافة ونقلها من جيل لآخر عن طريق التنشئة الإجتماعية التي تعتبر الوعاء الأول الذي من خلالها يستطيع المجتمع الحفاظ على ثقافته، فهي عملية امتصاص من طرف الطفل لثقافة المجتمع الذي يحيا فيه، فالمشارك في الحضرة بصفة الدوام يكتسب ثقافة مجتمعه من خلال المواقف الإجتماعية المختلفة التي يتعرض لها أثناء الحضرة يذكر فرانز بواس (Franz Boas)وروث بنيدكت (Ruth Benedict)ومرجريت ميد[1] (Margaret Mead) أنه ليس هناك عمليات تعلم لنقل الثقافة إلى الفرد.

4-الآثار الاقتصادية للحضرة الصوفية :

إن باب التحدث عن درجة الوصول إلى الدنو هو حديث عن سقف ليس بعده شيء أو نعتبره نهاية ما بعدها شيء رغم أننا ندرك أن مصطلح تعريف النهاية هو باب صعب للغاية يقودنا إلى طرق أشياء ربما تعود إلى أصل الغيب لما بطن المؤمن في النهاية أثناء تأديته للواجبات واحترامه للحدود يحس بطمأنينته والرضا في مشروع المجتمع النقي هو الرضا النهائي الذي حرم عليه العودة إلى ما دونه.

[1] – ليونارد جاكبسون. البنيوية مجلة الاداب الاجنبية. العدد106. سنة 2001

أ–التشبع في الحاجيات الإسلامية :

يمكن ان ندرج درجات وصل اليها المشاركون في الحضرة هي القناعة والاكتفاء وهذا هو المطلوب فالاعتقاد سيؤمن ان الفرد سيصبح روحانيا او صوفيا متميزا بين اختيار اللذة أو الالم لأنه وصل الى مدرك روحاني يعطيه حاجات اساسية تساعده على القيادة ويفرد لها الابواب الخاصة بالثواب ، ومثل هذه الحاجات صون النفس والبدن وما يرتبط بهما من احتياجات على حد من ذكر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (إن لبدنك عليك حق) والنفس أمارة بالسوء[1].

ب–الاقتصاديات الإسلامية المثالية :

ركب الاقتصاد الاسلامي الحياة على منظور يتفق فيه البدن بالمعاملة على نبذ الكذب والربا الذين يدخلان في الحدود التي لا يقربها المشارك في الحضرة أما إذا استشرا في الاقتصاد سوف ينحل المبدأ ويختلط الدم، باختلاط الانساب فلا يعد يعرف الحلال من الحرام وبالتالي تنقسم الامة إلى فرق أغلبها ضالة مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم :" كل الفرق في النار" وهذا ليس مأمولا في المجتمع الذي تسير فيها الحضرة الشرعية الى الله يتولى فيها الامر الى الصدق وسلامة الراي التي تمتص عباراتها من القول الالهي اذا ما حدث صدق في المعاملة ينطلق الاقتصاد من الارض وعلى سطحها ومن التجارة يرتزق الانسان بالكد والجهد وكلما كد أو جد يرزق، لأن الرعاية الإلهية هي لحظة من كرم الله، كما يفعل مع النملة كأضعف مخلوق فالاقتصاد في المجتمع يقوم على مبدأ الكد كسبب رئيسي في التحصيل وخارج الكد يعد الأمر اتكالا وهو ما ترفضه المشروع الاسلامي وينطلق هذا الكد من المجهود الفردي ويمكن أن نشير أن مبدأ الكد الفردي أخذ به الأوروبيون منذ زمن قديم فبنوا حضارة مادية كبيرة رغم إنها أقيمت في عناصرها على أشياء غير مثالية لكنها حققت النجاح ولم تحقق الوصول إلى الرضا المأمول شرعا عكس الأمة المثالية التي عملت بالجد والكد فحققت الرضا في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فجذبت إليها أمم أخرى.

[1]- مالك بن ني . كومنوالث اسلامي. ديوان المطبوعات الجامعية. 1988 ص60

أهداف التنشئة الاجتماعية الملتزمة بالحضرة:

توجد اهداف متعلقة بالتنشئة الاجتماعية ومن بينها:

–إن الفرد لا يولد اجتماعيا يمكنه اكتساب الصفة الاجتماعية، والحفاظ على فطرته السليمة وإبراز جوانب إنسانيته الحقة.

– تغرس ثقافة المجتمع في شخصية الفرد ، تظهر العلاقة في بيان التأثير والتأثر ولعل من أبرز وظائف التنشئة الاجتماعية قدرتها على حفظ ثقافة المجتمع ونقلها من جيل لآخر، ولما كان الفرد يولد وهو مزود بمجموعة من القدرات والصفات الوراثية التي تحدد شكله الخارجي والمهارات العقلية.

–ضبط سلوكه، وإشباع حاجاته بطريقة تساير القيم الدينية والأعراف الاجتماعية تعلمه كيفية الحد من نزواته اي إقامة حواجز وضوابط في مواجهة الإشباع المباشر للدوافع الفطرية كالدافع الجنسي ودوافع المقاتلة والعدوان،.

–تعلم العقيدة والقيم والآداب الاجتماعية والأخلاقية وتكوين الاتجاهات المعترف بها داخل المجتمع وقيمه بصفة عامة، وذلك حتى يستطيع الفرد اختيار استجاباته للمثيرات في المواقف المختلفة.

5-آثار الحضرة الصوفية على نظام العمل:

تقترن الوظيفة في الاسلام بمحددات القيم الايجابية كالصدق والصبر وطاعة الرؤساء، وبذا فهي تعكس الانسان الصالح الذي يبحث دوماً عن التقدّم والتطور والتنمية والازدياد المتواصل في حياته، في علمه وعمله، وكذلك في علاقته مع الله، فلا تتحول العبادات عنده إلى مجرد حركات جسدية ميتة لا تنبض بالحياة، ولا تقدّم له شيئاً إضافياً.

إنّ المؤمن مهووس بالإضافة النوعية المتواصلة لحياته، مشغولٌ في أن يكتشف الجديد أو يصنع الجديد.. إنّ هذا المبدأ من أعظم مبادئ التنمية المتواصلة في حياة الإنسان / الفرد، قال سبحانه :﴿ ...وَقُل رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ سورة طه(20) ، الآية: 114، إنّ حركة الحياة متواصلة دوماً، فبعد أن اشتهر ابن البيطار عالم زمانه في علم الصيدلة والأدوية والعقاقير، والحسن بن الهيثم عالم زمانه في البصريات، والرماح عالم عصره في الصناعات العسكرية والأسلحة والآلات الحربية، وابن الرزاز الجزري عالم الميكانيك وصانع الآلة المشهور، والإدريسي عالم الجغرافيا النادر، وابن سينا عالم الطب والفلسفة والمنطق والرياضيات، والزهراوي عالم الأدوات الطبية الكبير،والخوارزمي عالم الحساب والجبر، جعلوا من هذه الأمة سابقة الأمم،مثالا في الوظيفة الإسلامية لأنهم اتصفوا بمثل الشرع وما يوافقه ودخلوا في الاشتغال بخروجهم من وصف النظر إلى وصف العمل، ولهذا دخلت أوصافا كثيرة أخذت بهذا التطور وتواردت على مفهوم الوظيفة أسماء مختلفة منها العمل، الشغل الفعالية النشاط الإنتاجية التطبيق التقنية الممارسة لان هذا التعدد هو زيادة في التوعية بأخلاقية الشرع في مسائل الوظيفة كما أشار إلى ذلك المفكر الإسلامي طه عبدالرحمان .

لما حدث العكس تراجعت الوظيفة بسبب غياب مبادئ العمل الصالح، وهاجرت أدمغتنا إلى بلاد اخرى لتساهم في تقدّمها وتترك أوطانها للمجهول بسبب سوء إدارتنا وتعاملنا مع الأمور،

ووقوفنا على مناهج حياة ومعرفة وعمل قديمة، واستغراقنا في التصارع على موضوعات سطحية حولناها إلى حجر الزاوية في معرفتنا وتفكيرنا ونشاطنا، وصرفنا عليها أموالاً طائلة، واستهلكنا فيها طاقاتنا، وهدرنا بها أوقاتنا، بلا فائدة تذكر، أصبحنا في مواقع محرجة لقد أمنت بعض النصوص الدينية فضاء تطور المسلمون في رحابه فيما سلف، فحثتهم على العلم ووضعت لهم مبادئ للتطور كهذا الحديث الذي بين أيدينا، فأنتجوا، لكنّنا اليوم قد نثور بعض النصوص المعطّلة للحياة، ونربك الساحة بها، وننسى أحياناً في المقابل الكثير من النصوص التي تشكّل مناخاً مساعداً على النهوض، والأمر كما قال الهيرومنوطيقيين الجدد: الإنسان كالمغناطيس يجذب عليه كل ما يكون مسانخاً له، فإذا كان في الحضيض جذب إليه الأفكار والنصوص التي تتكيف وتكيفه مع الحضيض الذي يعيش فيه.. هذه هي الحقيقة.

إن الوظيفة في الإسلام تنبني إيقاف التكامل في خلق الإنسان من جهة كون الإنسان على اختلاف مظاهره وتعدد قدراته ، لكي يصير المجتمع ذات واحدة ، تجتمع فيها مظاهر القوة مع مظاهر الضعف، فإذا ما استمرت مطالب الأفضلية لتحقيق ما يوافق نفسه طبقا لتداعيات الشرع، لأنها عملية إكمال لحدود العقل الذي تكلم عنه طه عبدالرحمان[1] والذي سماه بالعقل المسدد، الذي يقوم على الوظيفة الراعية للمصلحة أو لحدود العقل الإنساني، وهو ما أكده ابن الأزرق بقوله أن من الفطن في العقل معرفة كماله الشرعي وهو متوقف على معرفة على تصور ما في نفسه، مصداق لقول النبي صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا واعلموا انه لن ينجو احد منكم بعمله قالوا ولا أنت يارسول قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل[2].

[1]- طه عبدالرحمان ..العمل الديني وتجديد العقل.مرجع سابق، ص57.

[2]- حديث شريف برواية مسلم

6-آثار الحضرة الصوفية على التخطيط الاجتماعي و الثقافي .

إن الحديث عن الجانب الوطني وربطه بالإسلام والوصول إلى قناعة ووعي بضرورة تقديم مصلحة الوطن على أي اعتبار آخر وأن هذا التقديم هو من صميم الدين والايمان لذلك جعل المشارك حب الوطن من الايمان .

تلتقي الوطنية بوصفها قيمة خلقية والوطنية بوصفها توجها سياسيا في أمر واحد لا غير، وهو توجههما إلى الوطن أما هذه القيمة فهي باقية على ما كانت عليه في سماتها النفسية منذ خلق الله الإنسان، ويمكن تعريفها محبة في القلب لمحل الانتماء يظهر أثرها في مدى غيرة المرء على وطنه وحرصه على الرقي به والحفاظ على مكتسباته ومودة أهله وبغض أعدائه .

ومن حكمة المولى عز وجل هو تحقيق إعمار الكون الذي أمر الله بعمارته، فسكنت الصحارى والقفار وأعالي الجبال وأحبها أهلها وتناسلوا فيها آلاف السنين بالقدر نفسه من الحب الذي أفاضه أهل الأودية والأنهار ومنابت الغابات على ديارهم، بل وقاتل أهل القفار وقتلوا دون ديارهم كما قاتل أهل الغابات وقتلوا ودين الله الذي ارتضاه لخلقه لا تعارض أحكامه ما فطرهم عليه من سجايا وأخلاق، وإلا نكون قد زعمنا في الشرع عدم الحكمة أو التكليف بما لا يطاق، وهذا كما لا يخفى من الممتنع شرعا ولله الحمد والمنة . بل جاء الشرع مؤيدا للفطر ة ومهذبا إياها وحاميا لها بالشريعة من أن تنزلق بها الأهواء إلى مالا تحمد عقباه . فمما يعرف به تأييد الشرع لمحبة الأوطان: ما جعله الله تعالى قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[النساء:100] وقد جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم قرينة للإسلام والحج في تكفيرها لما قبلها من الآثام، كما في صحيح مسلم

ج1/ص112 (أَما عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ ما كان قَبْلَهُ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ ما كان قَبْلَها وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ ما كان قَبْلَهُ).

وقرن الله تعالى قتل النفس بالإخراج من الوطن في ميثاقه سبحانه على بني إسرائل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام سادة من أحبوا أوطانهم، فقد روى ابن حبان في صحيحه ج9/ص23 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (ما أَطْيَبَكِ من بَلْدَة وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ وَلَوْلا أَنَّ قَومي أَخرجوني منْك ما سَكَنْتُ غَيْرَكِ كان صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة هو وأصحابه يشتكون الشعور بالغربة حتى كان بلا ل ينشد إذا ارتفع عنه الوباء إن الأخوة في الله سبحانه وتعالى على دين الإسلام تجسدت في الوطنية بكافة أبعادها﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الحجرات:10] وفيما جاء في صحيح البخاري ج5/ص2253عن أَنَس بن مَالك رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: (لَا تَبَاغَضُوا ولا تَحَاسَدُوا ولا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ولا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ) وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كما في صحيح البخاري ج2/ص862)أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ ولا يُسْلِمُهُ ومن كان في حَاجَةِ أَخِيهِ كان اللَّهُ في حَاجَتِهِ ومن فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عنه كُرْبَةً من كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ومن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يوم الْقِيَامَةِ) وفي صحيح مسلم ج4/ص2000عن النُّعْمَانِ بن بَشِيرٍ قَالَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إن اشْتَكَى رَأْسُهُ تَدَاعَى له سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ) وقال صلى الله عليه وسلم فيما

رواه الطبراني في المعجم الأوسط ج7/ص270عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم و من لم يصبح ويمس ناصحا لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم).

ومهما ارتقت الحدود السياسية فهي حدود قد وضعها المستعمر لتفريق بين أبناء الأمة الواحدة، ونجح في ذلك حيث أصبح التمايز بين أبناء المسلمين على أساس هذا الشريط الوهمي الذي لم يعدكما كان في السابق حدا لسلطات الحاكم على الأرض بل أصبح أيضا حدا لسلطاته على الأفراد .

إن الحدود السياسية أصبحت واقعا مرا وستعالجها الوطنية في بعدها القيمي والأخلاقي ، وبهذا الاعتبار ليست الحدود السياسية أسوارا عالية لا يمكن تجاوزها، كما أنها ليست خطوطا وهمية لا اعتبار لها، بل هي نقاط البداية ونقاط النهاية لجهات من الأرض يضمن فيها الإنسان حقوقا أصيلة على الراعي والرعية يستوجبها انتماؤه لهذه الأرض، بحيث إذا تجاوزها تصبح حقوقه مرتهنة بما يقدمه للبلد المضيف من فروض وواجبات ويقرن البعض أن واجب طاعة ولي الأمر يحدد قيمة الوطنية ويقر استقرارها بكل المقاييس ، ينظر البعض أننا في غير حاجة للقول بالوطنية على أي أساس من الأسس، وذلك أن ما ننشده من الانضباط والطاعة مكفول في الإسلام بإيجاب طاعة الإمام، فإذا أوردنا على المتمرد ما يلزمه من الحقوق لولي الأمر فقد قطعنا عليه الطريق بحكمٍ أصيل في الشرع لا لبس فيه، وصريح العبارة ممتنع على التأويل، وحققنا بذلك ما نرجوا أن نصل إليه دون أن نلجأ إلى تكلف تشريع مصطلح دخيل علينا ثقافة وتاريخا. ان كل هاته القيم لا يقدمها إلا المشارك المعتقد في الحضرة الصوفية.

الفصل السادس

الدراسة التطبيقية

1- التعريف بمجتمع الدراسة

أولا: كيفية اختيار العينة:

شملت هذه الدراسة عينة قصدية وصل عددها إلى مئة(100) مفردة، من المشاركين في الحضرة البوزيدية لموسم الشيخ محمد الحبيب البوزيدي المنعقدة بتاريخ 2015/01/22 بمقر الزاوية يمثلون عدد المشاركين الذين توافدوا حتى إلى نهاية مراسيم الحفل السنوي ،المصطلح على تسميته بالجمع العام لفقراء البوزيدية الطريقة العلاوية، و قد كان اجتيازهم صعبا للمشاركة في الإجابة على الاستبيان،وذلك لكونهم يغادرون الزاوية مباشرة بعد صلاة العصر وبالتالي اقتصرت في البحث عن العينة على الماكثين إلى نهاية الجمع أين تجري (الحضرة) بمساعدة سماحة الشيخ بن دحاح الحاج أحمدالذي أمدني بقائمة أسمية للمشاركين اعتياديا كل سنة، يمثلون قائمة المدعوين وهم وجوه معروفة تعودت على حضور (الحضرة) منذ سنين عددا عندما كان المرحوم بن دحام الحاج محمد يواكب على المشاركة فيها شخصيا.وقد نقلها حفيده فضيلة الشيخ بن دحام أحمد وآله ،وفي عهده عرفت الزاوية مسارا إصلاحيا جعل منها مؤسسة وعظية وتزكية، ولما أتضح المجتمع المبحوث، كان ينقصنا تحديد مقابلات في داخل وخارج الوطن بلغ عددها 20 مقابلة[1] يتم استغلال ما جاء فيها بعد استرجاع الاستمارة،حيث تولينا صب المعلومات بكل أمانة وفق المحاور المنتقاة وراعينا في ذلك أدوات منهجية تخص الاستمارة الإستبانة ثم الدراسة الدلالية التي قرأنا من خلالها جوانب فئات الشكل والمضمون، فاصلين بين الأداتين لتطوير أطر المنهج المسحي أو الوصفي التحليلي وجعله مواكبا للدراسة الإنثربولوجية، ولهذا سنتطرق أولا إلى الخصائص المدنية والفنية لعينة الدراسة ثم نواكب فئات تحليل الشكل والمضمون من خلال وحداتها التفصيلية ثم أفردنا جانبا مهما لتحليل فئات الشكل المضمون.

[1]- تم الالتقاء بهم في الزاوية من مختلف ولايات الوطن بجاية، تيارت، تيزي وزو، تلمسان مغنية ، سيدي بلعباس، الجلفة، بسكرة، غليزان.

ثانيا: البيانات الشخصية والمعلومات العامة للعينة:

يعتبر هذا المحور استهلالي يعرفنا عن العينة، بمكوناتها تعريفا إحصائيا فيه معطيات خاصة وأخرى عامة ،تدخل في سياق التحليل الإنثروبولوجي،لموضوع الدراسة،التي تحتاج في البداية إلى توفير معلومات حول المجتمع المبحوث،استنادا على مرحلة التطورية التي نادى بها زعماء المرحلة في القرن التاسع عشر ك(كارل ماركس ودوركايم) ،لأنها تدخل كل من (الأسطورة والدين والعلم) في اتجاه التطور التاريخي لدراسة المعتقدات الدينية، لدى الشعوب القديمة ، ولما كان موضوعنا يتعلق بالحضرة فالمنهج التاريخي هو تفسير كل العادات والمعتقدات الدينية يقوم على تقديم معلومات كثيرة تثري دراسة الحضرة .

ركزنا على جانبي السن والحالة الاجتماعية لنستخرج (دلائل الأهمية) ،التي تجعل من المشارك بصفته مواطنا يحمل جملة من المطالب ذات الأولوية ،يحتاجها في حياته وتحضرني مقولة لفريزر "بخصوص أن الدين كله من السحر الخصب" ، فالمواطن المنتقل من بلدة بعيدة إلى مستغانم معقل الزاوية البوزيدية ، واقع تحت تأثير التعلق الديني ، وتحقيق نوع من المغامرة التي ربما سيجني منها فوزا أو فتحا ربانيا ، يقطع مئات الكيلومترات ويتجهم وعثاء السفر خاصة من المناطق المتباعدة من أجل المشاركة في الحضرة ، فأصل هذا التدليل يقودنا إلى استنباط عنصر المعية أو المرافقة والتضحية للمشاركة في الحضرة.

تظهر لنا رغبة جموع المشاركين في الحضرة هنا ،مفهوم التأثير الخاص بممارستها كطقس ديني، وهم يسارعون إلى المشاركة في فعاليات الذكر وقراءة القرآن والاستمتاع إلى حلقات العلم ، يقف أمامنا تصور وضعه الفقيه (ماسوس) يظهر التقاطع الثقافي بين الظواهر الاجتماعية ومادامت الخبرة مجال فسيح أمام المواطن،فإن الحضرة تبين قسما كبيرا من عقلية القدماء ، الذين أصبحوا في حد ذاتهم يشكلون عقلية ثقافية لينظروا في النهاية، الولوج إلى الحضرة وهم في الأغلب من الذين تتراوح أعمارهم من خمسين (50)سنة إلى مافوق،وعندنا هم المواظبون على الحضرة،سجلنا بهذا

الخصوص تكرارا مرتفع العدد وصل إلى أربعين 40% كنسبة تعكس تواجد ثلاثين 30 مفردة تحبذ المشاركة، وجدناهم في قيلولة متوفون في أريحية يشملهم الشعور الحسن بالتجمع حتى وهم نيام.

إن نظرة جامعة لهذه الصورة الصوفية ، يفسر لدينا إصرارهم على ممارسة الطقس وهم نيام مما يجعلنا نقفز وراء ما صرح به دور كايم، بأن الدين كان شيئا واحدا ، فنفس التجمع القيلولي نراه منتشرا في المساجد الإسلامية ، وأعتقد هؤلاء الماكثون بالقاعة أنهم في مسجد وساد الاعتقاد المسكوت عنه عند المشاركين ، بأنهم يمارسون طقوسهم في مصلى وليس مسجدا نظاميا، فالسكوت الجلي هو سكوت بأن المضارب الدينية كلها مقدسة، ويمكن جمع الصلوات بداخلها، وبالتالي يعتقد فيها دينيا على أنها

مسجد ،يجتمعون في القاعة الكبرى للزاوية وكأنهم يتأهبون إلى سفر صوفي هؤلاء القائلون سجلنا تواجدهم من ولايات متباعدة (كأدرار-بشار-البرج-وباتنة).

ومن نافلة التعبير المنهجي لو نمسك بعدد خمس عشر 15 شابا يمثلون مسطار من (20 إلى 30 سنة) ما قيمته 20% من مجموع المشاركين الذي وجدنا لديهم إجابات شافية وصادقة معبرة عن كل ما يتعلق بالحضرة ، ورغم أننا كنا نتوقع تزايدا في الاهتمام عند الكهول من 30 إلى 40 سنة إلا أن الأمر لم يستقيم كما زعمنا يكون عدد عشر (10) مفردات تضاعف عند الجيل اللاحق 50/40 سنة بمقدار 26.66% وهي نسبة معبرة تعكس تواجد المشاركين في الحضرة بقوة إذن أصبح من المنطق اعتبار العاقلين ابتداء من سن الأربعين (40)إلى ما فوق هم المجتمع القوي المحرك لدافعية الحركة في موضوع الحضرة وإلا إما استطعنا أن نحشر خمس عشرة 15 مفردة شبانية ،كأنها حاضرة من باب الاكتشاف والتفعيل ، يعني أن نسير بوجود 25 مفردة خارج الإجابة أوالإفصاح عن سنها، لكنها موجودة استطعنا أن نركز ملامحها الصحية ما بين الشباب والكهول وقد هالهم عدم الإجابة ربما لمشاركتهم لأول مرة كمرافقين لإبائهم أو أصهارهم .

من هذا المنطلق خرجنا بانطباع شمولي يتمثل في سواد أكبر نسبة من الكهول والشيوخ المشاركين في الحضرة ، مما ولد لدينا تخمينا تمثل في تصوير رمزي لحضرة إسلامية ،يقودها العقلاء عكس السنوات السابقة التي كان يشارك فيها الشباب لاستنشاق فيوضاتها أكثر من معايشتها كما يفعل الضالعون في عالم الحضرة ذوي الطابع البراسيكولوجي الظاهر في الانتقال من الحضور إلى الغيبية وفي بعض من الأحيان إلى الفناء.

إن هذا لأمر يشبه الخصائص المدنية في المحور الأول،كمالايدع مجالا للشك ،بأن الحضرة ليست موضوع ترديد موسيقى لبهرجة دينية مصبوغة بالموشحات الموسيقية ،أين يتراءى في بعض الأحيان بأنها هي الأصل في التعبير عن الممارسة الحقيقية للحضرة ذات الصبغة الإسلامية المحضة.

2-الخصائص العامة والخاصة لعينة الدراسة

في هذا المبحث سنناقش مختلف الخصائص الواردة على العينة.

أ-: الخصائص العامة لعينة الدراسة

إن الخصائص العامة للعينة هي مجموع البيانات التي تتعلق بترسين موضوع الدراسة الموسومة بالحضرة الصوفية في الإسلام، وطرحت أسئلة كانت إجابتها مؤدية إلى فهم المناولة الأنثروبولوجية التي يستعيد عليها موضوع الدراسة أهميته ويضم البيانات التالية:

الجدول رقم (01) .

نوع الحضرة	مكان الحضرة	توقيت الحضرة	عدد المشاركين	السواح	المشاركين المتميزون	عدد الحلقات
إسلامية	الزاوية البوزيدية	2015/01/22 12	100	60	40	01

المصدر : الباحث

أ/ التحليل الانثروبولوجي:

نلاحظ من الجدول رقم واحد (1) أن الزاوية البوزيدية هي المقر العام للطريقة البوزيدية عرفت بالحضرة والتجمعات الذكرية ، حيث استقطبت اهتمام الكثير من المعجبين الذين كانوا يأتون إلى مقر الزاوية بناحية خروبة بمستغانم في الموعد الذي يحدده خليفة الزاوية ،وهو في الغالب موعد جرى عليه العرف ،تجري فيه فعاليات الجمع العام للطريقة البوزيدية وكثيرا ما كان الشيخ سي محمد دحاح يوجه دعوات بالهاتف إلى كل الفقراء المحبين والضالعين في العلم وهم على العموم جموع كثيرة وضخمة، تأتي من كل زوايا الوطن للمشاركة إما بالإنشاد والسماع الصوفي أو المشاركة في حلقات الذكر الكثيرة، التي تقام صبيحة تاريخ استقبال الضيوف إلى آخر محطة مقررة للحضرة،

كما ورد ذكره في بداية الرحلة ضمن الدراسة الاثنوغرافية، كما لا يمكن نكران المشاركة الكبيرة لمجموع الزوار من كل أصناف المجتمع، حيث يصعب حصرهم حسب التصنيف العلمي لكثرة تشبههم بالملابس التقليدية (العباءة و العمامة) ،وفي بعض الأحيان يتدخل الخليفة العام أواحد إخوانهم بتعريف المشاركين يبعضهم البعض ،حتى يسهل التعارف بينهم جميعا وقد أظهر الجدول عدد ستين (60) مفردة يمثلون العوام في كافة الشرائع وما تبقى من الخاصة التي يتم تصنيفها على أساس المكانة الاجتماعية أو العلمية ،وهم في الأغلب رجال أعمال كبار ودكاترة وباحثون، وقد وصلنا إلى تحديد هويتهم عن طريق المقابلة الشخصية ،لكي يسهل علينا لاحقا توزيع الاستمارة عليهم وضمان إرجاعها وقد استندنا على فقراء الزاوية من الطلبة في توزيعها.

إن اختيار المجتمع كان صعبا لتعدد المشارب العلمية والثقافية العصامية لدى الزوار، ففي بداية الأمر يصعب اقتحام مجال الحديث معهم لكونهم يأنفون الدخول مع آخرين لا يعرفونهم ، ولاحظنا هذا عند البعض الآخر أما الغالبية يندمجون بسرعة فائقة تطبعهم صفة العناق والترحيب ، بضم الصدر للصدر وإصباغ اليدين على الظهر في حركة تنشر الرقة وتعمق الأخوة خاصة لما يتم النظر إلى وجوههم المنيرة والمشعة نتيجة لطول أذكارهم وتسبيح يزداد الشوق والفرح بحب الله والمصطفى الكريم ،وكثير منهم يبكون لأن السماع يحرق القلب فتزيده لمعة صوفية، وكأنهم يتحملون تاريخ الطيب الذي يشم فيه رائحة الصلاح ، وغالبا ما يكون من العنبر حتى تتعانق الأمواج العنبرية فتزيد النفس تطيبا ، وكأني بهم يحاولون تنفيذ مراتب الدخول في الحضرة من بينها التطيب، وكان هذا مقصودا لدى الكثير ولاسيما عند الذين يحركون رؤوسهم أثناء الذكر أو يتباهون باسم الجلالة أثناء ذكرهم لأسماء كقولهم (إل ا هـ) أو الله أكبر أو إعلاء الصياح دفعة واحدة، ولعل ما يفسر هذا الاتجاه الذي بني على الدهشة والخوف أثناء البكاء، الذي هومظهر من مظاهر الاتجاه الطبيعي أعتبر (ماكنمولر)ناتج عن مشاعر التأمل في الطبيعة.

يمكن أن نصل إلى أن المشارك في الحضرة راغب في التوجه ،ساخط عن المعاصي، من خلال طقوس الإنشاد وضرب الطبول والمزامير، هي في الحقيقة نشاطات سلوكية إنسانية لها علاقة بفرضية تقسيم الأشياء إلى مقدس ودنيوي،وهو ما ندركه بشعور الإيمان والطمأنينة عندما تدخل الجموع إلى الزاوية تشعر بقوة الجماعة وقداستها.

أ-: خصائص عينة الدراسة

يظهر الجدول رقم اثنان (2) مجموع الخصائص التي رأينا أنها كفيلة بتعريف العينة تعريفا انثروبولوجيا، تأخذ مقاسات الأدوات والممارسات والمكتسبات دفعة واحدة، دون تعميق في التفسير لان الأمر تركناه لتحليل فئات الموضوع والشكل باعتبار الطرح ضروري بالنسبة للأدوات والممارسات والمكتسبات للظاهرة المدروسة حتى يتم التوغل فيها دفعة واحدة بإجراء تشخيص للعلائق الجوهرية لكونها مرت بتغيرات في اللغة والدين والعادات وتبادلت التأثير مع ثقافات أخرى على حد ما ذكر الانثروبولوجي فراس السواح[1].

[1]- فرج السواح ، مبادئ الانثروبولوجية الثقافية ، دار بابي الحلي ، دمشق ، سنة 1999 ، ص 123 .

التحليل الانثربولوجي:

نلاحظ إن الجدول رقم أثنين (2) يظهر تشخيص، للظاهرة لظاهر الحياة الشخصية والحضارية، وبدقة حتى يمكن إن نصنف الأنماط الإنسانية (زراعي- ثقافي-تجاري...الخ).

إن الأصل في انثروبولوجية ظاهرة الحضرة هو النظر إلى النتيجة لماخلفته الأسرة القديمة لأنه ليس بالإمكان النظر إلى الظاهرة ككائن مستقل لكون ذلك يعاكس منطق تواجد علم الانثربولوجية ، حسب ماذكره لوقيرز[1].

إن دراسة ظاهرة الحضرة دراسة انثربولوجية ، تعتمد على الكشف بين العلائق الرابطة للمؤثرات والمعايير الجادة واللاجادة التي تكون قد ساهمت بقسط كبير في إنشاء الظاهرة، وإذا كان الباحثون لا يولون أهمية لتفقد الظاهرة زمانيا ومكانيا ، فهذا قول منقوص على اعتبار إن سرعة التطور التكنولوجي أصبحت لا تؤمن بالفوارق الإقليمية ولكن من الصعب دراسة الظواهر كآليات مسافرة في مجال الزمن والمكان حصريا على الأقل لكشف ما يميز الظاهرة في الوقت المخصص لدراستها لتكون عبرة دراستها واجهة للآخرين.

إن الجدول رقم أثنين (2) كشف اهتمام الانثربولوجي للمكان والزمن لان الأمر يتعلق بظاهرة تكونت من خلال تواجد والتفاف الإنسان مع بعضه البعض ،وكأن المجتمع يعيد نفسه من خلال اتفاقه على التشبيك بالأيادي داخل الحضرة، لهذا انطلقت في الخصائص النفسية بالتركيز على مايلي :

الإقليمية: تشكل الإقليمية غطاءا جغرافيا أشبه بالقيد لحركة الإنسان الموجه وفق قاعدة المقدس من الأشياء ، يحيا فيها حياة كاملة من الناحية البيولوجية وحتى الفيزيائية ،إن هو نظر إلى الإقليمية

[1]- بير اوجيه، الانسان المجهري،مكتبة باريس، 1956، ص156.

كمصير محتوم فربما يرفض التفكير خارج الإقليمية ويعيش حياة مرتبة زمانيا ترتيبا حسيا ، لكنه لا يمكن إن ترقى به إلى الترتيب الاسمي في حياة الطموح والأحلام

شاركنا الظاهرة بتواجد 19 إقليم يمثلون الولايات المكونة للدولة الجزائرية وعددها 48 ولاية و 12 ولاية منتدبة، واعتبر كل نمط إقليمي مسئولا على لباسه داخل الحضرة ، وكأنه أوكل بمهمة التحدث عن لباسه المهم للإقليمية التي تحيا بها الظاهرة ، وقد اختلفت المؤشرات بين أناس الإقليمية مما اوجد اختلاف الإجابة عند الكثير منهم بسبب حياة العزلة والانعزال التي يعيشونها داخل الإقليمية السنوية بالولادة أو الولاء أو العمل ،غير أنهم لم يبقوا هكذا وإنما دخلوا إلى فلول التقدم والرقي المفروضة بسبب حتمية التقدم الذي مر به الأوائل .

وجدنا إن 36 مفردة تحصلت عل شهادة البكالوريا، وأربعين (40) مفردة (أعمال حرة) و16 مفردة لها شهادة ليسانس و 3 مفردات ماستر و 4 دكتوراه ،بينما لم نسجل خلاف ذلك أو ربما قصدوا الزاوية ثم انصرفوا اثناء إحصائنا للعينة،عكس كلامهم في أوقات الراحة حول السبوحات الفيضية والكرامات أسميناها بحديث (الخاص) وقد حازت المواضيع الدينية في نقاشاتهم جل الاهتمام لدى ثلاث وستون (63) مفردة، والقضايا الثقافية ثلاثون (30) مفردة بينما لم يناقش في السياسة سوى سبع (7) مفردات وهذا الترتيب المكتشف في نوع الكلام والنقاش اثبت لنا مستوى أخرا ظهر جديدا ولم يكن ينظر إليه بعين الرضا ، إذا بنا نسجل 40 مفردة حافظة لكتاب الله و ثلاث وعشرون (23) مفردة. للأحاديث النبوية ما فوق عشر (10) أحاديث وست وعشرون (26) مفردة حافظة للأوراد.

معنى هذا إن العينة من الناحية النفسية هي مثقفة ثقافة عالية بالقياس على ما تمتلكه من مؤهلات وأدوات ،فقد وجدنا الغالبية تمتهن التسبيح عن طريق السبحة وهذا نظرنا إليه على انه تقليد لمن سبقوهم بمضاعفة الأعداد القاسية للتسبيح التي تفوق في بعض الحالات 10 ألاف تسبيحه.

2-: فئات تحليل الشكل والمضمون في العينة:

سنفسر في هذا المبحث كل الفئات على حدي.

-: فئات التحليل (الشكل والمضمون)

سوف نقوم بتحليل قياس (الشكل والمضمون) اللذين يندرجان تحت أداة تحليل المضمون (للحضرة) كنصوص معتمدا على العناصر المعروفة كمفككات رئيسية للمضمون ،حيث تتولى استخراج (الأفكار) كوحدات كلامية ونستخلصها وحدة منطوقة كاملة لنتعرف على مستويات وضعها داخل السياق، لكي تكتمل فكرة الإشكالية لان تمديد هذا المخطط الذي سيعرض في تسعة عشر جدولا هو ليس (مقود عام) تقتضيه الأداة بل أداة منفصلة تتوالد من الإشكالية فهي لا تشبه القواعد التي ربما قد يراها القارئ بمثابة كيفية إجبارية بل الأصل فيها هو تفكيك انثر وبولوجي لمستلزمات يراها الباحث ذات علاقة بالإشكالية وتنقسم هذه الفئات إلى نوعين: فئات الجانب الشكلي وفئات الجانب الضمني.

الفرع الأول: فئات تحليل الشكل

نقصد بفئات تحليل الشكل تلك الفئات التي نصف بها الجانب الشكلي لموضوع الدراسة،فقد تبرر بعض الأشكال التي لم يكن يتصور الإشارة إليها بيد أنها تفرض من خلال زوايا ناشطة داخل فكرة الموضوع.

● **فئة اللغة:**

جدول رقم (1) توضيح استعمال اللغة في الحضرة

اللغة	التكرار	النسبة المئوية
عربية فصحى	80	%80
عامية	10	%10
لغة أخرى	10	%10
لهجات	00	00

المصدر: الباحث

التحليل الانثروبولوجي:

ما يبينه الجدول رقم (1 هو غلبة استعمال اللغة العربية الفصيحة (في الحضرة)، وهو ربما ما شكل التفاتة صعبة عند القارئ أو يظهر له الأمر سلبا لإستعمال اللغة في الحضرة، وربما يطرح تساؤلا مفاده هل تكون هناك حضرة بلغة غير العربية؟

إن المتمعن في تاريخ الحضرة عبر الزمن كما هو مبني في الفصل الأول ليدرك أن الحضرة تتم بجميع لغات العالم ، ولهذا فان فئة اللغة كانت واجبة الحضور لمعرفة مناطق استخراج الحروف وتعاملات التقاسيم المسئولة عن الجهاز النطقي،لكون الحضرة من زاوية اللغة تمثل "دويا" ينظر إليه إثناء تحليل السياق كتلك الأصوات التي تخرج من الحجرة السوقية، لأنه من غير المعقول إن نسمع ويشاهد الإنسان إلى (منظر بشري يتحرك يتناغم ويؤدي أصوات ولايفهمها ...).

اللغة هنا وضعت لسببين إما السبب الأول لكي يتعرف المشاهد على حقيقة ما يخرج إثناء الحضرة ، لأنه شاع قديما إن المشاركين يصدرون أصوات تملى عليهم غيبيا وقيل أنها من أصوات

الجن[1] والسبب الثاني لإنصاف اللغة العربية التي نزل بها القران لذلك اعتبر 10% إن اللغة الصادرة عن أفواههم هي لغة عامية بينما عبر 10% أنها غير مفهومة وحاولنا استدراك ذلك من خلال الموضوع له علاقة بالأنثروبولوجية التطبيقية التي تهتم بالتواصل وهل هناك مشاكل تواصلية؟ ربما يكون ذلك واضحا من خلال التنوع في إحكام الرأي لان المعبرين بها 10% هم في الحقيقة مشاركون في الحضرة ، استدعى الامر لديهم توظيف معارف سابقة، تركتهم يضعون ذلك في غير خانة اللغة العربية ،مما يعني إن هناك مشاكل تواصلية أدت بنا إلى مساءلة الانثربولوجية التطبيقية خدمة للمشارك في الحضرة باعتباره إنسان.

إن اللغة العربية الواضحة المعالم في منطوق الذكر ،يدل دلالة على أنها كانت معبرة عن جوهر الذكر الحكيم فقولهم (الله الله الله) بترديد زمني يصل إلى ساعة زمن يؤدي إلى إخفاء المنطوق الحقيقي للفظ الجلالة الشيء الذي يدع الآخرين من المشاركين في الحضرة، والمتمعنون لمراحلهم ولميولهم الغامضة يتناسون الكلمة والكلمتين عندما تختلط النبرات الصوتية، يظن ان اللغة اختفت وحل محلها الصوت، وهي النسبة المقدرة بك 10% ، تصف لغة الحضرة بأنها لغة أخرى، خصوصا لما نعلم إن النفس كمال أول للجسم كما ذهب إليه ابن سينا حين قال: "ليس وجود النفس في الجسم كوجود العرض فالجسم محتاج إليها وهي غير محتاجة إليه، فلا يمكن إن يوجد جسم دون نفس ولكن يمكن إن توجد نفس دون جسم ولا أدل على ذلك، متى انفصلت عن الجسم تغير الجسم وأصبح شبحا على حين إن النفس المنفصلة عن الجسم ترتقي إلى العالم العلوي.

وبالنظر الى ما ذكره ابن سينا، فان النفس تتغير بالأحوال فتارة يفهم الإنسان وتارة يغيب وهذا ما أدى إلى تغير مفهوم ما يسمعه المشارك من نبرات اللغة العربية ليجد نفسه كما يفهمها وانأ اقصد هنا التيه الداخلي في النفس ولا أتكلم على لحظة العلن قبل إن يسترسل المشارك في السماع .

[1]- ابن عذراي المراكشي ، البيان في أخبار الأندلس ، الدار العربية للكتاب ، ط3 ، سنة 1983 ، ص 45

- **فئة الصوت:**

أردنا من خلال تشفير فئة الصوت في تحليل الشكل نحو كيف قيل: لمعرفة أهم النبرات التي قيلت بها اللغة وهو لتوسيع العلاقة الترابطية وإعادة تشكيل اللغة من جديد ، بناء على التغيرات الصوتية ، لان الحضرة أشبه في إيقاعها الصوتي من محرك آلي يبحث عن الاتزان ، يبدأ بالأقل صوتا وينتهي إلى الاعتدال المرجو منه تحقيق وصلة (اليدوية) أو الانطلاق لكون الصوت هو وحدة سمعية فموية ، يشكل مع الفكر وحدة فيزيولوجية وذهنية معقدة وينبه دي سوسير على عدم المزج بين اللغة واللسان وهذا بسبب إن اللسان من صفاته التمرد على أي تصنيف محدد لكون ممارسته تعتمد على قدرة خارجية تكسبها الطبيعة[1] فهل كان اللسان سابقا لتجريم اللغة ويظهر لنا من الجدول الموالي سمات لشرح الطرح الأنثربولوجي.

الصوت	التكرار	النسبة
مفهوم	65	%74.71
غير مفهوم	12	% 13.79
فيه نغمة	10	%11.49
أصوات أخرى	00	00
عند تحليل ...	87	%100

المصدر: الباحث

التحليل الأنثربولوجي:

يبين الجدول رقم (2) المتضمن عنصر الصوت تأرجح كبير بين الصوت المنطوق (النص) لعبارات الذكر أو الأدعية والأوراد ، على نسبة المشاركين بتكرار قدر ب 65 تكرارا محققا نسبة 74.71%، أكدت أن الأصوات المنطوقة كانت مفهومة ، ولعل مما يدعونا إلى برهنة جوانب

[1]– محاضرات الالسنية العامة، فرديناند دي سوسور، دار الغرب، الجزائر ، ص 123 .

الصدق والثبات طرح سؤالين، هل عناصر الصدق كانت مؤكدة لدى المشاركين؟، أم أنهم اقتبسوا ذلك الصدق وفق لذة المتلقي الذي يتحول أثناء سكرة الحضرة (من مرسل إلى متلقي).

الأمر برمته يتركنا نطرق مجال الإيقاع النصي الجميل والمتواتر على سماعه وفق لذة (فعول) (الله الله) (الله حي) هو في حد ذاته إيقاع متشاكل به نبرة متوازنة ذات وحدة عضوية، حيث يبقى المشارك سواء كان متلقيا أو مرسلا سجينا على حد زعم عبد القادر فيدوح[1]مما تدفع إذن المتلقي إلى طلب المزيد وهو ما نستطيع إن نبرر به تزايد المفهومية للنص الإيقاعي المسترسل عبر ملفوظات الحضرة.

إضافة إلى ما سبق وللإجابة على السؤال الثاني بخصوص صدق المتلقي فيما يسمع أثناء حضوره فإنها ناجمة عن حقيقة السماع الشرعي الذي أجازه ابن تيمية ،وهو سماع الأنبياء ويمثل له بالقران وبغيره بما لا يتنافى مع الشرع، وهو الأمر الذي فصل فيه عبد القادر الجيلالي في الفتح الرباني قوله: "من كان ذاكرا لله عز وجل بقلبه فهو الذاكر ومن لم يذكر بقلبه فليس بذاكر اللسان علام القلب وتبع له"كل المشاركين في الحضرة يدركون ذلك بعقيدة المعتقد الراسخ.

فالسماع الذي له علاقة بالذكر لا منزوحة عنه ولكن تبقى صفة الجلال وما يحكم حولها من شطحات هي التي جعلت ومضات كثيرة تدخل على المشارك قبل الدخول في الحضرة، ولا سيما عندما يتعلق الأمر بتصريف سلوك (الشهيق الحاد) لملفوظ الله جل جلاله مع ضرب الصدر،ربما كانت هاته ضربة لإشعار الصدر لما يحل به من ضيق وهي التي اكثر منها طائفة الشيعة في مشارق الأرض وأصبح اللطم من صفاتهم لا من صفات أهل السنة والجماعة ولا زالت أذكر وأنا مشارك في الحضرة البوزيدية عدم وجود هذه السلوكات التي كان ينفيها الشيخ بن دحاح عندما يشرع المشارك في اللطم فكان ينهاه في أدب ولباقة[2].

[1]- عبد القادر فيدوح، دلالية النص الادبي، op4، 1993، ص 98

[2]- عبد القادر فيدوح ، دلالية النص الأدبي ، op4 ، 1993 ، ص 98 .

نعود إلى مفهوم ملفوظ (لا إلاه إلا الله) الوارد على السنة الذاكرين يسترسل المشارك بحقيقة الوحدانية التي تسير به الى طريق الخلاص بحضور القلب ثم بالمكاشفة ثم المشاهدة بحضور الحق من غير بقاء تهمة وإذا استشرى له هذا المفهوم يغيب المشارك على حد ما ذكره التجنيد "وجود الحق مع فقدانك فصاحب المحاضرة مربوط بآياته وصاحب المكاشفة مبسوط بصفاته وصاحب المشاهدة ملقى بذاته وصاحب المحاضرة بهدية عقله وصاحب المكاشفة بقربه علمه وصاحب المشاهدة تمحوه معرفته، ولعل في قول عمر بن عثمان المكي ما يؤكد مفهوميه ملفوظ الاستحضار هو قوله: "إن تتوالى أنوار التجلي على قلبه من غير إن يتخللها ستر وانقطاع، كما لو قدر اتصال البروق فكما أن الليلة الظلماء تتوالى البروق فيها وإيصالها إذا قدرت تصير في ضوء النهار[1].

وبالنظر إلى ما ذكره عثمان المكي يدخل عدم فهم أنوار التجلي المشارك في غيبه تختلط لديه فيها أمور كثيرة خاصة إذا كان قريب العهد إلى الدخول في الحضرة وهذا ما أكده 13.97 من مجموع المفردات التي حصل لديها لبس في فهم الأصوات المتشكلة في حمية الجماعة بينما فصل 11.49 من العينة عن مصدر الصوت وقيل انه ذو نغمة إيقاعية ذهبت بهم بعيدا إلى قراءة فلسفية ذات الكشف الصوفي ، فقد يكونون من الموهوبين إن هم ورد لديهم وارد يخبرهم إن ملفوظات الشبه خارجة من الفم تتوالد منها لغة رمزية مختلفة عما أدركوه طيلة تعلقهم بحالة الجذب.

- **فئة الحركة:**

إذا كان علم النفس يستخلص صفات الشيء الذي هو موضوع دراسته من التعبير الخاص في السلوك فان الحركة التي يقوم بها الكائن ،تكمن في عقدة الحراك العقلي، تضبطها أدوات فيزيولوجية وأخرى طبيعية وأخرى أرواحية تزيدنا فهما تعمل عمل العقل الباطن الذي يترجم لنا

[1]- ضياء محمد لموسوي، فلسفة الخلاص، كنوز الحكمة، الجزائر، ط 2013، ص 94

تأويلات بعيدة نسبيا عن الحقيقة لهذا رأينا من الضروري دراسة تأويل الكيفية التي قيل بها النص من خلال الجدول رقم (3 المتضمن عنصر الحركة.

الحركة	التكرار	النسبة
عادية	28	46.66
تمثلية	10	16.66
مدوية	20	33.33
أشياء أخرى	02	03.33
المجموع	60	100

المصدر: الباحث

التحليل الانتربولوجي:

ما نلاحظ في الجدول رقم (3) هو اعتبار الحركات المسجلة أثناء الحضرة هي أمر عادي، لا يمت بأي صلة لظنون واهية مفضية إلى العجب، ونظر ما نسبته 46.66 إليها أنها عادية شبه في وضوحها مراسم الصلاة رغم ما ينتابها من صخب وحركة فسرها المشاركون على أنها تدخل في مجال العبادة الخاصة بكل شخص ، فكل مؤمن يعبد الله بطريقته غير إن 16.66 اقروا بان الحركات تمثيلية يعني اصطناعية وهو ما يلاحظه المبتدئون في الحضرة من عدم تناسقها في البداية كما ذكرت سابقا تبدا بالتصاعد لتصل إلى درجة الضوضاء المنظمة والعناصر التي عبرت على التمثيلية فهي معذورة لأنها لم تتعمق في تجربة أرواحية داخل الحلقة، ولم تتذوق مشربها فربما أصبحت دائمة النظر إلى وجوه الفقراء المشاركين، قبل البداية ،لان جلهم مثقفون ولهم معلومات سابقة على الرموز التمثيلية أو أنهم تذوقوا مجالات التمثيل المسرحي أو العقابي ووصل 33.33% من المجتمع المبحوث إلى نتيجة نفسية تتمثل في إقرار (.الدوي) أي وصول الحضرة إلى مبتغاها بتحريك الإقدام وإصدار الأصوات والصراخ بينما لم يتفهم 3.33% منهم ماذا يجري في حلقة الحضرة، من دوي وحركة منتظمة وسيلان العرق وإغماض العينين وتمايل فيزيولوجي للجسم تمايلا

عجيبا وربما يعود ذلك إلى عدم علمهم بأحوال المتحضرن أو يملكون معلومات بسيطة للغاية ولا أجد سبيلا أخر لتبرير ذلك غير جهلهم التام بتبعات الحضرة الصوفية، وما فيها من العاب فهو لا يدرك بان دوران الجسم هو إعادة للنور المنجلي في كل إنحائه فهو إما يبحث أو إن النور غشيه، كما يذكر شيخ العربي أبو العزام شيخ الطريقة العزمية بمصر[1].

- **فئة تغيرات الوجه:**

نقصد بهذه الفئة هو تحليل مجمل التغيرات التي تطرا على وجه المشارك من خلال الحركة المستديمة داخل حلقة الذكر قال الشيخ أبو العزائم إن الحضرة هو نوع من الرياضيات العبادية تؤدى فيها حركات تستدعي جهدا عضليا، وما دامت (الحلقة) تعتمد على الإجهاد، فان احراق السعيرات الحرارية أمر في غاية المنطق وهذا الإحراق لا يتم في دورة الحركة إلا إذا صاحبه تغير في الأعضاء المسئولة عن الحركة.

فالجدول رقم (6)يوضح تغيرات الوجه:

تغيرات الوجه	التكرار	النسبة
فرح	15	22.72
حزن	25	37.87
بكاء	15	22.72
صياح	11	16.66
المجموع	66	100

[1]– مقابلة مع الشيخ ابو ألعزام – شيخ الطريقة ألعزمي ورئيس الاتحاد العالمي للطرق الصوفية، مصر، 2015/05/22، بمكتبه ليلا لمرافقة الطالب أبو بكر عمر، طالب نيجيري بالزاوية العمانية، وهو مريد تيجاني، بمقر التي جانية.

التحليل الانثربولوجي:

نلاحظ في الجدول رقم (6) المتضمن تعبيرات الوجه أثناء (حلقة) الحضور اغلبه منطوي وحزين بـ 37.87% مجموع 25 مبحوث عبروا عن شوارد الحزن وهي ترى لهم عند يتيقنون بعد مرور وقت معين على حركات (الحضور) بان السمات بدأت تميل إلى الحزن، وهذا أمر عادي لأن ما حدث بعد الشهود هوسحق ومحق ينتج عن ذهول العبد اتجاه مايرى ،فهو يحق له والمحق يتبع السحق فلا يبقى للعبد شيء من نفسه يقول أبو سراح الطوسي بقوله هو ذهاب الشيء إذا لم يبق له أثر ويؤكد الإمام النوري قائلا إن الخاص والعام في قميص العبودية إلا إن من كان منهم ارفع جذبهم الحق ومحاهم من نفوسهم في حركاتهم في ذلك يقول تعالى: ﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت**﴾الرعد 39، إذن يمكن تفسير الحزن البادي بنوع من الهلع أوالخوف عندما يكشف المؤمن عن نفسه تتراءى معاصيه بادية امام نور الجلال، فيرفعه الذكر إلى درجة البوح عن طريق الصياح والحزن وهذا السحق والمحق لا يعطي إلا من كان عن طريق المجاهدة وهم الخاصة من عباده الصالحين.

وسجلنا نفس النسبة،عندالبكائين الطامعين في المحو والسحق وفي انتقال قلوبهم من حس المحسوسات إلى رؤية الشواهد ،يحدث لهم بكاء وعويل لقوة ما رأوه من شواهد نورانية تفيض بهم إلى اعلي مستويات ويمكن إن نجمل أسباب البكاء وفق ما ذكر القشيري في الرسالة.

عندما يمحو عن قلوب العارفين ذكر الله وثبت على السنة المريدين، وهذا ما زاد في رفعته مطالبا لما ذكر السهر وردي البغدادي، ان المحو لا يكون إلا بإزالة النفوس أو محور رسوم الإعمال بنظر الفناء إلى نفسه فيحدث له تميز فعال يؤدي به إلى البكاء ، إما الصياح فقد أوصلهم المولى تعالى إلى المعرفة الذوقية فتذوقوا طعمها لأنهم جاهدوا أنفسهم وقاوموا شهواتهم فتنور إحساس لديهم بالقرب إلى الرضا واستلهموا في عقولهم (معرفة لدنية.) لم يتحصلوا عليها بالطرق العادية في

المدرسة العادية بل جاءتهم من لدن حكيم ، وهو ما يعرف بعلم الإثارة فحدثت لهم حالات من الصياح بهذا جاءت النسبة قليلة وهي كبيرة تدل إن مقر الزاوية البوزيدية هو مقر إلهامي فيضي.

- **فئة حركة الرأس:**

نقصد بفئة "حركة الرأس" هو دراسة تأثير الذكر على قلوب المشاركين إلى درجة تحريك رؤوسهم في اتجاهات مختلفة ربما تعبيرا عن أنواع من الأحاسيس التي لها علاقة بالشهود.

جدول رقم (7) يبين حركة الرأس

فئة حركات الرأس	التكرار	النسبة
يمين	13	15.66
يسار	12	14.45
يمين شمال	33	39.75
يسار شمال	25	30.12

التحليل الانثربولوجي:

عندما يشتغل الجسد فلا يعود المشارك يدرك حال الجسد إذ سكن في قلبه نور أخر، غير ما اعتاد عليه وقد قيل عن هذه الغيبية بأنها مقام برزخي خارج عن حدود البشري يقول الكلاباذي إن الغيبية هي غياب المريد عن خطوط فلا يراها وهي اعلي الخطوط قائمة معه موجودة فيه، غير انه غائب عنها شهود الحق لهذا لا يكفي الجسد إحساس لأنه يشهد حركات عديدة، يؤمئ المشارك إلى رأسه في البداية وكأنه يتكلم بلغة الإيماءات مما جعل الملهمون الذين تطلعوا على الخطوط الخفية يحركون رؤوسهم يمينا وشمالا كما عبر عنه المبحوثون بمجموع 39.75% بهم قد حدث لهم استغراق في اللذة ولو دام الأمر اكثر من اللزوم يتساقطون صرعى لان الجسد لم يعد يقوى وهو حاملهم بإرادة الله بينما عبر 25 مبحوث بنسبة 30.12% عن حركة الرؤوس من

اليسار إلى اليمين وهو تضاد حركي يوجبه الجسم لتحقيق الاعتدال غير انه يظهر مضاعفا في حالة (اليمين) تيمنا بأهل اليمين لأنه يكون على مخافة من الله وهم عن يمينه، لأنه ربما يكون المشارك قد رأى في اليمين ما يعظم نفسه عكس اليسار الذي ربما يتحقق فيه سحق المناظر بحكمة المولى تعالى (أصحاب اليمين وما إدراك ما أصحاب اليمين).

وعند تفسيرنا لنسبة 15.66% فهذا مرده إلى الشروع في بداية حركة الرأس باتجاه اليمين تيقنا بأصحاب اليمين والى اليسار بنسبة 14.45%أيضا لتسكين عضلات الرقبة قبل إن يدخل المشارك في عالم غيبية القلب أو حضور القلب باستيلاء الذكر عليه.

- **فئة حركة اليدين:**

يقصد بفئة حركة اليدين هو دراسة حالات التأثير الشديدة من خلال التمازج بين المشاركين كما انه يظهر رغبة المشارك في إقامة التواد والتعاون الاجتماعي أو ربما انه مر عليه زمن لم يضع يده في يد أخر، أو انه يكون قد اشتاق إلى إن يمسك الناس بيده نظير ما يحس انه اقترف من ذنوب تلك هي توشحات قد يلقيها العقل أثناء تفسير تلك الحركات الخاصة باليدين والتي في اغلبها تبرز سيمة التشابك العائلي أو الأسري أونقصه قد يخلق هذا التشابك إحساس باليتم عند الكثير من الذين عانوه وهم شركاء في الحضرة، التي تؤدي إلى تشابك اليدين أو إسدالهما أو قبضهما أثناء قيام الحضرة عندما يهيج الذكر بالشعور ويصل به إلى قمة التأثر بالله سبحانه وتعالى طالبا ما يتمناه من المولى تعالى..

جدول رقم (8) يتضمن حركة اليدين أثناء حضرة الذكر.

تعبير اليدين	التكرار	النسبة
تشابك	38	%57.57
إسدال	12	%18.18
قبض	16	%24.24

المصدر: الباحث

مهما كان نوع الذكر كذكر شهادة ان لا اله إلا الله أو ذكر الحزب أو الأدعية والأوراد، دون شك يحدث تأثيره إذا ما أحكمت الطريقة التي يتخذها الشيخ حيث كثيرا ما تميز الحلقة بالطريقة وفي العينة المدروسة اثبت 57.57% في عدد المبحوثين تشابك الأيدي دلالة على التواصل والالتفاف واليد الواحدة التي أوصى بها الرسول (صلعم).

قال صلى الله عليه وسلم: **"المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص"** وهذا إشعار بالتوحد الذي يعطي القوة ويحسن في العلاقات الأخوية بين المشاركين الوافدين من مناطق جمة كما ذكرنا في السابق وعددهم (19 ولاية) فأثناء تشابك الأيادي يزداد مفعول الشعور بالوحدة والصداقة كشعارين لطالما دعي إليهما الشيخ الحاج محمد دحاح إمام البوزيدية ولعل في التشابك بالأيادي عادة قديمة عند فقراء الزاوية كان المرحوم بن دربالي يشرف على الحضرة ويلح على ربط الأيادي جيدا يبعضها البعض ، ولما تنفصل بفعل الحركة والصعود إلى اعلى يعيد تثبيتها من جديد، وكأني به يصنع دارة كهربائية وعبر 24.24% منهم على تفصيل وضعية القبض المفردة لكونها تترك المشارك يتحسس اختيارات نفسه لوحده وكلما زاد الشعور بالخوف والرهبة احكم قبضه مما يؤدي إلى التأثير على عضلات الوجه أين يتصبب المريد بالعرق بينما أيد 18.18%من المبحوثين

وضعية الإسدال لأنها وضعية مريحة تساعد على التركيز وترقب ما يحدث أثناء السماع لان السماع هو مفتاح لحل الكثير من الحالات النفسية لها أثرها على الأعضاء.

يقول الإمام الهجويري السماع ينبه الإسرار ،لما فيه من المغيبات لتكون بذلك حاضرة دائما معبرة عن القلب فلكل حركات اليدين ما يبررها عند المشارك في الحلقة الذكرية البوزيدية، ويظهر لدى القارئ النبيه إن المشاركين أجابوا قبل انطلاق الحضرة وإجابتهم بخصوص محور الحركة كان قبل أن يتذوقوا حقيقتها لذلك انقسمت إجابتهم غير مدركين بان الحضرة البوزيدية تعتمد على تشبيك اليدين وفي بعض الأحيان تسمح بالإسدال أو الفيض في حالة الاسترخاء.

- **فئة حركة الرجلين:**

نقصد بفئة حركة الرجلين الوصول إلى دراسة ملامح الرقص الشرعي الذي ظهر به خلاف بين الكثير من الباحثين والجدول رقم (9) يظهر تباين المواقف بين الحركتين.

حركة الرجلين	التكرار	النسبة
وقوف على...	12	15.18
وقوف على الكعب	11	13.92
الضرب على الأرض	38	48.10
	18	22.78
المجموع	79	100

المصدر: الباحث

التحليل الانثروبولوجي:

مما يلاحظ في الجدول رقم تسعة هو تقسيم الفئة الخاصة بحركة الرجلين إلى أربعة عناصر بغرض الوقوف على الرقص ،الذي يأنفه الكثير من الباحثين، لما يحدث السماع من تأثير على المواجيذ وتحريك الشعور الغافل بذكر الله فيذوب معلنا تخليه عن منغصات الحياة،تنطوى عندها

قطاعات الفرح وتتناحى من خلالها حركة الرجلين فكما يظهره الجدول السابق فان اعلي نسبة عبرت عن الضرب بالرجلين بلغت 48.10 وهذا ما يؤكد ترخيص الضرب بالأرجل عند الطريقة البوزيدية وإباحتها لأنه ضرب يتخلله ذكر فقد أباحه أبو عبد الله السلمي ت311هـ استنادا عند بعض الصحابة الذين حركوا أرجلهم تشبيها بالرقص، فالضرب على الأرض هو حركة عادية للأرجل تتأتى بالتواصل اثناء ضرب الأرجل وانغماسها في لذة الذكر حيث يبدأ العمل باليدين ولما يتطور أمر اليدين تتحرك الأرجل وما يؤكد تلك الصفة هو تعبير 15.18% من المبحوثين على الوقوف على المشط و13.92%بالوقوف على الكعب بينما عبر 18 مبحوثا على وضعية التبريك التي هي في الحقيقة ليست حركة تدخل في غمرة الحضرة بقدر ما هي فرصة لإعطاء راحة للأرجل التي باتت واقفة وصاعدة بطريقة تداولية تواصلية ترهق الجسم والبدن كليا.

نخلص في باب الرقص انه لا منزوحة من ورائه إذا تعلق بالأرجل على غرار ما فعل صحابة رسول الله وفقا لقوله تعالى ﴿يذكروا الله قياما وقعودا﴾الآية...

الفرع الثاني: التحليل الكمي والكيفي لفئات المضمون

تدرس فئات تحليل المضمون (محتوى) الذي وردت عليه الإشكالية سؤالها أو مساءلاتها، لذلك وضع علماء المناهج معيار تقسيم وتبويب الإجابات الفرعية من المواضيع الجزئية، حيث تتولى تقسيم موضوع الحضرة في الإسلام بصورة عامة ثم نتطرق إلى استعمالها في الزاوية البوزيدية.

- **فئة القيم:**

اعتمدنا على فئة القيم الإيجابية الواردة في موضوع الحضرة في الإسلام باعتبارها تتعلق بملفوظ وردت عليها آيات وطبعها أسانيد صحيحة ،مما قصدنا لأنها تتعلق بالتصوف السني وإذا وضعنا قيم سلبية إنمانقصد بها ملفوظات تعبر عن الندم والبكاء على اقتراف الذنوب لان الرسول صلعم أوصى أمته بالبكاء والتباكي أثناء قراءة القران من هذا المنطلق حاولنا تبرير استعمال القيم

السلبية كملفوظات معبرة عن التأثير النفسي الذي يحدثه (موضوع الحضرة) في حد ذاته كموضوع براسيكولوجي قد يرفع بالمشارك إلى عالم أرواحي، على حد ما وصف ادوارد تايلور صاحب النظرية الأرواحية.

جدول رقم (10) تتجلى هذه المقاربة المنهجية في الاستعمالات المختلفة للقيم في موضوع الحضرة حسب ما يوضحه الجدول الأنف الذكر وردت هذه القيم من السؤال الجوهري كيف وجدت نفسك بعد الحضرة ؟ وأعطيت لهم خمسة عشر اختيار.

الحضرة قيمة القيمة	الملفوظات	التكرار	النسبة
	فرح	70	11.16
	راحة	30	4.78
	سكون	20	3.18
	طهر	11	1.75
	ولادة جديدة	10	1.59
	إنسان أخر	75	11.96
	متميز	60	9.56
	رغبة في الصفح والتسامح	55	8.77
	خفيف	40	6.37
	رغبة في...	11	1.75
	تغير نمط الحياة	30	4.78
	مضاعفة الصلاة	40	6.37
	رغبة في ضبط...	60	9.56
	رغبة في ضبط الأحاديث	50	7.94
	.....الدهر	35	5.58
مجموع القيم	100	627	100

المصدر:الباحث

في القيم الإيجابية وبالنسبة للقيم السلبية وضعت لهم اختبارين وطلبت منهم إضافة اختيارات أخرى.

جدول رقم (11)

الحضرة	الملفوظات السلبية	التكرار	النسبة
مذنب	22	28.20	
حقير	08	10.25	
...	20	25.64	
بكاء	10	12.82	
منافق	08	10.25	
كاذب	10	12.82	
المجموع	78	100	

المصدر:الباحث

1-التحليل الانثروبولوجي (للقيم الايجابية)

نلاحظ في الجدول رقم (11) المخصص لفئة القيم، سواد عدد كبير من التكرارات والتي ربما يطرح بشأنها تساؤلا قمنا بتوجيه السؤال كيف وجدت نفسك بعد الحضرة؟ ووضعنا 15 اختيارا كمحددات بناء على ما ورد في موسوعة التصوف وأعطينا في ذات الوقت الحرية للمبحوثين بوضع كل الاختيارات المناسبة لان إدراكنا بعملية الجمع بين الاختيارات أمر وارد لأي مشارك وكنت واحدا منهم في الحضرة التي سبقت الحضرة المعنية بالدراسة.

شعر 11.16 بالفرح والسرور لأنهم دخلوا إليها بصفة مليئة بالدورات ومنغصات الحياة من مشاكل ومشاغل ولما انتهوا من هذه الرياضة الروحية كانت بوادر الفرحة لا تسعهم وهذا شيء له مدلولين إما الدال الأول فان الغالبية منهم حدثت لها مراتب ترقى إلى الحضرة المحمدية وحضرة

الجلال فحصل لهم إحساس بالرضا خاصة إذا كانت ذنوبهم كثيرة وعلموا إحساسا بالمغفرة فزرع ذلك أول مظاهرة الفرح وهو ما دعي بهم إلى التعبير أيضا وكأنهم تحولوا إلى أناس جدد مطهرين فالحضرة هنا عمدتهم وكأنهم غمروا في مياه مقدسة على طريقة تعميد سيدنا يحي أو كحادثة شق الصدر للرسول عليه الصلاة والسلام في صباه، فهذا الإحساس بالتلون الجديد هو فطري عقيدي في المسلم لأنه إلف مظاهر هذا التحول في التاريخ الإسلامي ،فسيدنا عمر بن الخطاب حوله الإيمان برسالة الإسلام وطهارتها إلى إنسان جديد ، فان أرى المثل مطابقا لما عبر عنه المشاركون (جملة وتفصيلا) فالحضرة بالنسبة لهم تطهر من الماسي واعتراف بالمعارف الدنيوية التي شغلتهم عن عبادة الله الواحد الأحد، وعندما يصل الإنسان إلى هذه الدرجة من الرضا يحدث له التقرب وهو الأمر الذي جعل 09.56% يرون أنفسهم متميزون أي أنهم تسلقوا إلى مرحلة فوق العادية بمقارنة نظرائهم فرؤية الحجب حسا مدعاة إلى الإحساس الكبير بالتقرب وعندما يشعر المشارك بالرضا الكلي من الله عليه أو من شفاعة رسول الله، لا يرى نفسه بنفسه بل يراها بنفس تتعالى في السمو فلا هي نفسه ولا هي نفسه عند هذا الحد تأتي الرغبة جانحة إلى حفظ كتاب الله وأحاديث الرسول (صلع) لان المتقرب المتميز يشعر انه لم يكمل دوره الرضا لأنه لم يحفظ كلام الله كله وأحاديث الرسول (صلع) وهنا يتسنى البعض من الحفظة السامعون قبل الحضرة انه تولدت لديهم رغبة في حفظ القران ، بمجرد ما يتوجهون إلى مدنهم، فصارت أساريرهم طيبةتخلوافي أعماقهم عن كل ما هو فان، عبروا غير منقطعين في حدود 8.75%عن رغبتهم في التسامح والصفح لأنه في رأيهم لا يجب إن تعلق في أصلابهم إي شأنيه من شوائب الدنيا.

وهم يدركون إن المظالم كثيرة، وإنها محل قصاص عادل يوم الصراط ولظنهم وعلمهم بفضائل الصلاة أكد 6.37% منهم رغبتهم في مضاعفة الصلوات المرتبة والنوافل زادهم شعور التقرب بأهمية الصلاة تحقيقا لمعيار العبادة ﴿وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون﴾ الآيةومن الجانب النفسي شعر 6.37%منهم بالخفة وكأنهم يحلقون مما أثلج صدورهم وجعل اختياراتهم في

الإجابة تتنوع من خلال النشاط والحيوية التي ظهرت فجأة اثناء انتهائهم من رياضة الحضرة، التي عبر عنها 3.18 % منهم بأنها سكون وطمأنينة وراحة.

2-التحليل الانثروبولوجي للقيم السلبية:

نلاحظ في القيم السلبية التي ظهرت من خلال الإجابة على سؤال مباشر ، هل شعرت داخل الحضرة بالاختيارات المحددة في الجدول وهي (مذنب-النفاق والكذب) تطابقت لديهم الاختيارات ما بين الإيجابي والسلبي حيث أيدوا إعجابا بالحضرة بشكل عام وعندما توغلوا داخل محددات الاستمارة حدث وكأنهم اكتشفوا أشياء جديدة لأول مرة لم يكونوا قادرين على الإفصاح عنها، ومنهم من كان يتنحى عنها وهذا ما جمعته لدى البعض منهم عبر 28.22%من المستجوبين عن شعورهم بالذنب، وقد احتاجت هذه الإجابة إلى تفصيل فرعي مفاده هل أنت مذنب قبل إن تدخل الحضرة؟فأكد المبحوث أنهم شرعوا بذنوبهم واعتبروا أنفسهم مذنبين وعبر 25.64% عن حزنهم الشديد لفوات الزمن ولجهلهم برياضة الحضرة والتي كانت متاحة لهم وكانوا يستخفون بها لما يرون عبر اليوتوب والمواقع تلك الحلقات المدمجة بالشعوذة، إن هذا الجهل جعلهم يرون أنفسهم مذنبين من خلال اقترافهم الكذب 12.82% والبكاء على ما فات 12.82 % ودخلت هذه المحددات ضمن الأسرار التي ظلوا يحتفون بها حتى لما انغمسوا في الحضرة وتذوقوها بنية صادقة.

كنتائج عامة:

نرى أن القيم الاجتماعية على كثرتها جاءت متميزة ومقنعة لدى الكثير ، بأن الحضرة باعتبارها رياضة روحية قد تضاف إلى مكاسب الصلاة خاصة أنها تحتوي على كثير من الأدعية كما أنها تضاعف من الذكر الحكيم فالآيات تقرأ مرة واحدة في الركعة و تقرا مضاعفة في الحضرة، وهذا سر الحضرة فقد حدث فقيه انك إذا ناديت مرة واحدة قد لا يستجاب لك وان كررتها مرات فقد يفعل، ولهذا جعل الرسول صلعم معيار الصلاة عليه 70 مرة في اليوم مصداقا لنيل شفاعته يوم القيامة، بينما جاءت القيم السلبية معبرة عن الواقع الخفي الذي يعيشه المؤمن من خلال ابتعاده عن اعتقاد التقرب الى الله رغم كثرة الوعي والوعظ المسجدي والإعلامي غير ان الانسان يظل في تباعد تعوزه في ذلك أمور كثيرة وبإدراكه للحضرة والانغماس فيها، لاحظنا انه عاد الى جادة الصواب وهو ما عبر عنه بكاءا أو حزنا على ما فاته من فضائل وفهمها على حقيقتها الإيجابية ، لكان خيرا له ولأهله من بعده وللمجتمع قاطبة.

- **فئة الموضوع:**

تعد فئة الموضوع ذات دلالة ضمنية قرائية لمحاور الموضوع المعني بالدراسة وهو موضوع الحضرة في الإسلام من حيث أدائها وبالتالي نصوصها التي هي الأغلب دينية (قرآنية)، أدعية، تسبيح، لان بالمحاضرة العمل على حضور القلب بتأثير الكلام عليه، ولهذا فقد صرفنا النصوص المتفقه عليها لزوار حضرة البوزيدية اعتمادا على ما توافق عليه الطريق، وفق ما يوضحه الجدول رقم 8 الآتي:

أ/ تقسيم الموضوعات الرئيسية إلى موضوعات فرعية

الفئة		التكرار	النسبة
الذكر	أية قرآنية	10	10.20
	حروف	12	12.24
	البسملة	02	02.40
التسبيح	سبحان الله	10	10.20
	الحمد لله	10	10.20
	لا اله إلا الله	12	12.24
	لا حول ولا قوة إلا بالله	04	04.98
اسم الجلالة	الله	20	20.40
	حي	04	04.98
	الأسماء الحسنى	04	04.98
الأوراد	القادرية	02	02.04
	الرحمانية	06	06.12
	التي جانية	02	02.04
	العيساوية	02	02.04

التحليل الانتربولوجي

ماميز المشارك في الحضرة هو التناغم الذي يأتي من مضاعفة الذكر ويتحول الكلمات إلى سماع للحروف لهذا 12.24 منهم كانوا يسمعون حروف (أ.ل.أ.هـ) وهم يدركون معانيها وكأنهم يقسمون الكلمات فاعتقادهم بحروف الفتح العرفاني (كنون) و (إلف) (لا) (م) بينما جاء اسم الجلالة اقوي بنسبة 20.40% مما يعني إن الحضرة البوزيدية جلالية تعطي الشيخ أولوية لورود الأصل فيها منذ القدم، ولعل هذا ما يميزها بعد الشروع في ترديد الأوراد المسربة في الزاوية باسم الجلالة ورد وصفه بـ 28 مفردة هي باب الحصن للمشارك الراغب في الطهارة أو التقرب ثم تأتي

الباقيات الصالحات بمسطار36 مفردة عبرت عن شيوع ذلك بين أوساطهم ،بينما لم نسجل بالنسبة للأوراد سوى 10 مفردات وزعت بنسب متفاوتة بين أوراد الطرق الرمانية 6.12%و 2.04%والتيجانية 2.04%والماشية بـ 2.04%.

وأثناء مواصلتنا توجيه الأسئلة في محور المقابلة بحثا عما يعرف بالمكاشفة، كمرحلة ثانية يدخل فيه المشارك الذي أذابه الذكر قال القشيري في الرسالة: "المكاشفة حضوره لبعث البيان غير مفتقر في هذه الحالة إلى تأمل دليل وتبسط الرأي للداخل فيها قال إني رأيت درجة من درجات الأسماء الحسنى كأن يقول إني وصلت إلى الإحاطة بالصدق متزوجا بنور الصادق. فغالبا ما حدثت لهم حقائق شهود لا يستطيعون تفسيرها كما لا يجدون اللغة المعبرة عن ذلك فيكتفون بالقوة أو عدم الاهتمام لما رأوا لأنه فائق لمدركاتهم.

- **موضوع الذكر:**

نقصد بالذكر كل ما ورد في آيات قصيرة يرددها المشارك بما فيها "البسملة" وبعضا من الحروف القرآنية وفق ما يبينه الجدول رقم 12.

		التكرار	النسبة
الذكر	الآياتالقرآنية	10	41.66
	الحروف	12	50
	البسملة	02	8.33
المجموع		24	100

المصدر: الباحث

نلاحظ في الجدول رقم اثني عشر غلبة استعمال الحروف لدى المشاركين بنسبة 50% وهو ما نفسره وفق طرح:

أما الطرح الأول يتعلق بالاعتقادات السابقة والمعرفة العامة كالأسماء والحروف التي كثيرا ما كان المشارك يطلع عليها منذ بداية رسمها في المصحف أو في اللوح، وخارج الكلمات بالنسبة لهم هي مفتاح الفرق القلبية لذلك.جاء الاعتقاد حولها وكثيرا منهم أثناء مقابلاتنا لهم كانوا يتكلمون عن السر الأعظم في دواخلهم والطرح الثاني فلأنهم حفظة لكتاب الله وبذا فان تأثير الذكر يكون قد ظهر جيدا من خلال النوعين التاليين:

الذكر: يقصد بالذكر(عملية التلفظ باستعمال اللسان لحروف القران حيث يعظم الله بعبارات نمطية محددة أصبحت معروفة لورود رسمها في القران، ويشتمل خرقها باللسان (أي تصحف) لان ذلك يؤدي إلى سقوط اللسان في قاعدة مخالفة السواد الأعظم ومن صفاته الجهر أو السر حسب ما اتفقت عليه الطريقة وعند البوزيدية نستعمله في كلتا الحالتين.

ويشترط حضور القلب مع الله لأنه هو المعني بالتعظيم، فلذلك يجب جلب عظمته بمقداره المحدد قبلا ومعلى المشارك البذل جهد بدني وروحي ،يقتضي تهيئة البدن على مضاعفة قران الذكر (بالحروف) مستعدا لتأثير ذلك جسديا عندما يظهر عليه تعب الأمكنة الخاصة بمصدر التقول (الجهاز الصوتي) وما عليه إلا أن يستعد لقفزة القرب من حضرة الجلال وهي الأصعب والأنفع، فمن حيث هي صعبة فذلك لأنها تتطلب إحضار القلب مع الله في لحظة كأنها الحقيقة، يحدث التملص نحو الدخول في الحضرة ، وهي تشبه لحظة ولادة المولود الذي يخرج من عالم الظلمات إلى حركية النور، كذلك هو بالنسبة للذاكر المنغمس والمتذوق وهذا ما يعني إن القرب الذي وصل إليه هو قرب روحاني.

يجعل الذاكر منساقا إلى عالم الحضرة الإلهية يعني الكائن الذي كان فيه ويعيش غير مرتبط بالكان برزخ الحضرة الذي يعود عليه بحسب ما أعطى من الله في برزخ الكان ،فان كان مخلصا لله حنيفا فقد يصل إلى مقام الإخلاص وهكذا حتى يصير يد الله إلي ببطش .بها حين (العودة

المباركة) لأنه قدر له العيش وفق نطاق الزوجية والأعمار. (وإذ قال ربك إني جاعل في الأرض خليفة..).

وذكر الجنيد مواقع متعددة للتقرب بقوله: إن الله يقرب من القلوب عبادة على حسب ما يرى من قرب قلوب عيادة منه فالغافلون يعيشون في حلم الله والذاكرون يعيشون في رحمة الله والعارفون يعيشون في لطف الله والصادقون يعيشون في قرب الله أي في حضرته.

الفرع الثالث: الذكر القراني:

نقصد به تلاوة القران جماعيا كما عبر عنه 41.66% من المبحوثين ولا يشمل القران مكملا بل يذكرون الله في شكل أدعية وأوراد وأذكار ومدائح نبوية، وهو ذكر يقوم مقام التطهير وتحقيق المأمول فمن حيث هو تطهير يتولى حراسة الجسد من كل كدورات الدنيا ما فيها وعاينها ،وقد جعلته الباحثة منى أبوزيد له خصائص منها حفظه للوقت وحراسته للجوارح، يحدث للمشارك إذا تحققت لديه هذه النعم ما يسمى بالفوز والفوز فوزان فوز المستصعب له وفوز بالدنو إلى حضرة الجلال.

ولما كانت البسملة (هي مفتاح) اعتقد 8.33 بان لها وقع مجلجل في الذات، لان اختلاف الفقهاء حول اعتبارها أية من عدمها جعلهم في الطرق الصوفية .

موضوع التسبيح:

يقصد بالتسبيح كل ما استشرى على السنة المؤمنين من عبارات التعظيم المتفق عليها في أحكام السنة وهي (لا اله إلا الله، سبحان الله وبحمده، الله اكبر، لا حول ولا قوة إلا بالله) وفق ما يبرزه الجدول.رقم 13

	تفصيل الموضوع	التكرار	النسبة
التسبيح	سبحان الله	17	19.54
	لا اله إلا الله	40	45.97
	سبحان الله وبحمد	20	22.98
	لا حول ولا قوة إلا بالله	10	1.14
المجموع		**87**	**100**

المصدر:الباحث

التحليل الانثروبولوجي:

ينقسم موضوع التسبيح إلى أربعة تقسيمات جمعناها قبلا إثناء المقابلات مع المشاركين وهي تمثل ما وافق الكتاب والسنة من أحاديث كثيرة ،تناولت فضائل التسبيح في الشفاء والفوز بالمراتب والنصائح الجارية من أفضاله تعالى على العباد يظهر الجدول رقم (13) اتفاق المبحوثين وعددهم 40 على ترديدهم للشيخ الوحداني "لا اله إلا الله" لان المقصد عند نسبة 45.97 هو البحث عن حضرة الجلال قال عبد الرزاق القشاني في تفسيره للآية "واذكر ربك إذا نسيت" الكهف 24 يعني الرجوع إلى الله أي اذكر ربك بالرجوع بمعنى الحضور، فلهذا كان اعتقادهم تسليما أنبنى على المفهوم الصحيح إلا وهو حضور القلب بالله، فمتى مشى الذكر في العروق تسليما معافى من وساوس الشيطان سكن التسبيح في القلب ويبقى هناك حارسا موكلا بكل ما أمسى عليه الذاكر

بينما عبر 20 مشاركا بنسبة 22.98% عن موضوع التسبيح سبحان الله وبحمده، جاءت كعبارة لتعظيم ربوبية الله تعالى وهي تشبه عبارة سبحان الله لوحدها بدون الحمد كما حفظها المشاركون وحمل صفتها اللسان بينما اكتفى 1.14 بعبارة (لا حول ولا قوة إلا بالله) في أخر إجابة تدل على انه لا قوة إلا بالله ولهذه العبارة مدلولاتها في المكاشفة والفناء كما سيأتي ذكره.

- **فئة اسم الجلالة:**

يقصد بفئة اسم الجلالة التعرف على اسم الجلالة عند المشاركين في الحضرة البوزيدية وفق الجدول رقم 14

	التفصيل	التكرار	السنة
اسم الجلالة	الله	60	66.66
	حي	20	22.22
	أسماء الجلالة	11	1.22
		90	

المصدر الباحث

التحليل الانثروبولوجي:

نلاحظ في الجدول رقم 14 عليه لفظة الجلالة "الله" في سياق الكلمة بمعناها التأويلي يحتوي على الكمال الذي لا مثيل له لهذا جاءت 66.66% تؤكد هذا الكمال الذي أصبح في الاعتقاد هو (كل شيء) خلق الخلق وصورهم أبدع بيديه الكريمتين صنع الإنسان وزاد وانقص عليه لعلمه فزاده البشرى تعظيما أسوة بالرسول صلع والذي تدني في حضرته وكان هذا نسبة الإمكان الروحي، فلو أدرجنا فن الألسنية بتحديد سقف الكلمة فهي الأعظم (الله) فأصبح المشارك بغوص في باطنها بترديد حروفها صار لكل حرف معنى ، تواتر الخلق عليها أبا عن جد

واصفة له اسم "الحي" الذي ليموت، ففي غمرة حضور القلب يحب إن تنقى ذوائبه بأنوار هذين الاسمين حتى يصلح القرب بعد الطهارة وكثيرا هم المشاركون الذين يضيفون من عندهم أسماء الله الحسنى سرا وعلانية في خضم السماع المتعالي فالقضية هنا من هذا التناول الالسني هي قضية تفكيك للغة رمزية اعتقد فيها الكائن داخل ظاهرة الحضرة وهو التفاعل المعبر عنه بالرمزية والفينومونولوجية ، ما يجعلنا نتحدث في إطاراستعمالات الرمز الديني بكلتيه (الله) يقوم المشارك بإظهار لديه كل صفات الحق ولاسيما للحافظين كتاب الله، فبمجرد استحضار أسماء الله الحسنى يحدث تقابل بين القصد العقلي واستعمالات الرمز عندئذ يحدث توافق إذا يتمكن المشارك من التفاعل و تصريفه هو تجلي الشيء ذاته وليس من خلال تصور يمثله فترتعد جوانبهم من شدة الخوف والشوق.

- **فئة الأوراد:**

يقصد بها مجموع الأدعية التي الفتها الطريقة عبر مختلف مساراتها في الحضرة، وقد اعتمدنا على أربع طرق المعروفة والتي صرح لنا بها زوار الجمع العام.

للطريقة البوزيدية وفق الجدول التالي:جدول رقم 15 يبين الأوراد المستعملة في الحضرة

الورد	التكرار	النسبة
القادرية	06	
الرمانية	60	
التي جانية	04	
العلاوية	02	
الطريقة العلاوية	40	
	82	

المصدر:الباحث

التحليل الانثروبولوجي:

نلاحظ أن الجدول رقم أربعة عشر وضح استعمال أوراد الطريقة الرحمانية تبقى عبارة "لا اله إلا الله وحده لا شريك تيمنا بحديث الرسول صلع برواية مالك قال "أفضل ما قلته إنا والنبيين من قبلي لا اله إلا الله وحده لا شريك له" مضاف إليها أدعية منها دعاء التسبيح للقاضي عبد الوهاب:

وفحواه: لا اله إلا الله المعبود في كل مكان

لا اله إلا الله موجود في كل زمان

لا اله إلا الله المعروف بالإحسان

لا اله إلا الله المنان المنان

إن ورد الطريقة الرحمانية له فواصل وبدايات اشترطها الشيوخ وتدخل فيها الآيات القرآنية حيث يذكر المريد صباح مساء بعضا من الآيات القرآنية مبدأها الآية 19 من سورة محمد ﴿فاعلم انه لا اله إلا الله﴾ ثم يذكر (لا اله إلا الله) 300 مرة ثم يصلي على النبي بصفة اللهم صل وسلم على سيدنا محمد المذكورة في الآية 7 من سورة الأحزاب وبيوم الجمعة أذكار خاصة تطبيقا لحديث الرسول: "أكثروا من الصلاة علي في الليلة الغراء واليوم الأزهر" وقصد بذلك ليلة الجمعة ويوم الجمعة في رده على استفسار صحابته المرضيين...

إن هذا التشبع قبل الدخول في الحضرة يعطي للمريد أو المشارك قوة بنوال السر أو الفوز بما يجيب النفس وعند الأوائل من الصوفية هو نوال الإسرار خصوصا فيما يدخل بتسهيل الأمور أي تساعد على بلوغ الرفاهية المادية بعلامة مع البعد الباطني وهذا باب الطريقة الرمانية التي كانت

تركز على الإخوة والمحبة بين الناس لهذا يمكن مقاربة هذا الإقرار بالطريقة الرمانية من قبل المشاركين فيها (أخرى مقاربة بين الطرق الأربعة).

- **: وحدات التحليل**

نقصد بوحدات التحليل كل النصوص سواء كانت مقاطع وأجزاء منها تنتمي إلى خصائص موضوع الإشكالية والباحث وحده من عليه ملائمة الوحدات إلى موضوع الإشكالية كما أنها مرتبطة بالموضوع المراد تحليله ولها علاقة مساعدة بالفئات المختارة التي في الأصل حساب لاتجاه الفئة، وفي الموضوع الدراسة تم الاعتماد على ما يلي:

وحدة الكلمة: يتولى الباحث حصر الملفوظات التي تعنى بالفناء أو القرب وفي الموضوع تم استخدامها للحصر من اجل معرفة فئة القيم باطنيا وسوسيولوجي.

وحدة الموضوع: إبراز الجملة التي تركز على عوالم الحضرة وعلاقاتها الانثروبولوجيةبالأطر الباطنية والسطحية.

الوحدة الزمانية: يقوم الباحث بحصر كمي لمدة إقامة الحضرة داخل الحلقة.

وحدة الفقرة: يتولى الباحث البحث في كل الفقرات.

وحدة الجمهور الخاص: وفيه يتم تناول تحديد الجمهور المشمول بالحضرة.

وحدة الاتجاه: وفيه يتولى الباحث معرفة اتجاه المبحوثين من حيث التأييد للحضرة ومناهجها.

- **فئات وحدات التحليل**

أولا: وحدة الكلمة

سوف نقوم في هذا المبحث بتحليل كمي وكيفي لفئات الشكل التي ألقيت بها الحضرة، بهدف الإجابة على تساؤلات محل الدراسة.

الفرع الأول: فئة اللغة

من الطبيعي إن نتناول اللغة في جوانبها الباطنية لكن نتعرف على تفاعل المعاني المبنية على أسسها مراعين في ذلك قوة الرمز الذي يشكل من خلال ترديد ملفوظ (سبحان الله) تتحرك قوة اللسان دالة على تكرير الملفوظ في شكل مجهود.يقتضي إحراق سعيرات حرارية تشكل قوة دافعة لتحريك البصلات على مستويات الجسم مع حساب الحركة المنفعلة سواء بتقديم الصدر إلى الإمام أو إرجاعه إلى الخلف بهذا حاولنا استقراء كيف قيل من خلال الجدول التالي:

جدول رقم ستة عشرة يبين مستويات اللغة التي قيل بها الحضرة

مستويات اللسان	عدد التكرار	... العرف	التعب	البكاء	.....	غيبة
سبحان	300	30	20	10	20	10
الله	500	30	20	20	20	30
لا اله إلا الله	200	10	15	10	10	20
الله اكبر	80	10	20	11	20	30
الله حي	50	20	20	20	20	10
المجموع	1530	100	95	71	90	90

المصدر الباحث

نلاحظ في الجدول رقم 16 المشخص لميتافيزيقيا اللغة التي قبل بها (وحدات) التسبيح حيث غلبت اسم الجلالة (الله) على منطوق المشاركين بنسبة 32.67% وهي اعلي نسبة تلفظ بها القائلون بإحساس كبير أدى إلى ظهور عدة تناغمات لمصطلح الله تشديد الإدغام (بقولهم (ا ل ل هـ)) مما يعني غمرهم للغة من الداخل يعني تفكيك الوحدة إلى حرف تبحث عن شيء يقال في اللغة القرآنية إن الأسماء هي علة وجود الأشياء من خلال تأثرهم العميق في حالة الطمر داخل الملفوظ تبين أنهم سائرون فيزيدون تفكيكا لحرف (الهاء) بقولهم (أ هـ) وبالتالي رغم أنهم ظنوا انه تستطيع الكلمة إن تتحول إلى حروف بظهر القرب وهذا كان خلافا لما عبروا عنه لان اسم الجلالة يحتوي في ذاته على ما يفسره عند المشارك، لهذا اخذ الناس في طباعهم إن اسم الجلالة هوا عظم الأسماء فلا يكون التقرب أو الفناء إلا في تفكيك حروف الأسماء، رغم إدراك انه لا يمكن رؤية الله بالإبصار لورود ذلك بالنفس بالإجماع ولو على أصل الكرامة ولكن اعتقادهم إن الاسم في حد ذاته سيعطيهم المدد وهو ما أكده عدد المرات التي قيل بها ملفوظ (الله) وصل إلى 300 مرة حسب المشاركون وهو عدد تقريبيي قد يكون بالزيادة لكون انه لا يمكن إحصاء الملفوظ إحصاءا رياضيا لان المشاركين كانوا في حالات انفعالية متعددة.

بينما تناقص جملة (لا اله إلا الله) إلى 31.71% وقد أخذت الأكبر والأصغر للتعبير عن الدلالة لقياسات القرب أو الفناء فهم يدركون إن اسم الله هو أعظم الأسماء ورغم ان جملة (لا اله إلا الله) هي فصل مؤكد يؤدي بنا إلى الوحدانية إلا ان ملفوظ الله بدا الله أعظم وحدانية كيف ذلك؟ يظهر السياق برمته مرفوقابسلوكات منها تصبب العرق لدى سماعهم ملفوظ سبحان الله وهذا ما يؤكد انغماس المشاركين في حالة موائمة بين الملفوظ والمتخيل الإلهي في ذوات وليندمجوا اكثر في المبحوث الغيبي الوارد في الصور الباطنية كنوع من استجلاب المخفي وراء الظلمة أو الغيهب صف إلى ذلك سلوك الجهد فان 21.05 % عبروا عن تعبهم لدرجة ارتجاف أعضائهم بينما عظام المفاصل بكى أو تباكى اكثر من 28.16%من المشاركين عند ترديدهم للفظة الجلالة مما يعني اندماج المشاركين في اسم الجلالة وقد كان واضحا على ألسنتهم وادخل هذه

اللفظة 33.3% إلى الغيبية هو عدم العلم بما يجري مثله كما حدث لعلي بن الحسين حيث ذكر القشيرية انه كان في سجوده فوقع حريق في داره فلم ينصرف عن صلاته ولما سئل عن حاله فقال ألهتني النار الكبرى عن هذه النار.

إذن كما يلاحظ في نهاية هذا التحليل فان المشاركين انغمسوا في لذة عرفانية قادتهم إليها أذكار بالباقيات الصالحة التي ظهر نفعها من خلال التذكر، فإذا تدبرها المشاركون بكل بصيرة فأنهم شاركوا.بدرجة الإحساس بالدنو إلى الحضرة وهو نفسه الذوق والشرب.

جدول رقم 17 يبرز أداء الحضرة باللباس

الشكل	التكرار	النسبة
تقليدي عباءة+ طربوش	30	40
عصري عباءة+ سروال كلاسيك	20	26.66
معاصر عباءة+ سروال جينز	10	13.33
لباس سروال وقميص	06	6.66
لباس تقليدي	10	13.66
المجموع	75	

المصدر الباحث

- **بالنسبة لفئة اللباس:** لاحظنا في الجدول 17 فئة اللباس الخاص بالحضرة.

تسجيل لباس تقليدي (عباءة وبرنوس) بلغة المصطلحات الشعبية التي عبر عنها المشاركون هي الغالبة كلباس لدى جميع المشاركين، وبالكاد عندما يتم تصويرهم باللباس المشترك يدعي الى القول إن هناك حضرة ذات هبة لكونها تطابق الذكر مع الحركة واللباس مما يزيد المشارك ذوبانا

وفناءا في المتصور، بينما أكدا المستجوبون إن اللباس العصري كان ضعيف التواجد لكون المشاركون دأبوا منذ القدم حمل عباءتهم معهم للدخول إلى الحضرة وحمل الطربوش (العراقية). يختلف لونه وحجمه حسب كل وافد إلى المنطقة التي ينتمي إليها مما جعلني القي اللوم ،إلا إن الغالب هو ارتداء العمامة عند أهالي مناطق البوزيدية ضف الى ذلك أنهم يضيفون الطربوش الأحمر كتقليد وارد من المغرب لان الحركة الصوفية المغربية كثيرا.ما يتباهى بها المشاركون اثناء إجراء المقابلات معهم.

الفرع الثاني: بالنسبة لوحدة الموضوع

لاحظنا غلبة ذكر الحروف من خلال تعاظم أصوات الحضرة، فانه يخيل للمرء انه يستمع إلى حروف (ا ل ل ه) أو ح.ي.ا لهذا جاءت نسبة التكرار في محل ذكر بـ 12.24%بالمقارنة مع الآيات التي كانت جلها تتلى سترا بينما اثني المشاركون على طابع التوحيد، وهو ما وصلت إليه نسبة تكرار لا اله إلا الله بنحو 12.24% مما دل على إن المشاركين كانوا ماضين في الشعور بالدنو إلى الحضرة الأمر الذي تفسره بنسبة 20% من ذكر اسم الجلالة وهذه التسميات كلها مذكورة في أوراد الطريقة الرحمانية والبوزيدية.

إن الجملة الموضوعاتية التي تدخل في إطار حركة الحضرة تقتصر على صيغة لفظ الجلالة وتحليل ذلك انثروبولوجيا إنما يعود إلى اعتقاد المشاركين في الايةالقرانية (يذكرون الله على جنوبهم) الآية ففكرة العلاقة لها مدلولين اما المدلول الأول إن الحضرة ما كانت لتكون لولا اسم الجلالة المتواتر في السرديات القرآنية وأكد الحديث النبوي إن الله يغفر كل الذنوب إلا إن يشرك به والمدلول الثاني هو اعتقاد المشاركين بان السر الأعظم هو نوال بركة هذا المفتاح إلا وهو ميزان التوحيد كما سماه الإمام الشعراني في الميزان.

الفرع الثالث: بالنسبة للوحدة الرمانية

إن الحضرة البوزيدية تقام في نهاية كل جمع بعد صلاة العشاء وأحيانا عند منتصف الليل على عكس الحضرات الأخرى التي شهد في زوايا الوطن كزاوية الولية الصالحة تركية أين تقام كل سنة تجمعات في توزيع زماني محدد في 18 جوان ، وكذلك تفعل زوايا أخرى بالتجمع في ذكرى وفاة مشايخ الزوايا العاملون.

الفرع الرابع: بالنسبة للجمهور

عمدنا أثناء اختيار العينة إلى قياس نوع الجمهور بفعل سلسلة من اللقاءات التي أجريناها مع مختلف الشرائح، التي ظننا أنها معنية بالحضرة وهو الأمر الذي لم يستقيم لدينا عند منتصف الليل حيث تفاجآنا بوجوه جديدة جاءت خصيصا للحضرة، لهذا تماثل لدينا بالمشاركة تحقيق ما يلي:جدول رقم 18

نوع الجمهور	التكرار	النشاطات
متعلم	16	أعمال حرة+تجار
مثقف	10	جامعيون
متوسط	20	معلمون
أمي	25	شيوخ+ زوار
	71	

واستجاب آخرون وقد أحصينا المجتمعون بمساعدة آل دحام المنظمون للحضرة أوجدنا إن جمهور الحضرة تغير نسبة 15% حيث شهدنا انسحاب اكثر من 29 مشاركا استأذنوا بالانصراف بعد مشاركتهم في التجمع العام حتى صلاة العشا، فالجمهور كان بعينة قصديه منذ

البداية إلا إن ذلك الانسحاب الذي اشرنا إليه لم يغير من وحدة الجمهور الذي اهتممنا به على أساس المشاركة في التجمع العام.

الفرع الخامس: بالنسبة لوحدة الاتجاه

كما يظهر أثناء اختيار العينة أثناء استقبال الضيوف القادمين إلى الزاوية، طرحنا سؤال الاتجاه الذي كان مباشرا مفاده هل أنت تؤيد إقامة الحضرة في هذا الجمع أم ترفضها، عبر 80 مستجوبا بتأييدهم الخالص بينما عارض 100 منهم وامتنع 10 آخرون عن الإدلاء بأي رأي ولهذا ركزنا على المؤيدين في انتظار المساء حيث حلت وفود أخرى من ولايات متباعدة جاءت خصيصا للمشاركة في الحضرة.

استنتاجات الدراسة:

قدمت الجداول والإحصائيات المستعملة في التحليل الانثروبولوجي الخاص باستعمال الحضرة في الإسلام عدة استنتاجات أزالت بعض الغموض عن تساؤلات الدراسة، ويمكن الإشارة إلى تلك الاستنتاجات بالصور التالية:

استنتجنا إن الحضرة في ممارستها الرياضية سواء البدنية أو التصويرية هي تشبه حركة الصلاة فكليهما يتشابهان يعتمدان على قرينة الخشوع والمشاركة في الحضرة هو محاولة خشوع وإدراك أمام العلي تعالى وهو ما أظهره التسبيح الجماعي الذي وجدنا انه يزيد الشوق ونشوة التعلق بحب الله والمصطفى الحبيب خاصة وان طقوس الحضرة نستعمل كل الأعضاء المستعملة في الصلاة إضافة إن لا يدخلها إلا المتطهرون سابغي الوضوء.

نستنتج في معرض التباكي الذي أنبنى على الدهشة والخوف اثناء السماع هو من مظاهر الاتجاه الطبيعي خاصة إن المشارك يريد إن يتناسى ذنوبا كثيرة وماضرية للطبول أثناء دخول الزاوية وترديده للإنشاد الديني بحماسة هو نشاط سلوكي ينقسم إلى مقدس ودنيوي، ويزداد هذا الشعور بفكرة أخلقه الجماعة وسيرها على نمط واحد.

نستنتج إن المشارك في الحضرة يعيش فترة صدق أثناء سكره أو نسيانه في نفسه إذا كان السماع إيقاعيا بفعل النص الجميل والمتواتر عليه لذلك فان الحضرة ينشطها مقدم حسن الصوت.

نستنتج انه أثناء دوران الجسم داخل الحلقة هو إعادة للنور المتجلي في أعضائه بفعل الذكر قال تعالى: "وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين" فأمر الشفاء ومفعوله هو من نور الذكر الحكيم.

نستنتج أن البكائين في الحضرة هم أولئك الطامعون في المحو والسحق وانتقال قلوبهم من حس المحسوبيات إلى رؤية الشواهد فيحدث لهم بكاء لقوة وشدة توهم ما رأوه من شواهد نورانية تفيض بهم إلى اعلي مستوى من ....

نستنتج في محور الرقص أثناء الحضرة انه لا جزم فيه إذا تعلق بالأرجل على غرار ما فعل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

نستنتج انه أثناء خروج المشارك من الحضرة يعيش إحساس التعميد وكأنهم غمروا في حياة مقدسية ليتحولوا إلى جدد كما حصل مع النبي صلعم في حادثة شق الصدر ومع النبي يحي ...

نستنتج إن الحضرة في الإسلام تتطلب إحضار القلب مع الله في لحظة كأنها الحقيقة فيحدث تملص نحو الخروج من الظلمة وهي حالة المولود المقذوف إلى الوجود فهو يخرج من عالم الظلمة إلى عالم النور كذلك هو بالنسبة للذاكر المنغمس في الأشواق الربانية وبذا فالقرب هنا روحاني والإحساس بالخروج من رحمة الله بالذاكرين.

خاتمة

خاتمة:

خلصنا في أخر الدراسة على ان الحضرة هي عملية نفسية روحية عقائدية أخلاقية فعندما يدخل المتحضرن في الحضرة ، تحدث له عدة سلوكيات ظاهرية تتعلق بالجسد ثم سلوكات باطنية ، تنعكس من خلال التصرفات اللاإرادية التي تحدث دوما، مع مزيج من الإمراض النفسية المصاحبة للكائن،منذ بداية تكونه على وجه الأرض وهي تصرفات تصدر في شكل أفعال غير مسيطر عليها تعرف من ظاهرها الشكلي ، بأنها ذات علاقة بالدين شكلت لناظريها ظواهر شاذة وآخرون اعتبروها من قبيل التعلق بالدين وبالعبادة على وجه العموم.

ولهذا دعاهم الاوائل بمتصوفي الأخلاق ومنها استمدت تسمية التصوف بالخلق على حد ما ذهب إليه ابن القيم الا أننا لا يمكن استثناء الزهد والعبادة فلقد اشتهر أناس بالعبادة وليسوا بصوفية .

كما وجدنا أن الحضرة ترتبط بجوهر النفس "جوهر فاذا كان الانسان شكلا خارجا يمثل بالبدن القويم الذي ذكر المولى تفاصيله، فان النفس هي نوع الحركة المخضعة الاهيا لمرافقة البدن ومصاحبته فأساس تعريف النفس لا يكتمل الا في ظل ثنائية المبنى (إنسان ونفس) ،إننا نعتقد إيمانيا بسفر النفس على امل الارتقاء الى الرفيق الأعلى، ليس فقط عن طريق الوفاة بل أيضا في حالة التسبيح بالمعرفة الروحانية يحدث لها الارتقاء الأمر الذي يساعدنا على طرق عناصر أخرى للجذب على غرار الإحساس والشعور وكلاهما يختلفان عن النفس هذا اذا اعتبرنا إنهما سلوكيات يستدل بهما لتعريف الأشياء الخارجية وليست الذاتية.

فالنفس يتعرف عليها من خلال الحركات وهي مثبتة سيميولوجيا لميلاد (أداة القوة الفاعلة) التي هي مصدر الاستدلال الإشارة على وجود النفس،محولة الى (حركة ذات معنى) ذلك هو الجسم ان للنفس حياة ومراحل (تقوى) تتجدد فيها الحركة نحو مضاعفة ضغط القوى لان في الأصل ان النفس لا تشيخ بل الجسد هو الذي يكبر ويشيخ فالإنسان في عقده الثالث (الكهولة)

تكون نفسه (هي هي) من رافقته منذ تلك الفترة مفعمة بحركة الشباب فقد كتب لها خلود المرافقة والسمو الى الأعلى عكس البدن المعرض للفناء المادي عندما تتخلل عناصره ويعود إلى تركيبته الأصلية للمواد المكونة للتربة.

وجدنا إن الأخذ بالقراءة يوصل الى الله فهذا لا يتجلى منذ الوهلة الأولى لان القراءة لها علاقة بسيكولوجية مع محتويات المعرفة المكتسبة فقد يقرا الإنسان قصة سليمان من الكتب الوصفية بخلاف كيفية تناوله في سورة القصص كلاهما يمثلان حالات للتأويل والأقرب إلى إدراكها من يعايش المعارف ذات العلاقة بالصبر والصدق والعلم.

بمجرد مايستقبل المتحضرن (اسم الجلالة) وهو يعذب بدنه الذي يلفه محسسا نفسه على مجاراتها تنمحي من أمامه كل صور الغيرية وما يصبح مدركا إلا لصور غيبية قد يظن من خلالها الداخل في الحضرة ، انه على أهبة الفناء والذوبان في الصرع المعرفي من خلال محاولة إدراكه لكينونة الله ويتعاظم هذا الحال بالاستغراق والديمومة والاعتقاد في عطايا المولى تعالى لأصحاب الوجه من كرامات وإشعارات تعود إلى ميزات الأسرار الخاصة.

الباحث : حمام محمد

تلمسان بتاريخ 2019/07/10

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المراجع

المصادر:

القران الكريم

صحيح البخاري

مقدمة ابن خلدون

المراجع:

عبد الفتاح محمد وهبة: الجغرافية التاريخية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1980.

محمد الرزاز، مجلة الفكر، العدد 4، 4 افريل 2012، الكويت.

وليام ريجرز، تاريخ أوروبا.

امنة بلعلى، تحليل الخطاب الصوفي على ضوء المناهج النقدية، دار الامل، 2009، الجزائر.

محمد عبد الله الشرقاوي، مقاربة الأديان، دار الجبل، 1990، القاهرة.

نسيب عبد الجبار، الحضارات، دار المشرق، بيروت، 2003.

بن فرنان شرقي واخرون، من مناهج النقد الفلسفي، دار الغرب، 2007، الجزائر.

رزق الحجر، ابن الوزير ومنهجه الكلامي، op4، الجزائر ، 1983.

محمود قاسم، ابن رشد وفلسفته، ط3، المطبعة الانجلو مصرية، القاهرة، 1990.

الامام الغزالي، احياء علوم الدين، ط2، مجلة الشعب، القاهرة.

برتراند راسل، تاريخ الفلسفة العربية، ترجمة زكي محمد، ط3، 1978، القاهرة.

وول بورانت، قصة الحضارة، ترجمة زكي محمد، دار الجيل، ط1، 1982، القاهرة.

القاموس المحيط، للفيروز ابادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1990.

ابن القيم الجوزية، كتاب الروح.

أبو القسم القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، المكتبة العصرية، بيروت، 2011.

سيج بوزيد بن سيد علي، التصوف الشرعي، دار الكتب العلمية، 2000، بيروت.

صلاح الدين شروح، علم الاجتماع الديني العام، دار العلوم للنشر والتوزيع، 2012، الجزائر.

صابر طعيمة، الصوفية معتقدا ومسلكا، أبو الفخر الرازي، القاهرة.

محمد السيد الجليند، الحضرة والحضور، الموسوعة الصوفية المصرية، 2009، القاهرة.

ادوارد ونوقو دراسة اثنولوجية حول الجامعات الدينية عند مسلمي الجزائر دار المهدي للنشر، عين مليلة سنة 2003

جيلبر دروان، الانتربولوجيا رموزها اساطيرها المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت ط2 سنة 2006

راد بليز هاري، مقدمة في الانتربولوجيا العامة مصر للطباعةوالنشر القاهرة بدون تاريخ

عبدة محجوب، مقدمة في الانتربولوجيا المجالات النظرية والتطلبيقية دار المعرفة الجامعية

فاروق اسماعيل الانتربولوجيا الثقافية دار المعرفة الجامعية سنة 1984

محمد احمد بيومي الانتربولوجيا الثقافية الدار الجامعية للطباعة بيروت 1983

سيدي محمد المشريالسائحي، الجامع لدرر العلوم الفائضة، دار الأمان، المغرب، 2012.

عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، القاهرة، 2002.

عبد اللطيف احمد العيد، الموسوعة الصوفية، القاهرة، 2012.

صالح معالم، محاضرات في الامراض النفسية، op4، 2008، الجزائر.

محمد جمال الدين قاسمي، موعظة المؤمنين، دار النفائس، بيروت، 1981.

صابر طعيمة، التصوف والتفلسف، مكتبة مدبولي، 2005، القاهرة.

احسان الهي ظهير، دراسات في التصوف، دار ابن جزم، القاهرة، 2008.

يوسف ادريسي، التخيل والشعر حفريات في الفلسفة العربية الإسلامية، منشورات صفاف، الرباط، 2012.

ضياء مجيد الموسوي، فلسفات الخلاص، كنوز الحكمة، الجزائر، 2012.

لكحل فيصل، إشكالية تأسيس الدازني في انطولوجيا مارتن هابدغر، كنوز الحكمة، الجزائر، 2011.

ابن القيم الجوزي، هداية الجباري في أجوبة اليهود والنصارى، دار الحديث، القاهرة.

محمد الصرايرة، ايات للمؤمنين، شركة الشهاب، الجزائر، بدون تاريخ.

لخضر شريط، مدخل لحلقيات العلم في الحضارة الإسلامية، كنوز الحكمة، الجزائر، 2011.

سمر سامي، شعرية النص الصوفي في الفتوحات الملكية، لمحي الدين بن عربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005.

عبد الوهاب مطاري، مقدمة في الانثروبولوجية الفلسفة، op4، 2011.

رمضان مهلهل سرحان، معجم المعتقدات والخرافات، ازمنة للنشر، 2007.

إبراهيم علي او خشب، أولياء الله الصالحون، مكتبة القاهرة، نسخة صفراء، بدون تاريخ.

محمد عبد الرحيم عنيم، الطائف وغرائب من الانترنت، دار الايمان، القاهرة، 2004.

إبراهيم عبد الله، المطابقة والاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1997.

جوين ماجوري، هبدغر، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1973.

شاتلي فرنسوا، أيديولوجيا الانسان، ترجمة احمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 2002.

مارودي روجي، نظرات حول الانسان، ترجمة يحي هويدي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1983.

الاسم عبد الأمير، المصطلح الفلسفي عند العرب، الدار التونسية للنشر بتونس، op4، 1991.

خان محمد عبد المعيد، الخرافات والاساطير عند العرب، دار الحداثة، بيروت، 1982.

Immanuelkant, critic des Urtheils kraft, 179-1793-1799- traduit par J Gibelin vrin, paris, 1951.

Herbert spiegel berg, the PHenomenological mouvement, Ahistorical introduction – the hagne 2 vol -1969.

Jean – parildumont, ecolesprésocratignes folio essais, 152, Gallimard, paris, 1991.

Maurice corvez, la philosophie de heidgger, unitiatianphilosofigre 51 puf. Paris, 1961, 4-5.

Michael LandmannphilosophischeantropologiesammlingGschen Berlin, 1955.

Islam et christianisme, dailogue religieux et depi de la modeinte Beyrouth 1973.

La religion et les hommes essai sur les demensionsantropologique de la religion , Beyrouth, 1984.

Hegel F.C Wilhelm, leçon de métaphysique troductiondenissauche dagues NRF Gallumard, 1980.

Alain Touraine ,eritique de la modoniteledfayad , paris, 1993.

الملاحق

الملحق رقم 01 : صورة لمقر الزاوية

الملحق رقم 02: صور لشيوخ الزاوية

الحاج عبد القادر بن طه

صورة للشيخ سيدي حمو البوزيدي

شيخ الزاوية البوزيدية الشريف سيدي الحاج عبد القادر دحاح

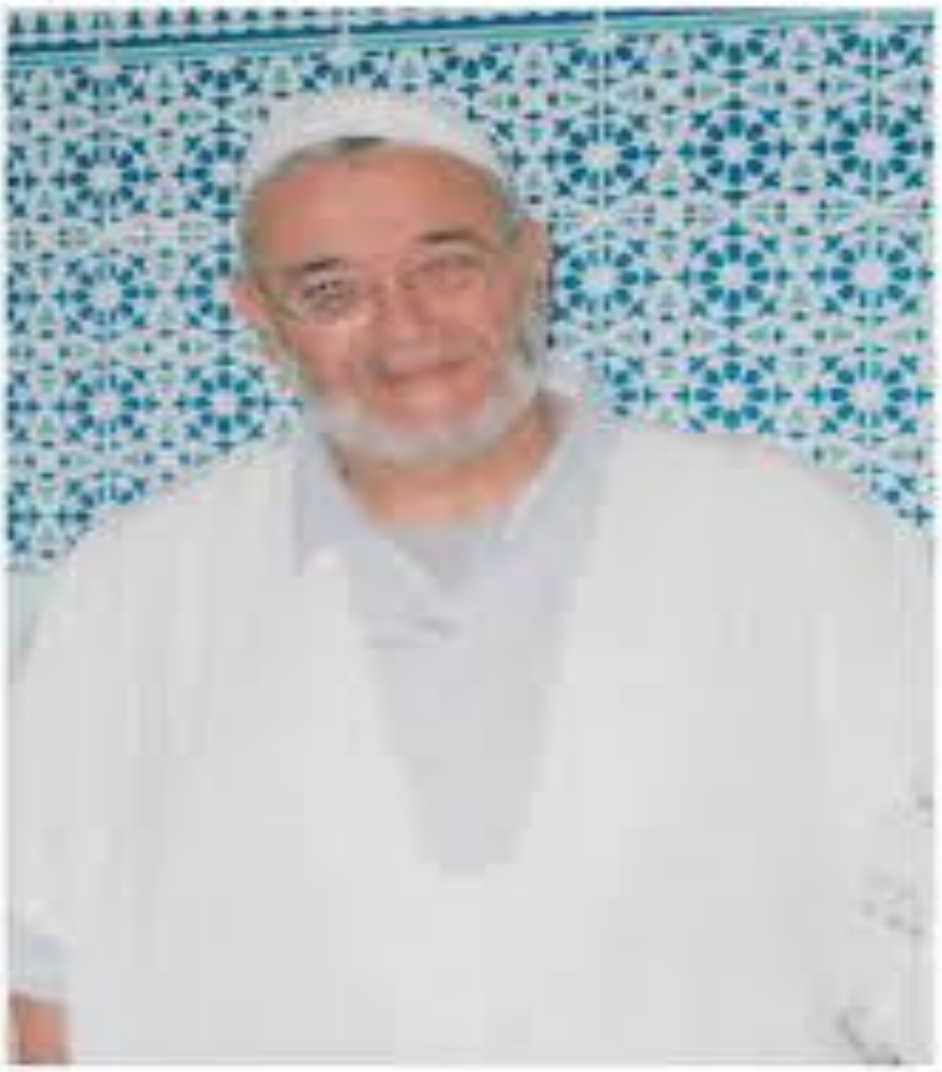

شيخ الزاوية البوزيدية الشريف سيدي الحاج عبد القادر دحاح

تكريم بعض شيوخ الزاوية البوزيدية

الملحق رقم 03:

الحضرة البوزيدية

الملحق رقم 04
استمارة

البيانات الشخصية:

العينة:

الجنس: ذكر () انثى()

اكثر من: 20 سنة()

من 20-40 سنة

من 40-60 سنة

من 60- فما فوق()

المستوى التعليمي:

ابتدائي () متوسط () ثانوي () جامعي()

ابتدائي بالمراسلة () متوسط () ثانوي بالمراسلة () جامعي عن بعد()

المهنة:

موظف حكومي () :موظف قطاع خاص () :اعمال (حرة)

الحالة العائلية:

اعزب () :متزوج () :مطلق()

مكان الإقامة :

داخل الولاية () تجمع عمرانية () الريف()

خارج الولاية () مجمع عمراني () الريف()

المحور الأول:

ماذا تعني الحضرة بالنسبة لك:

1-حضور .....الله ☐ ☐

2-حضور النفس و..... ☐ ☐

3-مشاركة المجتمعين رياضة ايمانية ☐ ☐

4-تعني لك أشياء أخرى: اذكرها:

1/هل يلزمك استعداد عقلي للدخول الى الحضرة؟

☐ ☐

2/ما هي شروط الدخول في الحضرة؟

1-حفظ القران ☐ ☐

2-حفظ الاحاديث ☐ ☐

3-الصهارة..... ☐ ☐

4-الاستقامة ☐ ☐

5-أشياء أخرى اذكرها:

المحور الثاني: ارهاصات الحضرة الإسلامية ومجرياتها

1-كيف تمارس الحضرة؟

1/في جماعة ☐ ☐

2/منفردا ☐ ☐

3/متشابك مع الغير ☐ ☐

4/تتحرك من تلقاء نفسك ☐ ☐

5/ما اكثر شيء يحركك

- الشعور باللذة الايمانية
- المتعة والفرحة
- لا تعي ماذا تفعل

جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان -

كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية

قسم الثقافة الشعبية

تخصص انتربولوجية

استبيان حول موضوع:

الحضرة الصوفية في الاسلام

دراسة انتربولوجية

دكتوراه في عن هذه الأسئلة التي تدخل ضمن إطار إعداد رسالة الرجاء الإجابة المعلومات التي ستدلون بها ستضل في كنف السرية و الانتربولوجية، و نحيطكم علما بان .لن نستعملها إلا لأغراض علمية

من إعداد الطالبة : **تحت إشراف الدكتور**

حمام محمد أوشاطر مصطفى

ملاحظة:

ضع علامة **(×)**في الخانة المناسبة.

أشكر لكم حسن التعامل

السنة الجامعية:2019/2018

1/معلومات عن الحضرة البوزيدية :

تاريخ انعقاد الحضرة

توقيت انعقاد الحضرة

عدد المجتمعون

ثانيا: فئات الشكل (كيف قيل(

اللغة

عربية فصحى دارجة لغة أخرى أصوات اخرى

الصوت

مفهوم غير مفهوم فيه نغمة أصوات اخرى

الحركة

عادية تمثيلية مدوية أشياء اخرى

تعبير الوجه

فرح حزن بكاء عويل

تعبير الراس

يمين شمال يمين شمال شمال يسار

حركة اليدين

تشابك اسدال قبض

حركة الرجلين

وقوف على المشط وقوف على الكعب تحريك ثابت

ثالثا: فئات المضمون (ماذا قيل(

جدول يوضح فئات المضمون

وحدة الموضوع:

الذكر

ايات قرانية حروف من القران البسملة

التسبيح

سبحان الله الحمد لله لا اله الا الله لا حول ولا وقوة الا بالله

اسم الجلالة ☐ ☐ ☐

الله حي أسماء الحسنى

الاوراد ☐ ☐ ☐

ما .....رحمانية تيجانية

مشابه اشياء أخرى

1- الذكر ☐ ☐ ☐

تصفية القلب الراحة القرب

التعلق

2- التسبيح ☐ ☐ ☐

يطهر القلب القضاء على الذنب الندم

التوبة

3- اسم الجلالة ☐ ☐ ☐

الخوف الارتباط الاشتياق

الفناء

4- الاوراد ☐ ☐ ☐

الشرك الاعتناء الشفاعة

اخرى

وحدة الاتجاء:

مؤيد: ☐ ☐ ☐

نعم لا لماذا نعم لماذا لا

معارض: ☐ ☐ ☐

نعم لا لماذا نعم لماذا لا

محايد:

نعم لا

وحدة الجمهور:

خاص :

المحبون فقراء الطريقة العباد

الرواد

عام :

كل الشرائح كل الفقراء كل الاشياء

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة	01
مدخل	13
1-بداية الخيال الاسطوري عند الانسان	14
2- القوة الطبيعية	22
3-الدين	28
4-فلسفة الاعتقاد	36
الفصل الاول: تاريخ التصوف ونشأة الطرقية في الجزائر	41
1-تعريف التصوف	42
2-نشأة التصوف	46
3-مفهوم الطرقية	50
4-نشأة التصوف الطرقي في الجزائر	52
5-خصائص الاتصال الطرقي	56
الفصل الثاني: الدراسة الاثنوغرافية للزاوية البوزيدية:	60
1-الموقع الجغرافي للزاوية البوزيدية	65
2-مولد مؤسس الزاوية البوزيدية	65
3-السياحة العلمية	65
4-إدارة أمور زاوية شيخه 1884م/1299هـ	66
5-اختيار الاستقرار بوردانة و ظهور أمره بها	67
6-عودته إلى أرض الوطن حوالي 1894م/1309هـ	68
7-كراماته وشيوع خبره	68
8-سلوكه و أخلاقه	70
9-تقاليد وعادات المشاركين في الحضرة البوزيدية	74
الفصل الثالث : الدراسة الاثنولوجية للحضرة لصوفية	92

1–مفهوم الحضرة وركائزها ودعائمها	93
2–المفاهيم المرادفة للحضرة	98
3–مكونات الحضرة	102
– المكونات اللسانية واللغوية للحضرة	103
–الدخول في الحلقة	107
–الاوردة	108
4–أنثروبولوجيا السماع الصوفي	109
5–الدوافع المختلفة وتفسيرها في الحضرة الصوفية	114
الفصل الرابع :المناهج الانثروبولوجية	129
1–الارهاصات الأنثروبولوجية في المدرسة الاسلامية	132
2–الانشغالات الإنسانية عند رابعة العدوية وطه عبد الرحمن	135
3–المناهج الانثروبولوجية الغربية	141
الفصل الخامس: الآثار المختلفة للحضرة الصوفية على منظومات القيم في المجتمع	152
1–الاثار البنائية للحضرة الصوفية في تربية وتكوين الاسرة المسلمة	153
2–الاثار الخلقية للحضرة الصوفية في المجتمع	157
3–الاثار الانتربولوجية للحضرة الصوفية	159
4–الآثار الاقتصادية للحضرة الصوفية	159
5–أثر الحضرة الصوفية على نظام العمل	162
6–اثر الحضرة الصوفية على التخطيط الاجتماعي والثقافي	164
الفصل السادس: الدراسة التطبيقية	168
1– التعريف بمجتمع الدراسة	169
أ– كيفية اختيار العينة	169
ب–البيانات الشخصية والمعلومات العامة للعينة	170
2–الخصائص العامة والخاصة لعينة الدراس	173

أ–الخصائص العامة لعينة الدراسة	173
أ–: خصائص عينة الدراسة	175
2– فئات تحليل الشكل والمضمون في العينة	178
–: فئات التحليل (الشكل والمضمون)	178
الفرع الأول: فئات تحليل الشكل	178
• فئة اللغة	178
• فئة الصوت	181
• / فئة الحركة	183
• فئة تغيرات الوجه	185
• فئة حركة الرأس	187
• فئة حركة اليدين	188
• فئة حركة الرجلين	190
الفرع الثاني: التحليل الكمي والكيفي لفئات المضمون	191
• فئة القيم	191
• فئة الموضوع	196
• أ/ موضوع الذكر	198
الفرع الثالث: الذكر ألقراني	200
• موضوع التسبيح	201
• فئة اسم الجلالة	202
• فئة الأوراد	203
• وحدات التحليل	205
• : فئات وحدات التحليل	206
أولا: وحدة الكلمة	206
الفرع الأول: فئة اللغة	206

الفرع الثاني : بالنسبة لوحدة الموضوع	209
الفرع الثالث : بالنسبة للوحدة الرمانية	210
الفرع الرابع: بالنسبة للجمهور	210
الفرع الخامس: بالنسبة لوحدة الاتجاه	211
النتائج	212
الخاتمة	214
قائمة المراجع	217
الملاحق	222
الفهرس	235

الملخص:

إن الحضرة الصوفية تشكل مجموعة حركات فيزيولوجية، ذات طابع براسيكولوجي روحي، يؤدي إلى شعور الفرد بالراحة، والتقرب إلى الله باعتقاد راسخ وبتركيز كل جوارحه، كما انه تعطي له منفذا حقيقيا يدركه بالعين المجردة ، فيري من خلاله اشيائا غرائبية تحدث لديه ولا يصدقها الناس إن كانت خارجة منه، لهذا جاءت هاته الدراسة للبحث في حقيقة الحركة التي يقوم بها المشارك في الحضرة وعلاقتها بالتصرف الديني المشروع، وبما يراه المشارك أو يسمع به، تحاول الدراسة فك بعض الطلاسم التي اتخذ منها بعض الدجالين وسيلة لغمر مستوى الوعي الديني، وجعله وسيلة سهلة باستطاعتهم هم إن يغيروها في لحظة، ورغم إن الدراسة احتوت على لقاءات مع كبار العلماء والفقهاء إلا أنها أجابت بعض الشيء على تلك العلاقة الفلسفية الروحية التي تبرر الفعل المشارك، باستعمال الجوارح الإنسانية.

جاءت هاته الدراسة كمحاولة للجمع بين الفلسفة والبراسيكولوجية وعلم النفس والانتربولوجية من اجل إعطاء إجابة تتعلق بتفسير الحركات المستعملة داخل الحضرة ومقارنتها بما يحدث فعليا عن طريق ما اخبر به المشارك الذائب في الحضرة

الكلمات المفتاحية: انثروبولوجيا- براسيكولوجيا- الحضرة – تروحن.

Abstract :

The Sufi presence constitutes a set of physiological movements, of a psychological and spiritual nature, that leads to the individual's sense of comfort, proximity to God with a firm belief and the concentration of all his wounds, and gives him a real outlet that he realizes with the naked eye, through which he has strange things that occur to him and people do not believe them. It was coming out of it, so this study came to look at the reality of the movement carried out by the participant in the presence and its relation to the legitimate religious behavior, and what the participant sees or hears, the study tries to decipher some of the talismans that some charlatans have taken as a way to flood the level of religious awareness, and make it an easy way as easily as possible They are interested in changing it in an instant, and although the study contained meetings with leading scholars and jurists, it responded somewhat to that philosophical and spiritual relationship that justifies the co-act, using human beings. This study came as an attempt to combine philosophy, psychology, psychology and anthropology in order to give an answer regarding the interpretation of the movements used within the presence and compare it to what actually happens by what the dissolved participant told in(hadra)

Key words : anthropology- physiology- presence- spirituality.

Résumé :

La présence soufie constitue un ensemble de mouvements physiologiques, de nature psychologique et spirituelle, qui conduit au sentiment de réconfort de l’individu, à la proximité de Dieu avec une croyance ferme et à la concentration de toutes ses blessures, et lui donne un véritable exutoire qu’il réalise à l’œil nu, à travers lequel il a des choses étranges qui lui viennent et les gens ne les croient pas. Il en sortait, alors cette étude est venue à examiner la réalité du mouvement effectué par le participant dans la présence et sa relation avec le comportement religieux légitime, et ce que le participant voit ou entend, l’étude tente de déchiffrer certains des talismans que certains charlatans ont pris comme un moyen d’inonder le niveau de conscience religieuse, et en faire un moyen facile aussi facilement que possible Ils sont intéressés à le changer en un instant, et bien que l’étude ait contenu des rencontres avec des érudits et des juristes de premier plan, elle a répondu quelque peu à cette relation philosophique et spirituelle qui justifie la coexistence, en utilisant des êtres humains. Cette étude est venue comme une tentative de combiner la philosophie, la psychologie, la psychologie et l’anthropologie afin de donner une réponse concernant l’interprétation des mouvements utilisés dans la présence et de le comparer à ce qui se passe réellement par ce que le participant dissous a dit dans (hadra).

Mots clé : anthropologie- physiologie- présence- spiritualité**.**